جامعـــة الجزائـــر 02 – أبو القاسم سعد الله

كليـة العلـوم الإنسانيـــة

قســـم التاريــخ

ساموري توري في غرب إفريقيا بين بناء الدولة الحديثة ومقاومة الأمبريالية الفرنسية (1885م-1900م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث LMD في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء المعاصر

إعداد الطالبة:
طاوس حجام

إشراف الأستاذ الدكتور:
بوعزَة بوضرساية

لجنة المناقشة:

اللقب والاسم	الرتبة	الجامعة	الصفة
منصف بكاي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 02	رئيسا
بوعزة بوضرساية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 02	مشرفا ومقررا
بشير سعدوني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 02	عضوا مناقشا
عبد الوهاب يحياوي	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الجزائر 02	عضوا مناقشا
مليكة عالم	أستاذة محاضرة–أ–	جامعة خميس مليانة	عضوا مناقشا
عبدالرحمان بوسليماني	أستاذ محاضر –أ–	جامعة البليدة 02	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2020-2021/ 1441هـ-1442هـ

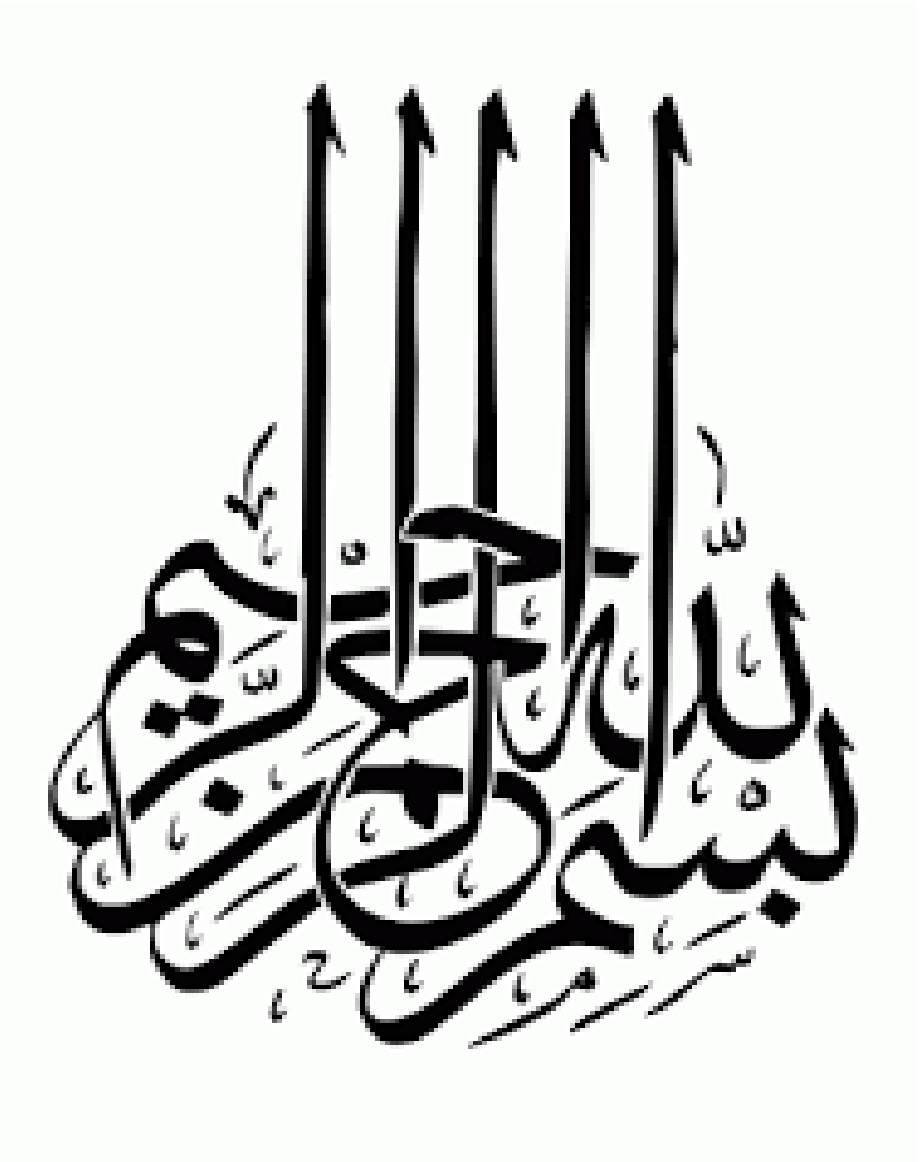
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الجزيل

إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور بوعزة بوضرساية

على كل ما قدمه لي من نصائح وتوجيهات

وعلى كل الدعم الذي قدمه لي.

وكما أشكر الأستاذ الدكتور منصف بكاي

الذي أتاح لنا الفرصة للتخصص في الدراسات الإفريقية

وأخيرا أشكر كل من ساعدني من قريب أو من بعيد

في إتمام هذا البحث

إهداء

أهدي هذا العمل

إلى والدي العزيزين أبي محمد، وأمي فاطمة حفظهما الله ورعاهما

إلى أخواتي: مليكة، جميلة، وفتيحة، وأبنائهم.

وإلى الصديقة العزيزة شفيعة دحماني التي ساعدتني كثيرا وشجعتني.

وإلى كل من ساهم في نجاحي

ووصولي إلى ما أنا عليه من قريب أو بعيد.

مقـــدمـــة

شكل القرن التاسع عشر نقطة فاصلة وحاسمة في تاريخ القارة السمراء "إفريقيا". فالدارس لتاريخ إفريقيا خلال القرن 19م، سيلاحظ اختلافا كبيرا في وضع القارة مابين بداية القرن 19م والذي كانت فيه الأمور هادئة وعادية، وبين النصف الثاني من القرن، والذي شهد أحداثا غيرت مجرى الأمور. فعندما نضع أمامنا خريطة إفريقيا في بداية القرن 19م، فإننا نلاحظ منطقة بيضاء في المنطقة الاستوائية لا جبال ولا شعوب ولا هيمنة سياسية، فهي منطقة مجهولة تماما عن العالم الخارجي، لكن نفس المنطقة في النصف الثاني من القرن 19م، نجدها قد تلونت بألوان مختلفة تمثل أعلام الدول الأوروبية التي وزعت الأراضي الإفريقية فيما بينها شبرا شبرا، كأنها ملكيات خاصة لها، والذي دعم ووثق تواجدها بشكل رسمي في هذه الأراضي وأعطاها الشرعية في الاحتلال هو مؤتمر برلين الدولي(1884م-1885م)، والذي عقد لحلَ النزاع القائم بين الدول المتكالبة والمتصارعة والمتأزمة علاقتها بسبب الرغبة المشتركة في استعمار القارة وحول تقسيم مناطق النفوذ.

منذ ذلك الوقت، والشعوب التي وقعت تحت السيطرة تناضل وتكافح بمختلف الوسائل والأساليب، حيث لم يرضها يوما تواجد جسم غريب وأجنبي في كيانها وُجد لخدمة أغراضه الإمبريالية المتمثلة في الاستغلال الفاحش للطاقات البشرية والثروات الطبيعية التي تزخر بها القارة السمراء وجعلها لخدمة مصالحه الإقتصادية بالدرجة الأولى، وهذا رغم الإدعاءات الكاذبة للمؤرخين والمنظَرين الإمبرياليين الذين كانوا يزعمون أنهم قدموا إلى إفريقيا بهدف نشر الحضارة وتخليص الشعوب الإفريقية من براثين الجهل والتخلف.

لم تحض الحركات الجهادية في غرب إفريقيا بما تستحقه من اهتمام وقيمة، رغم أنها تمثل جزءا هاما من تاريخ إفريقيا الحديث، لذلك أخص هذه الدراسة، بالمقاومات الوطنية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبالتحديد مقاومة ساموري توري وبناءه لدولته الحديثة في غرب إفريقيا. هذه الشخصية الإفريقية البطولية التي أهملت من طرف الباحثين والدارسين

لتاريخ المنطقة، رغم دورها الفعال الذي لا يمكن إنكاره في مقاومة الاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا وبث الرعب في صفوفه وإلحاق خسائر كبيرة به.

بالرغم من أن جهاد الإمام ساموري توري تزامن مع جهاد الحاج عمر وابنه أحمدو شيخو، إلا أننا نجد أن مقاومة الحاج عمر دُرست وحضيت باهتمام أكبر، على عكس مقاومة ساموري توري بالرغم من بسالتها وعنفها وكونها مقاومة شاسعة الحدود، حيث جاب هذا البطل رفقة جنوده أطراف غرب إفريقيا من غينيا إلى الكوت ديفوار فلم يستطع أحد ردعه رغم قلة الإمكانيات وصعوبة التنقل وكثرة الخيانات بين صفوفه.

تنوعت الأسباب التي دفعتني لدراسة الموضوع فلقد اخترت هذا الموضوع بالذات نظرا لما له من أهمية، كونه شخصية مناضلة قاوم الاستعمار الفرنسي وبنى دولة وأدار شؤونها، رغم أنه لم يكن متعلما كغيره من أمثال الحاج عمر الفوتي. وهذا يجعله في نظري فريدا من نوعه ويستحق الدراسة، كما أنه لم يحض بالقدر الذي يستحقه من قبل المؤرخين والباحثين رغم أنه تزامن مع الاجتياح الاستعماري الأوروبي الشرس الذي عرفته القارة، خاصة بعد انعقاد مؤتمر برلين ومنحهم شرعية الإحتلال.

أردت أن أخص هذه المنطقة وهذا البطل بدراستي لعلي أنفض الغبار قليلا عن تاريخهم العريق الذي يحاول الأوروبيون طمسه وتحريفه، بإدعائهم أن لا حضارة لهم من قبل وأنهم مجرد جماعة من الزنوج الهمجيين على حسب بعض التقارير الأوروبية.

ربما دراستي هذه هي مقاومة صغيرة لما يتم تداوله عند الأوروبيين من تشويه لتاريخ هؤلاء الزنوج وادعائهم أنهم أثناء تواجدهم بأراضيهم لم يتلقوا أية مواجهة. فحسب رأيهم، فإن الأفارقة لم يكونوا يدركون ما لهم وما عليهم، يعيشون فقط للصيد كالحيوانات، لذلك أردت أنا وغيري ممن كتبوا عن تاريخ وجهاد المماليك الإسلامية دحض ونفي هذه الأكاذيب.

إن المعاناة التي سببها لنا الاستعمار الأوروبي ولهؤلاء الزنوج كأفارقة كلنا شمالا وجنوبا لازالت مستمرة، ولكن ربما هم أكثر. فقد نكون نحن قد تجاوزنا المحنة ونحاول المضي قدما وصنع الأفضل، بينما لا يزال هؤلاء الزنوج يتخبطون في مخلفات الاستعمار من نزاعات ومشاكل حدودية وصراعات داخلية أدت إلى ظهور مشكلة أخرى هي مشكلة اللاجئين التي تزداد يوما بعد يوم، وهي أكبر دليل على أنهم لازالوا يتخبطون في براثين وويلات التخلف والجهل، رغم أنه قد آن الأوان ليواكبوا موجة العولمة ويتجاوزوا محنتهم.

أردت أن أقول من خلال هذا البحث، أن هذه المنطقة لها تاريخ ولها حضارة عريقة قبل مجيء الاستعمار. وإن كانت دُمّرت وتحولت إلى رماد، فقد تم هذا على يدي الاستعمار. وأن هؤلاء الشعوب مثلهم مثل غيرهم عاشوا وسط دينهم ولغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ولم يكونوا يوما همجيين ولا حيوانات، وأن بشرتهم السوداء لم تعبهم بل ميزتهم، وإن كان الأوروبي يرى في ذوي البشرة السوداء نقصا فإنما النقص في عقلهم وليس فيهم.

إن الإشكالية التي يجدر بنا طرحها أثناء معالجتنا لهذا الموضوع هي:

ما هو الدور الذي لعبه الإمام ساموري توري في تحرير منطقة غرب إفريقيا من الاستعمار الفرنسي؟ وإلى أي مدى نجح في وضع دعائم وأسس بناء الدولة الحديثة؟

تندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية التي لا يمكن الإستغناء عنها وهي كالآتي:

- من هو ساموري توري؟
- ما هي أهم توسعاته في بناء دولته؟ متى بدأت مقاومته؟
- كيف كانت؟ ومتى انتهت؟
- ماهي أهم الحركات الجهادية التي تزامنت مع حركة ساموري توري في غرب افريقيا؟

اعتمدت في هذا البحث على خطة تضمنت مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، بالنسبة للفصل الأول جاء تحت عنوان الإطار الجغرافي والتاريخي لغرب إفريقيا وأهم إمبراطورياتها، وقد قسمت الفصل إلى مبحثين. تناولت في المبحث الأول جغرافية غرب إفريقيا وعن أصل تسميتها بالسودان الغربي. أما في المبحث الثاني فقد سلطت الضوء على إمبراطورية الحاج عمر الفوتي أو كما يحلو للبعض تسميتها بالإمبراطورية العمرية، وذلك لما كان لها من أهمية حيث كانت أهم الإمبراطوريات آنذاك وأوسعها والتي أسسها الحاج عمر الفوتي التيجاني. وتطرقت أيضا إلى إمبراطورية كينيدوغو سيكاسو، هذه الإمبراطورية بالتحديد تزامن وجودها وتاريخها مع تاريخ إمبراطورية الماندينجو التي أسسها الإمام ساموري توري.

أماالفصل الثاني فقد تناولت فيه المنافسة الأوروبية على منطقة غرب إفريقيا وانعقاد مؤتمر برلين (1884م-1885م)، باعتبار هذا الأخير هو النواة الأولى لتقسيم القارة الإفريقية.ورغم أنه أقرَ إلغاء تجارة الرقيق كنقطة إيجابية فيه حيث أراح الأفارقة من معاناة الرق، إلا أنه زادهم معاناة بسبب تقسيم بلادهم وتشتيتهم. فقد كان سيفا ذو حدين، ولكن حده القاطع كان سلبيا.كما سلطت الضوء في هذا الفصل على شخصية سياسية فرنسية ساهمت في التوسع الفرنسي في غرب إفريقيا ألا وهو " لويس فيدهرب".

أما في الفصل الثالث، الذي جاء بعنوان: "ساموري توري وبناء الدولة الحديثة" فقد عرفت فيه شخصية البطل ساموري توري وتحدثت قليلا عن نشأته وحياته، ثم بناءه لدولته وتوسعاته.

أما الفصل الرابع والأخير فقد جاء بعنوان: " الحركات الجهادية في غرب إفريقيا ومقاومة ساموري توري" وهو مقسم إلى مبحثين. تطرقت في المبحث الأول إلى الحركة الجهادية للحاج عمر الفوتي وابنه أحمدو والحركة الجهادية لمحمدو لامين، وذلك لتزامنها التاريخي والمكاني مع الحركة الجهادية لساموري توري، وكون هذه الحركات تبادلت التأثير

والتأثر فيما بينها. وفي المبحث الثاني والأخير تناولت الحركة الجهادية لساموري توري ومقاومته للاستعمار الفرنسي حتى اعتقاله ونفيه ووفاته.

لقد اتبعت في دراسة موضوع البحث المنهج الوصفي السردي والمنهج التحليلي حيث تم وصف الأحداث التاريخية بدقة من خلال ما توفر لدينا من مادة علمية.

وعن الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع عثرت على رسالة ماجيستير للدكتور بن تركية عبد الحكيم تحت عنوان:" التوسع الفرنسي في السودان الغربي ومقاومة ساموري توري(1854م-1994م)".

ومن جملة المصادر التي عدت إليها المصادر العربية التي اعتمدتها في تعريف منطقة السودان الغربي أمثال: أبو إسحاق ابراهيم بن محمد الفاسي (الاصطخري) في كتابه المسالك والممالك.

كذلك نذكر عبد الرحمن السعدي في كتابه تاريخ السودان ونجد أيضا الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا.

وتعد هذه المصادر مهمة لأنها قدمت لنا وصفا دقيقا لمنطقة السودان الغربي أرضا وشعبا.

أما المراجع سواء باللغة العربية أو باللغة الأجنبية فهي كثيرة نذكر منها: إلهام محمد علي الذهني في كتابه جهاد الممالك الإسلامية، وجوزيف كيزربو في كتابة تاريخ إفريقيا السوداء، Yves Person: Samori une révolution dyula.

ولعل هذه المصادر والمراجع كانت مهمة جدا وأساسية على طول الدراسة فقد استعنت بها وبآراء مؤلفيها في تحليل الأحداث وترتيبها بالإضافة إلى كتب أخرى لا تقل أهمية هن

هذه المجموعة فقد كان لكل كتاب جانبا من الدراسة مهتم به ومختلف عن غيره مما ساعدني في استكمال بحثي والإلمام بجميع جوانبه

بالاعتماد على مصادر ومراجع أساسية وغيرها وبتحديد مراحل البحث، حاولت تحليل موضوعي الذي تبنيته وهو نموذج إفريقي من نماذج عدة ساهمت في صناعة تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، وهو شخصية فذة استطاع أن يوحد القبائل غير المتجانسة تحت راية واحدة وهي راية إمبراطورية الماندينجو التي أسسها ساموري توري في الكوديفوار نهاية القرن 19م، والتي اعتمدت النظم الحديثة نموذجا لها في الحكم والتسيير ونشر الديمقراطية، لكن لم يحالفه الحظ في تحقيق هدفه المتمثل في توحيد كل غرب إفريقيا تحت راية واحدة ليكون هو زعيما لها، وذلك بسبب تواجد الإمبريالية الفرنسية في المنطقة. لكن هذا لا ينقص من قيمته وقيمة مجهوداته وكفاحه، فقد كان حقا مثالا للزعيم والرجل الإفريقي القوي المناضل والغيور على أرضه وبلاده والمحب لشعبه، وعدم نجاحه في النهاية ليس عيبا فيه ولا تقصيرا منه، بل لأن الظروف كانت أقوى منه ومن إمكانياته، وهذا بشهادة العديد من المؤرخين الأوروبيين الذين كتبوا عن حنكة وحكمة هذا الرجل الفلاذي، والذين استغربوا قدرته على تسيير دولة واسعة الأطراف كدولة الماندينجو من طرف رجل بسيط لم يحض بقدر من التعليم. وبهذا يكون لساموري توري بصمته وأثره في تاريخ غرب إفريقيا الحديث، رغم كل الشبوهات والتحريف الذي تعرض له هذا التاريخ من طرف الأوروبيين.

وعن الصعوبات التي واجهتني:

حاولت قدر المستطاع أن أوفي الموضوع حقه وإن كنت ربما لم أتمكن من تحقيق ذلك كما أردت وكما يجب، وذلك نظرا لما واجهني من صعوبات أثناء بحثي، كنقص المادة العلمية خاصة المصادر والأرشيف الذي يتطلب جلبه الانتقال والحصول عليه خارج البلاد،

وذلك ما كان صعبا جدا بالنسبة لي لأسباب مادية وصعوبة الحصول على التأشيرة مؤخرا، وما زاد الطينة بلة بروز وانتشار جائحة كورونا، وما ترتب عنها من غلق للحدود البرية والبحرية والجوية، وأصبح أمر التنقل خارجا شبه مستحيل. كذلك أذكر أن معظم المادة العلمية في هذا الموضوع تتوفر باللغات الأجنبية خاصة الفرنسية والإنجليزية منها مما يستدعي الترجمة وهذا يأخذ وقتا طويلا وجهدا أيضا، ولا ننسى غلق المكتبات وصعوبة تحميل الكتب عبر الإنترنت بسبب ضعف الشبكة في الجزائر.

ورغم هذه الصعوبات، حاولت رسم صورة معبرة للحركات البطولية الملحمية ضد الغزاة الأوروبيين، والتي قادها مجموعة من خيرة فرسان إفريقيا الغربية على رأسهم الإمام ساموري توري الذي أرهق قوات الاستعمار وأرعب صفوفهم.

والله ولي التوفيق

الفصـل الأول:

إفريقيا الغربية وأهم إمبراطورياتها في العصر الحديث

المبحث الأول: الإطار الجغرافي والتاريخي لغرب إفريقيا (السودان الغربي):

I. الإطار الجغرافي

أ. أصل التسمية

عندما نبحث عن معنى مصطلح غرب إفريقيا وعن أصل تسميته عبر الزمان نجد أنه كان يطلق عليه مصطلح "السودان الغربي"[1]، وبلاد السودان هي تلك المنطقة التي عرّفها الرحالة والمؤرخون المسلمون الأوائل على أنها مشتقة من لفظ السود، وتعرف جغرافيا باسم "الحزام السوداني" الممتد من الشرق إلى الغرب[2]، ويعتبر العرب المسلمون هم أول من أطلق كلمة السودان على الشعوب والقبائل التي تسكن هذه المنطقة[3]، أما عن أصل تسمية بلاد السودان فقد اتفق معظم المؤرخين على أنها تعني بلاد السود أي الجنس الأسود[4].

ب. مصطلح السودان الغربي في المصادر العربية

اصطلح الجغرافيون والمؤرخون والرحالة العرب المسلمون في العصور الوسطى على تسمية المناطق الواقعة جنوب الصحراء الإفريقية الكبرى وشمال خط الاستواء اسم بلاد السودان، حيث وصفها **الاصطخري** قائلا:" .... فإن بلاد السودان الذي في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد مكنف ليس بينه وبين شيء من الممالك اتصال، غير أنّ حدًّا له ينتهي إلى البحر المحيط، وحدًّا له بينه وبين أرض المغرب، وحدًّا له بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات وحدًّا له ينتهي إلى برية"، وقال أيضا:".... وبلاد السودان بلدان عريضة

---

(1) يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م، ويليه الإستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص ص 8-10.

(2) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، ط01، دار نهضة الشرق، القاهرة، مصر، 1985، ص 62.

(3) الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا وراء الصحراء، ط01، الدار المصرية اللبنانية،مصر، 1999، ص 17.

(4) نبيلة محمد حسن: في تاريخ إفريقيا الإسلامية انتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن 05 م إلى 09 هـ، دار المعارف، مصر، 2007، ص ص61- 68.

وليسوا هم النوبة ولا الحبشة...إنهم جنس على حده أشد سوادا...."[1]. ووصفها **البكري** قائلا: ".... أول بلاد السودان.... جبال ورم العظية متصلة من الغرب إلى الشرق..."[2]. وأما **القلقشندي** فقد حدّدها بنفس الحدود تقريبا[3].

أما **الحسن الوزان** فقد حددها في قوله: "... أرض السودان فيبتدأ شرقا بمملكة كوكا، ويمتد غربا إلى مملكة ولاتة، ويتاخم في الشمال صحراء ليبيا، وينته جنوبا إلى البحر المحيط في مواقع لا نعرف عنها غير ما يرويه التجار الذين يأتون إلى مملكة تنبكتو (تنبكت)، وهو كثير"[4]. كما حدد موقع الممالك السودانية الخمسة عشر التي زارها أنها: " تمتد هذه الممالك الخمس عشرة المعروفة كلها لدينا على طول ضفتي النيجر وروافده، وتقع بين قفزين عظيمين يبتدأ أحدهما عند نوميديا وينتهي في هذه البلاد، والأخر في الجنوب يمتد إلى البحر المحيط[5]".

أما عن أصل تسمية السود فربما استنبطوه من لون البشرة، حيث نجد **الأصطخري** يصف الشعوب التي كانت تسكن المنطقة في قوله: ".... أشد الأمم سوادا...."[6].كما قال عنهم **ابن الوردي** أنهم: "...شديدو السواد...."[7]. وبما أن المدلول اللفظي لكلمة السودان قد

---

(1) أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفاسي الإصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العالي الحيني، دار القلم، مصر، 1961، ص ص 10-11-34.

(2)أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري: المسالك والممالك، ج 02، تحقيق أدريان فان كيوفن وأندري فيري، الدار العربية، تونس، 1992، ص 837.

(3) أبو العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج 05، المؤسسة الوطنية المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1915، ص 273.

(4) الحسن الوزان: وصف إفريقيا، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، ط02، ج 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 29.

(5) نفسه: ج 02 ، ص 161.

(6)الإصطخري: المصدر السابق، ص 44.

(7) زين العابدين بن عمر ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق أحمد رفعت البدراوي، ط 01، بيروت، لبنان،1970، ص 135.

قد يعني الشعوب السوداء البشرة، فإنه من المرجح أن الكتَاب والمؤرخين والجغرافيين العرب في العصور الوسطى وكذلك الأوروبيون في العصور الحديثة قد حصروا هذه التسمية في الجزء الشمالي من المناطق الإفريقية التي يسكنها السود وهي منطقة حزام السافانا[1]، أو شبه الصحراوية التي تغلغل فيها الإسلام، وعليه فإنه يمكن تحديد السودان من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا، ومن الهامش الجنوبي للصحراء الإفريقية الكبرى شمالا حتى المنطقة الاستوائية جنوبا.

ويذكر **ابن خلدون** بلاد السودان في قوله: "...والسودان أصناف وشعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق والتوبة ويليهم الزغاوة، ويليهم الكانم ويليهم من غربهم كوكو، ويمتدون منالبحر المحيط إلى غانة...."[2].ولقد حددها ابن حوقل في قوله: "...جنوبي الأرض من بلاد السودان، فإن هذه البلاد في أقصى المغرب حتى البحر المحيط وهو بلد متلف، وينتهي إلى برية بينه وبين المغرب.... وبرية بينه وبين أرض مصر[3]".

خلاصة القول فيما سبق ذكره أن تسمية بلاد السودان الغربي يعود إلى أن سكان هذه المناطق من ذوي البشرة السوداء، ومع مرور الوقت أصبحت تسمى بغرب إفريقيا، أما تسميتها بهذا الاسم فنتيجة موقعها في الجهة الغربية للقارة الإفريقية.

---

[1] **السافانا:** هي حشائش تنبت فيما بين المناطق شبه الصحراوية والغابات الاستوائية الكثيفة، وأطلق مصطلح السافانا على ذلك السهل الذي يشغل حاليا المنطقة الكثيفة من دول غرب إفريقيا وهي: موريتانيا، السينغال، مالي، غينيا، بوركينافاسو، جزر الرأس الأخضر، المجر، ساحل العاج، وتعرف هذه الدول باسم المجموعة الإقتصادية لغرب إفريقيا ويرمز لها بـ (C.E.A.O)، أنظر: مطير سعد غيث أحمد: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة، السادس عشر والسابع عشر– دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي، ط01، دار المدار الإسلامي، طرابلس، ليبيا، 2005م، ص ص 30–31

[2] عبد الرحمن ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1979، ص 234.

[3] ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1979م، ص 24.

ج. الموقع الجغرافي[1]:

في الفترة المعاصرة تم تقسيم هذه المنطقة إلى ثلاث مناطق هي: السودان الشرقي، السودان الأوسط والسودان الغربي.وأصبحت المنطقة تحدد بالشكل التالي:

1) **السودان الشرقي:** ويمتد من البحر الأحمر شرقا حتى دارفور غربا ويضم: الحوض الأعلى والأوسط لنهر النيل[2]، وهذا القسم أطلق عليه العرب بين القرنين التاسع والثاني عشر للميلاد اسم بلاد "الزنج" إلا أن كلمة السودان كانت تشمله أيضا[3].
2) **السودان الأوسط:** وهو يشمل المنطقة المحيطة ببحيرة التشاد[4].
3) **السودان الغربي:** وهو يشمل حوض نهر السنغال، نهر غامبيا والمجرى الأعلى لنهر الفولتا والحوض الأوسط لنهر النيجر.

بما أن موضوع هذه الدراسة هو هذا القسم الأخير الذي يشكل جزءا من غرب إفريقيا، فيمكن تحديد موقعه بتلك المنطقة التي تطل على المحيط الأطلسي من الغرب ومن الجنوب، تحدها الصحراء الكبرى شمالا، ومن الشرق خط يمر بالحدود الشرقية لنيجيريا، وليس من اليسر تحديد الحدود الشمالية والشرقية لغرب إفريقيا تحديدا دقيقا، وذلك لعدم وجود حواجز جغرافية طبيعية من الشرق أو من الشمال تعتبر علامات بارزة تحدد بجلاء اتساع الأقاليم التي تحتوي عليها إفريقياالغربية[5].

---

[1] أنظر: الملحق رقم 01، ص195.

[2] محمد بن عمر التونسي: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل عساكر وآخرون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، مصر، 1965، ص 132.

[3] عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء– دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 19.

[4] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493م–1591، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1961، ص 15.

[5] ابن حوقل النصيبي: المصدر السابق، ص 26.

أما موقعها الفلكي، فتقع أراضي غرب إفريقيا ما بين خطي عرض 4° و 16° شمال خط الاستواء في الجنوب، وخطي طول 13° و 17° غرب خط غرينش[1].

كما يمكننا تحديد إقليم غرب إفريقيا على أنه يمثل موطن الجماعات الزنجية النقية، أو الزنوج الحقيقيون، فيمتد هذا الإقليم من مصب نهر السنغال شمال خط الاستواء تقريبا، وحتى الحدود الشرقية لنيجيريا[2].

بالإضافة إلى أننا إذا تقدمنا إلى غرب إفريقيا من الناحية الشمالية لاحظنا تغيرا جغرافيا يطرأ عليه شيء من التدرج أثناء انتقالنا من الصحراء إلى الأماكن الآهلة بالسكان[3]، ولقد شمل إقليم إفريقيا الغربية خمس عشرة دولة[4]، ومعظم هذه الدول تشرف على خليج غينيا وهي: موريتانيا، النيجر، نيجيريا، مالي، بوركينافاسو، جزر الرأس الأخضر، البنين، التوغو، ساحل العاج، ليبيريا، سيراليون، غينيا كوناكري، غينيا بيساو، غامبيا، والسنغال[5].

بناءا على هذا التقسيم المعاصر تتوزع الممالك الخمسة عشرة التي زارها "الحسن الوزان" في بداية الفترة المدروسة على السودان الغربي والسودان الأوسط والسودان الشرقي، والتي تهمنا هي التي تقع في السودان الغربي[6] وهي: ولاتة، غينيا أوجني، مالي، تنبكت، كيرة، كاغو جاو، أغدس، هذه الممالك كانت خاضعة لمملكة سينغي أكبر قوة سياسية للسودان الغربي في تلك الفترة (القرن العاشر هجري/ 16م)، امتدت حدود مملكة سينغي في

---

(1) محمد فاضل علي باري وسعيد ابراهيم كريديه: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، ط 01، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007، ص 13.

(2) فيج جي دي: تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة وتقديم وتعليق السيد يوسف نصر، راجع الترجمة إلى العربية دكتور بهجت رياض صليب، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1982، ص17.

(3) عبد الرحمن زاكي: تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، القاهرة، مصر، 1961، ص 7.

(4) إبراهيم أحمد سعيد: إفريقيا جنوب الصحراء، دراسة في الجغرافية الإقليمية، ط01، مكتب التعريب للترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 1993، ص 127.

(5) يوسف روكز: إفريقيا السوداء– سياسة وحضارة، ط02، بيروت، لبنان، 1986، ص36.

(6) الحسن الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص ص 162–171.

فترة من تاريخها إلى السودان الأوسط وقد كان يحكمها الأسكيا محمد الكبير(1493-1528)، ومن الممالك التي تدخل ضمن هذا القسم الأخير والتي زارها الحسن الوزان هي: كوبر، كانو، كاتسينا، وزكزك، وزنقري، وتعرف هذه الممالك بممالك الهوسا أو الحوصا[1].

د. **المؤهلات الطبيعية:**

1. **التضاريس:**

تمتاز تضاريس غرب إفريقيا كونها متنوعة ما بين سهول تنحدر من حافة الكتلة القديمة من الشرق نحو الغرب، وتتكون من الرمال التي يتخللها بعض الصلصال وأحيانا قد نلاحظ ظهور بعض الرمال على شكل كثبان في جزئها الشمالي، ونجد أنَّ الساحل السنغالي يتميز بانخفاض رملي بين نهر السنغال والرأس الأخضر بالقرب من مدينة دكار، أمَّا جنوب دكار فهي منطقة صحراوية تتخللها مجموعة من الخلجان مثل خليج سالوج وساحل كزاماس، أين نجد متوسط الارتفاع فيها هو 200م على مستوى سطح المحيط الأطلسي[2].

تنقسم غرب إفريقيا إلى ثلاث مناطق من الشمال إلى الجنوب وهي :

- ✓ **المنطقة الشمالية:** تقع بين صحراء الشمال على وادي النيجر الأوسط جنوبا، وفي المنطقة الصحراوية تتخللها بعض الوديان والواحات[3].

---

[1] تقع هذه الممالك بين مملكة سنغي في الغرب ومملكة البورنو في الشرق، ولطالما كانت مطمع المملكتين السابقتين وهي مكونة من عدة ممالك. انظر:

J.SpenserTrimingham :A history of Islam in west Africa, Oxford, London, 1963, pp 126-138.

[2] محمد بن شوش: التوسع الفرنسي في السنغال وموقف القوى المحلية منه (1850-1919م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف الدكتور تلمساني بن يوسف، جامعة الجزائر 02، قسم التاريخ، الجزائر، 2012-2013م، ص21

[3] محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص22.

- ✓ **المنطقة الوسطى:** تمتد من بحيرة التشاد شرقا حتى منطقة فوتاتور غربا وترتفع وسطها هضاب النيجر، وهي من أكثر المناطق تركزا للسكان وللنشاط الزراعي وتربية الماشية والصيد[1].
- ✓ **المنطقة الجنوبية:** هي المنطقة المشرفة على خليج غينيا وتضم عدة كتل جبلية منها: فوتاجالون وتغطي هذه المنطقة الغابات الاستوائية الكثيفة[2].

❖ **السهول:**

سهول إقليم غرب إفريقيا هي سهول ضيقة نتيجة اقتراب حافة الهضبة القديمة، لكنها تتسع أكثر في منطقتين هما: التي تشمل سهول السنغال ومنطقة دلتا النيجر ومجراه الأدنى، وقد نشأت نتيجة الترسبات النهرية وتراجع البحر في غامبيا[3]، كما تحتوي مرتفعات نيجيريا على سهول يصل ارتفاعها إلى 15 قدما، وتمتد من مرتفعات غينيا[4]غربا إلى مرتفعات شرق نيجيريا واللّذان يجري فيهما نهر الفولتا والنيجر[5].

---

(1) نعيم قداح: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1960، ص2.

(2) الهادي مبروك الدّالي: المرجع السابق، ص17.

(3) محمد رياض وكوثر عبد الرسول: إفريقيا دراسات لمقومات القارة، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2014، ص71.

(4) **غينيا:** تقع جمهورية غينيا بين سيراليون وغينيا بيساو، تنحصر ربموقعها الفلكي بين دائرتي عرض8.5° و12.7° شمالا وبين خطي الطول 7° و15° غربا، وتطل على المحيط الأطلسي. ولقد ذكرها الحسن الوزان في قوله: «هي تلك المملكة ما كان يسميها التجار الأفارقة كناوة والأهليون يسمونها جني، والبرتغاليون يسمونها غينيا". وتحتل غينيا نصف المثلث الغربي لإفريقيا. أنظر: كل من جودة حسن جودة: جغرافية إفريقيا الإقليمية، ط9، جامعة الإسكندرية، القاهرة، مصر، 1996، ص351، وكذلك محمد خميس زوكة: دراسة في الجغرافية الإقليمية، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، مصر، 2008م، ص357، وكذلك أنظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص193. للمزيد انظر: الملحق رقم 02، ص196.

(5) عبد القادر مصطفى المجيشي وآخرون: جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2000م، ص169.

❖ **الهضاب:**

تتميز هضاب غرب إفريقيا بأنها هضاب صالحة للزراعة، أهمها الهضبة الوسطى التي تتكون من صخور قديمة العهد مشكلة قاعدة لجبال غينيا ومرتفعات نيجيريا وتضم هذه المرتفعات سهول[1]. أما ارتفاع هضابها فهي متوسطة وقليلة الارتفاع والحجم وأهمها: هضبة " فوتاجالون" في الجنوب الغربي وهضبة "جيوش شال" بنيجيريا[2].

❖ **الأنهار:**

الأنهار في غرب إفريقيا كثيرة ذات أهمية طبيعية وتاريخية وسياسية، وتعتبر" الفوتاجالون" السابقة الذكر مصدرا أساسيا ورئيسيا للمياه لكثرة أمطارها وتركيبتها الجيولوجية التي تسمح لها بتخزين المياه[3]، وبالتالي فقد كان لهذه الأنهار دور هام في تاريخ المنطقة وأهم هذه الأنهار:

الأنهار المعروفة اليوم بنهر النيجر ونهر السنغال ونهر غامبيا، ولقد كان الجغرافيون السنغال قد أطلقوا عليها تسمية نيل السودان أو بحر السودان، وتتبع من وسط إفريقيا وتصب في البحر المحيط.

استمر هذا الاعتقاد سائدا إلى غاية كتابة بعض المؤرخين اللذين زاروا المنطقة وحدَدوا حدودها، فقد تكلم الفشتالي في هذا الخصوص قائلا: " نيل السودان يجري من الشرق إلى أقصى المغرب وعليه جميع بلاد السودان أو أكثرها ومبدؤهما معا من جبل القمر الذي فوق خط الاستواء بست عشرة درجة، وذلك أنه يخرج منه عشرة عيون فتصب خمسة أنهار منها

---

[1] عبد القادر مصطفى المجيشي وآخرون: المرجع السابق، صص159- 160.

[2] نفسه: ص102.

[3] عبد القادر محمد سيلا: المسلمون في السنغال معالم الحاضر وأفاق المستقبل، ط1، مطابع الدولة الحديثة، قطر، 1986، ص25.

في بطيحة وتخرج خمسة أنهار فتصب في بطيحة أخرى..."[1]. إلا أن الدراسات أثبتت فيما بعد نتائج أخرى سنتطرق إليها في ما يلي:

- **نهر النيجر:**

هو ثالث أنهار إفريقيا بعد النيل والكنغو، يمتد في غرب إفريقيا على شكل قوس يتجه من الجنوب الغربي حتى الشمال الشرقي يبلغ طوله حوالي 4200 كلم، ينبع من الحدود الغينية مع سيراليون ويمر على كل من غينيا ومالي والنيجر[2].

ولقد أطلق المستعمرون الأوائل على مجموعة الأنهار المتصلة بنهر النيجر تسمية أنهار الزيت وذلك كون المنطقة كانت مشهورة بإنتاجها لأجود أنواع الزيوت[3].

لقد اختلفت الآراء حول منبع نهر النيجر واتجاهه ولم يفلح البعض منهم في تحديد مساره، وفي القرن السادس عشر قام حسن الوزان الزياتي[4]برحلة من فاس عبر الصحراء إلى سجلماسة وإلى تمبكتو ومالي، وأكد أن النهر يسير في الغرب في قوله: إنه في جبال تقع إلى جهة الغرب ثم يسيل إلى الشرق ليتحول إلى بحيرة[5]"،إلا أنه تراجع عن قوله ليظل هذا الاعتقاد سائدا إلى غاية القرن التاسع عشر ميلادي، فهو ذا المؤرخ المغربي الزياتي

---

(1) أبو فارس عبد العزيز الفشتالي: مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفا، تحقيق: عبد الكريم كريم، من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط، المغرب، 1972، ص145.

(2) عبد الرحمان زكي: تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، الدار المعربة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،1961، ص7.

(3) شوقي عطا الله الجمل: تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، القاهرة، مصر، 1971م، ص93.

(4) اشتهر باسم ليون الإفريقي، ولد في غرناطة فيما بين(1489-1495)، لجأت أسرته إلى المغرب بعد طرد المسلمين من الأندلس، تحول في بلاد المغرب لحساب سلطانها، قام برحلته إلى السودان من تمبكتو حتى مصر مارا ببلاد الهوسا، كلفه سلطان فاس بمهمة وأثناء أدائها وقع أسير للقراصنة، وأجبر على اعتناق المسيحية من طرف البابا ليون العاشر، اشتهر باسم ليون الإفريقي عن كتابه "وصف إفريقيا". أنظر: إلهام محمد علي الذهني: جهاد المماليك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي(1830-1914)، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1988، ص22،23.

(5) الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص30.

يورد نفس المعلومة التي أوردها الفشتالي عن الأنهار[1]، إلا أنه أثبت العكس عن طريق الكشوفات الجغرافية التي قام بها الرَحالة الأوروبيون الذين كانوا لا يعلمون شيء عن دواخل القارة حتى القرن التاسع عشر، إذ استطاع الرَحالة منجو بارك (Mango Park) أن يحل المعضلة ويحدد اتجاه مسار النهر من الغرب إلى الشرق[2] هذا دون أن يكشف منبعه وبعد وفاته في رحلته الثانية إلى السودان الغربي كثفت الجهود لتكشف منبع نهر النيجر من طرف الرحالة الأوروبيون[3].

- **نهر السنغال:**

لقد كان له بالغ الأهمية في تاريخ المنطقة والذي ينبع من نفس المنطقة التي ينبع منها نهر النيجر[4]، فهو غالبا يقع أقصى غرب إفريقيا، ينبع من هضبة فوتاجالون بغينيا على ارتفاع 750م عن مستوى سطح البحر، ويمر عبر مالي وموريتانيا ويتوجه غربا ليجري في منطقة السنغال التي تضم أغلب أجزاءه وروافده ويصب في المحيط الأطلسي[5]، كما يمتاز نهر السنغال بانحدار مجراه التدريجي في المنطقة المستوية الساحلية وهو قليل العمق إذ لا يتجاوز عمقه ثلاث أمتار[6]، وهو نهر صالح للملاحة في بعض أجزائه في بعض فصول السنة، موقعه الاستراتيجي جعله الباب الأمامي لأوروبا نحو غرب إفريقيا[7].

---

(1) أبو القاسم الزياتي: الترجمانة الكبرى، مطبعة فضالة، المحمدية،المغرب، ص315.

(2)Mungo Park :Voyage dans l'intérieur de l'Afrique, trad : Adrian Adams, François Maspero, paris, 1980.

(3) جوزفين كام: المستكشفون في إفريقيا، تعريب: يوسف نصر وآخرون، دار المعارف، مصر، 1983، ص ص 85، 167.

(4) الهام محمد على الذهني: المرجع السابق، ص24.

(5) محمد بن شوش: المرجع السابق، ص21.

(6) الهام محمد على الذهني: المرجع السابق، ص24.

(7) عبد القادر محمد سيلا: المرجع السابق، ص25.

- **نهر غامبيا:**

هو أحد أهم الأنهار بغرب إفريقيا ينبع من هضبة فوتاجالون ويصب بالمحيط الأطلسي هو صالح للملاحة داخل أراضي السنغال إلَا أنَه قليل التأثير والأهمية لأنَه يتوجه عبر الأراضي الغامبية غربا بمسافة 384كلم ليصب في المحيط الأطلسي[1].

إضافة إلى هذه الأنهار، هناك أخرى أقل أهمية منها أنهار الكازامانس في السنغال، نهر فولتا وأنهار داهومي، وهناك من الأنهار من تنحدر من المنحدرات الغربية وهي سريعة الجريان أهمها: سانت بول ونهر كاسمانس في سنغال وأنهار فولتا الأبيض والأسود التي تقع في بوركينافاسو،وهناك ساعدان للمحيط الأطلسي. كما يوجد أنهار أخرى في ساحل العاج هي "باندما" و"كفالي"و"الكوموية" وتصب كلها في خليج غينيا، أما البحيرات فهي شبه منعدمة باستثناء بحيرة فولتا بغينيا[2].

2. المناخ:

يسود غرب إفريقيا مناخ شبه استوائي يمتاز بزيادة كبيرة في نسبة الرطوبة، وذلك بارتفاع عام في درجة الحرارة، ويتميز بثبات في الأحوال الجوية والفروق الحرارية، وتشهد هذه المنطقة هبوب رياح قادمة من الضغط العالي من جزر آزور وهي باردة مشبعة بالرطوبة، تكثر فيه الرطوبة وتكثر فيه الأمطار غير أنها تقل كلما اتجهنا نحو الشمال والمناطق الداخلية تبقى غزيرة الأمطار، ويتنوع المناخ بتنوع موقع البلدان ومرتفعاتها في الشمال[3].

---

[1] عبد القادر محمد سيلا: المرجع السابق، ص25.

[2] الهام محمد على الذهني: المرجع السابق، ص ص20- 22.

[3] محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه: المرجع السابق، ص ص21، 22. كذلك أنظر: عبد القادر مصطفى وآخرون: المرجع السابق، ص 159.

في إفريقيا يعتبر سقوط الأمطار مشكلة ذات طابع مميز لأنها تتركز غالبا في فصل واحد من السنة، كما أنها غير كافية لمواجهة احتياجات الأرض وغالبا مناخ إفريقيا جنوب الصحراء بشرقها وغربها، شمالها وجنوبها موحد إلى حد كبير، ولكن رغم ذلك هناك منطقة محدودة للغابات المطيرة تختلف فيها كمية الأمطار ويختلف الغطاء النباتي[1]. ويمكن أن نعتبرها منطقة انتقالية بين المناطق الصحراوية الجافة في الشمال والمناطق الاستوائية الرطبة في الجنوب، وهو مداري حار ورطب وقد تم تقسيمه إلى موسم الجفاف الممتد من شهر ديسمبر إلى شهر جوان والذي يتميز بحرارة مرتفعة وندرة الأمطار باستثناء شهر جانفي الذي تنخفض فيه درجة الحرارة صيفا وتقل نسبة التساقط كلما اتجهنا شمالا خاصة في شهر أوت وسبتمبر، وأما المنطقة الساحلية فتتميز بالرطوبة والحرارة[2].

3. الغطاء النباتي:

تتميز منطقة غرب إفريقيا بعدم وجود الجبال والأحراش وإنما توجد بها حشائش السافانا وتتخللها بشكل غير منقطع بعض الأشجار، وهذه المنطقة تشبه براري أمريكا بين تكساس وداكوتا. في جنوب هذه الصحراء تبدأ منطقة السافانا وتزداد حشائش السافانا كثافة وارتفاعا حتى تصل إلى منطقة المطر الذي يسمح بنمو الغابات في غرب إفريقيا، والغطاء النباتي للغابات المطيرة كثيف، وأما النباتات الأخرى فتتوقف نوعيتها على كمية الأمطار[3].

---

[1] دونالد وايدنر: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة علي أحمد فخري والدكتور شوقي عطا الله الجمل والدكتور عبد الملك عودة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1976، ص ص07،08.

[2] محمد بن شوش: المرجع السابق، ص24.

[3] دونالد وايدنر: المرجع السابق، ص ص07،08.

4. الثروات الطبيعية:

تنوعت الثروات الطبيعية بغرب إفريقيا خاصة المعادن والتي شكلت محور اهتمام ولفت أنظار الخارجية، ومن بين المعادن التي غطت أراضي غرب إفريقيا نجد الحديد في موريتانيا، الفوسفاط في السنغال، البوسكيت في غانا وغينيا، الألماس في سيراليون والأورانيون في مالي والنيجر وغانا وبوركينافاسو. ونجد بعض المنتوجات الزراعية المهمة أبرزها أشجار البن في ساحل العاج وكذلك أشجار الكاوكاو في ساحل العاج وغانا ونيجيريا، وأشجار الذرة والموز والأرز والحبوب. كما حوت المنطقة ثروة سمكية وحيوانية[1].ونستشهد عن ثروات إفريقيا قول الفشتالي :" وأرض كرم الله تربتها وأبان فضلها بما اختصها به من معادن الذهب الذي به قوام العالم....[2]"

II. الإطار التاريخي لغرب إفريقيا

1. التركيبة البشرية:

إن الموقع الذي يحتله غرب إفريقيا وما يتوفر عليه من مرافق طبيعية يؤهله أن يكون محطة استقرار العديد من الأجناس البشرية، فقد جاء عن الفشتالي في قوله: "ممالك متعدد الأقطار متنوعة الأوطان والأوطار، رجمة المرافق والفوائد ومألف محشر الأمم وبستان العالم ومدرج الذر من بني آدم[3]".

إن غياب التدوين المحلي للمنطقة في تلك المرحلة سبب صعوبة في البحث عن أصول السكان في غرب إفريقيا، لكن عند النظر في سكان المنطقة نجدهم مميزين عن

---

[1] دنيس بولم: الحضارات الإفريقية، ترجمة: علي شاهين، دار المكتبة، بيروت، لبنان، 1974م، ص116. كذلك أنظر: محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه: المرجع السابق، ص23.

[2] الفشتالي: المصدر السابق، ص117.

[3] نفسه: ص145.

بعضهم البعض من ناحية اللغة والوجه والشكل الجسماني[1]، ويردد أغلب المؤرخين الذين أرّخو للمنطقة أنه عاش فيها نوعين من السكان المحلين والوافدين[2]، إذ عرفت المنطقة هجرات متتالية لاسيما من الشمال الإفريقي ومن الشرق نحو الغرب، حيث وجد سكان الجزيرة العربية طريقا للهجرة إلى غرب إفريقيا وهو برزخ السويس ومنه تمكن الغرب من التوغل في المنطقة عن طريق وادي النيل، كما أن الصحراء الكبرى لم تكن قط حاجزا يحول دون بلوغ العرب أو البربر منطقة غرب إفريقيا لاسيما وأن الصحراء لم تكن جافة وقاحلة في الماضي كما هي عليها اليوم[3].

سنتناول أبرز القبائل والشعوب التي سكنت غرب إفريقيا وكان لها تاريخ في المنطقة على النحو التالي:

أ. **القبائل المحلية:**

✓ **السونينك:**

هي قبائل تعيش في الصحراء، تركزوا على الحافة الجنوبية بالقرب من ساحل المحيط[4].

وتتميز هذه القبائل بصفات جسمانية خاصة وتقاليد اجتماعية معينة، انتشر نفوذهم في أجزاء واسعة من غرب إفريقيا[5].

---

[1] نعيم قداح : حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، ط2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر،1975، ص17.

[2] Raymond Mauny :Tableau géographique de l'Ouest Africain au moyen age, IFAN ,DAKAR,1961, p 13 .

[3] نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، المرجع السابق، ص ص13-14.

[4] عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ص46.

[5] مطير سعد غيث: الثقافة الإسلامية في مجتمع السودان الغربي، دار المنار الإسلامي، ليبيا ، 2005، ص39.

ولقد امتزج السونينك مع القبائل الوافدة، وأدى ذلك إلى تغير بعض الشيء في ألوانهم، حتى أن قبائل الولوف يطلقون على قبائل سونينك المقيمين في حوض السنغال اسم تشيركول أو سراكول، وتعني هذه التسمية عند الولوف الرجال الحمر أوالناس الحمر. وتضم مجموعة السونينك فروعا مختلفة اشتهرت بأسماء متنوعة تبعا للأماكن التي قامت بها أو تبعا للعشائر التي برزت من بينها أو بحسب تسمية جيرانهم لهم[1].

ونتيجة الامتزاج المبكر بين السونينك ومسلمي الشمال الإفريقي الوافدين، اعتنق السونينك الإسلام وقاموا بنشره في بلادهم[2].

✓ **قبائل الصوصو:**

هي قبائل وثنية كانت خاضعة لمملكة غانة[3] عندما كانت في عز ازدهارها، وما إن سقطت هذه المملكة تحت ضربات المرابطين حتى انقلبت ضدها واحتلت عاصمتها كومبي صالح عام 1203م، إلا أن طموح قبائل الصوصو في التوسع لم يدم وسرعان ما ظهرت قبائل أخرى هي قبائل الماندينجو مؤسّسة مالي الإسلامية التي قضت على طموحاتهم السياسة[4].

---

[1] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص23.

[2] مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص40.

[3] **مملكة غانة:** من أقدم الممالك التي قامت، مع أن فجر تاريخها غير دقيق ولكن يرجح وجودها منذ القرن الثامن ميلادي فصاعدا، سقطت حوالي 1203 علي يد المرابطين. لمزيد من المعلومات حول هذه المملكة أنظر: ابن فضل اللّه شهاب الدّين أحمد بن يحي العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج25، ، ألمانيا الاتحادية، 1989، ص96، وكذلك البكري: المصدر السابق، ج2، ص857.

[4] لمزيد من التفاصيل عن كيفية قضاء قبائل الماندينجو على قبائل الصوصو أنظر: الهادي مبروك الدالي: العلاقات بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي من 7-9هـ/13-15م، دار المحيط العربي، بيروت، لبنان، 1999، ص22.

✓ **قبائل الماندينجو:**

الماندي أو الماندينجو هي قبائل انتشرت بضعة قرون في المنطقة الممتدة بين نهر النيجر والمحيط الأطلنطي، وفي السنغال والأقسام الشمالية من سيراليون ونيجيريا، وقد أسس هذا الشعب أهم مملكة آنذاك وهي مملكة مالي[1].

✓ **قبائل البامبارا:**

هي إحدى فروع **الماندينجو** التي عاشت في المنطقة المعروفة حاليا بموريتانيا وهي قبائل وثنية [2] استمرت على وثنيتها رغم انتشار الإسلام في تلك المنطقة في عهد المرابطين[3]، ولقد عرفوا بعدائهم الشديد للمسلمين[4].

✓ **قبائل الولوف والتكروروسنغي:**

هم جماعة سكانية تنتشر في حوض السنغال الأدنى، يتميز هذا الشعب بقامته الطويلة وشعره الأسود، وذكائهم وحضارتهم الراقية[5]. وأمَا قبائل التكرور فقد سكنوا بواد السنغال المحيط بالنهر متأثرين كثيرا بالموريتانيين شكلا وملمحا في نظامهم الاجتماعي وهم من الزنوج[6]. كما عاشت بالمنطقة قبائل الموسي أو الموشي وأقامت مملكة وثنية في منحى نهر

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق ص45. وأنظر كذلك إلهام محمد الذهني: المرجع السابق ص29.

[2] توماس أرنولد: الدعوة على الإسلام، ترجمة حسن محمود حسن وآخرون، مكتبة النهضة المعربة، القاهرة، مصر، 1970م، ص358.

[3] **المرابطين**: هم قبائل ملثمة، قامت دولتهم على أكتاف ثلاث قبائل صنهاجية هي الدالة،المتونة ومسوفة، وكان مهد هذه القبائل في المنطقة التي بين مصب نهر السنغال وحوضه الأدنى إلى منحنى نهر النيجر والمحيط الأطلسي غربا . لمزيد عن دولة المرابطين أنظر: عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص69، كذلك محمد عبد الوهاب شعيرة: المرابطون وتاريخهم السياسي(430-439)، ط1، دار الاتحاد العربي، القاهرة، مصر، 1969، ص16.

[4] نعيم قداح : حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، المرجع السابق، ص19.

[5] الهام محمد علي الذهني: المرجع السابق، ص29. ونعيم قداح: المرجع السابق، ص38.

[6] حسن حلاق: تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2000م، ص411.

نهر النيجر[1]. ومن القبائل التي عاشت في المنطقة نذكر أيضا قبائل سنغي من دندى شمال الداهومي[2]، ولقد صعدت مع مجرى نهر النيجر حتى وصلت منطقة كوكيا الوفيرة الخيرات فاستقرت حولها[3]، وينقسم هذا الشعب السراكولي إلى فريقين هما الصيادون والفلاحون[4].

✓ **الزنوج:**

هم أساس السكان الأصليين، يمتازون ببشرة سوداء وجماجم طويلة وشعر مجعد وأنف طويل وبقصر القامة، وينقسمون إلى عدَة قبائل ويعتنقون الوثنية[5]، ويتواجدون في كل من نيجيريا وبنين وتوغو والأجزاء الجنوبية من نيجر وغانا وليبيريا وسيراليون وغينيا ودكار والسنغال[6].

ب. القبائل الوافدة:

1-القبائل الصنهاجية:

لقد اختلف المؤرخون حول أصول هذه القبائل، فالمؤرخ المغربي ابن أبي زرع قد أشار إلى ذلك في قوله:"لمتونة فخذ من صنهاجة وصنهاجة فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير.....بن وائل بن حمير، لما ملك حمير خرج غازيا نحو بلاد المغرب وأرض إفريقية

---

[1] حسن محمد نبيلة: المرجع السابق، ص274.

[2] الخليل النحوي: إفريقيا المسلمة الضائعة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993، ص 177.

[3] محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، دار الرشيد، بغداد، العراق، 1982م، ص53.

[4] آدم عبد الله الألوري: موجز تاريخ نيجيريا، منشورات دار مكتب الحياة، بيروت، لبنان، 1965، ص156.

[5] محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه: المرجع السابق، ص 24.

[6] عبد القادر مصطفى المجيشي وآخرون: المرجع السابق، ص114.

وخلق بها قبائل حمير وزعمائها صنهاجة.....[1]"، أمّا عن حدودها فقد حددها بالصحراء التي مابين " بلاد البربر، وبلاد السودان"[2].

وهذه القبائل لا تكاد تحصى لكثرتها، لكن القبيلة التي شكلت جزءا هام من البنية السكانية للمنطقة وخصوصا الأجزاء الشمالية منها هي قبائل الطوارق أو التوارك المسوفية الصنهاجية[3].

2- الحاميون والفولانيون والمور:

هم مجموعة من الشعوب التي تنتمي إلى العرق الأبيض القوقازي[4]، ويعود أصلهم إلى آسيا وجنوب الجزيرة العربية، ويمتازون بقامة وبشرة نحاسية ووجه بيضاوي وأجسام نحيلة، يتدرج ضمن المجوعة البربر أهم فروع البربر في غرب إفريقيا نجد:

الفولانيون: ولقد اختلف المؤرخون في أصلهم، فمنهم من يرى أنهم فرس نزحوا إلى آسيا، ومنهم من يرى أنهم من اليهود ومنهم من يرى أنهم من العرب الأمويين، وهناك اعتقاد آخر يرى أنهم نتيجة احتكاك الزنوج والحاميون بشعوب البيض، وينتشرون في المنطقة الممتدة من السنغال حتى الكاميرون، لكن أغلبهم متواجدون في نيجيريا[5].

المور[6]:يتواجدون بكثرة في موريتانيا وغامبيا ومالي، يتكلمون اللغة العربية ويتميزون

---

(1) أبو عبد الله محمد ابن عبد الحليم ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطراب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مجلد بالمكتبة الوطنية، الجزائر، 1972، ص80.

(2)نفسه: ص81.

(3) عبد الرحمان السعدي: تاريخ السودان، طبعة هوداس، فرنسا، 1964م، ص45.

(4)يتوزع القوقازيون في كل أجزاء شمال إفريقيا، وهم نتيجة اختلاط العرب بالأقباط في مصر. أنظر: محمد فاضل علي باري وإبراهيم سعيد كريديه: المرجع السابق، ص24.

(5)عبد الرحمان السعدي: المصدر السابق، ص24.

(6)**المور**: كلمة غير عربية تعني مسلمي الأندلس وسكان الموانئ، أمّا في العصر الحديث فتطلق على سكان موريطانيا ومسلمي سيريلنكا. أنظر: عبد الرحمن السعدي: المصدر السابق ، ص25.

ببشرة سمراء[1].

ج. **القبائل العربية:**

عرفت منطقة شمال إفريقيا حوالي القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي هجرة ثلاث قبائل عربية من المشرق العربي هي: قبائل بني حسان من بني معقل، وقبائل بني سليم وقبائل بني هلال، وذلك انتقاما للفاطميين من المعز بن باديس الصنهاجي الذي خلع طاعة الفاطميين وسارو غربا، حتى وصلوا سهول المغرب الأطلسي حوالي القرن السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي. وفي القرن السادس عشر ميلادي[2]، سكنت قبائل بني حسان من بني معقل منطقة حوض الجنوب الموريتاني الحالي، ثم اقتربت حتى وصلت منطقة غرب إفريقيا[3].

2. اللغة:

لقد خلق التنوع العرقي في غرب إفريقيا تنوعا لغويا، إذ تقدر عدد اللغات في المنطقة أكثر من 150 لغة أو لهجة، وأهم اللَغات المنتشرة في المنطقة" لغة " الهوسا" والتي بلغ عدد الناطقين بها حوالي خمسة وعشرون مليون شخص منهم عشرون مليون في نيجيريا والباقون موزعون في النيجر وغانا وبعض مناطق الكاميرون، ولغة الماندينج ولغة اليوروبا، واختلاف اللَهجات هذا أمر مبرر نظرا لكثرة الهجرات، وتعتبر اللغة العربية أكثر لغة انتشارا في المنطقة خاصة بعد انتشار الإسلام[4].

---

[1] الهام محمد علي الذهني: المرجع السابق، ص29 .

[2] مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص50.

[3] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص157، كذلك أنظر: عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، المرجع السابق، ص48.

[4] يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص10. وكذلك انظر: محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه: المرجع السابق، ص26.

المبحث الثاني: ممالك غرب إفريقيا:

لقد عرفت منطقة غرب أفريقيا في النصف الثاني من القرن 19م قيام عدة ممالك وإمبراطوريات ساهمت في مقاومة الاستعمار الفرنسي وعرقلة زحفه داخل القارة، خاصة وأنه ازداد توافده على سواحل أفريقيا الغربية، لكن عدم توازن القوى وكثرة المؤامرات والدسائس أدت في النهاية إلى سقوط هذه الإمبراطوريات الواحدة بعد الأخرى، ولقد كان أبرزها إمبراطورية الحاج عمر الفوتي وإمبراطورية سيكاسو .

I. إمبراطورية الحاج عمر الفوتي :

قبل الخوض في دارسة تاريخ إمبراطورية الحاج عمر يجدر بنا التعرف على هذه الشخصية الفريدة المناضلة القوية التي تركت بصمتها في تاريخ غرب أفريقيا.

1. مولده ونسبه:

هو عمر بن سعيد بن عثمان بن مختار الفوتي الكدوي،وهو من أسرة ذات نفوذ كبير في منطقة فوتاتور. كان والده يدعى سيدي سعيد ابن عثمان من المرابطين وينتمي إلى جماعة التوردوب التي قاومت الوثنية في هذه المنطقة بعد أن اعتنقت الإسلام وقامت بنشره، وصار أتباعها من أشد الناس حماساً لنشر الدين الإسلامي بغرب أفريقيا. وقد كان عمر هو الابن الرابع لأبيه، هذا الأخير الذي حرص على تربية ابنه وتعليمه وتنشئته نشأة دينية، وكانت أمه المسماة سكنة آدمة تقيه شديدة الإيمان ذات أخلاق عاليه، وفيه لزوجها، وعطوفة على أبنائها، وهي بذلك تعطي أحسن صورة للمرأة المسلمة، إذ تجمع بين الإيمان والورع والحكمة وبُعد النظر والخلق الحسن والإخلاص والوفاء[1].

ولقد اختلفت كثير من المصادر حول تاريخ ولادة الحاج عمر، فهناك من يذهب إلى أنّه ولد سنة 1794م ، إلّا أنّ معظم المصادر تتفق على أنّ الحاج عمر ولد في 01 رمضان 1211هـ الموافق لـ 28 فيفري 1797م،في فوتاتور في قرية ألوار أو حلوار و التي

[1] محمد فاضل علي باري: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة ، المرجع السابق، ص 199.

تبعد حوالي 40 كيلومتر عن بودور شمال جمهورية السنغال وعلى حدود السنغالية الموريتانية.

2. **تعليمه** :

أخذ الحاج عمر تعليمه في المرحلة الأولى من عمره عن أبيه الذي استفاد منه الاستفادة كبيرة، فحفظ على يديه القرآن الكريم وهو في الثامنة عشر من العمر، ثم اجتهد في تحصيل العلوم الشرعية ودرس اللغة العربية وعلوم الدين وصحيح المسلم وغيرها من الكتب والأحاديث.

انتقل الشيخ عمر إلى جهات عديدة بالسودان لتلقي العلم والعلوم الإسلامية تحت إشراف علماء محليين في منطقة فوتاتور.

وأثناء رحلته إلى فوتاجالون عبر من الطريقة القادرية التي أخذها عن أبيه وشيخ بلدته إلى الطريقة التجانية والتي كان للشيخ عبد الكريم الناقل الدور الأكبر في اختيار الشيخ عمر لها، ولقد صاحبه عمر وتلقى على يديه مبادئ الطريقة التجانية، ولقد أخذ منه أيضا التفسير والحديث وفقه المذاهب الأربعة، وتعمق أكثر في فهم التجانية بعد أن أدرك عجز القادرية وجمود ممثليها[1].

لقد كان عمرا محبوبا من طرف شيوخه نظرا لحدّة ذكائه وبعد نظره وشغفه الكبير بالعلم والمعرفة، وبعد أن طاف عمر في مختلف المراكز العلمية والثقافية،وأخذ العلم من أشهر العلماء والشيوخ، عاد إلى مسقط رأسه "بحلوار" ، ولقد استقبل الكثير من التقدير والاحترام وفي نفس الوقت احتاط منه شيوخ القادرية بسبب اعتناقه للتيجانية، إلاأنه لم يطل البقاء بينهم وانتقل إلى بيت الله لتأدية مناسك الحج ومقابله الشيخ محمد الغالي في المشرق والأخذ من علمه، فهو كان مهتما جدا بالتعمق في أصول التيجانية[2].

---

[1] محمد فاضل علي باري: المرجع السابق: ص 200.

[2] زاهر رياض: استعمار إفريقيا ، الدارالقومية للطباعة والنشر ،القاهرة، مصر،1965م ،ص119 .

بدأ عمر رحلة دينية ثقافية إلى الحج عام 1827م، توجه خلالها إلى مدينة ماسينا أين تلقى خبر وفاة الشيخ عبد الكريم الناقل،ولقد مكث هناك مدة قصيرة ثم رحل متجها نحو الشرق قاصدا سوكوتو، ولقد استقبله حاكمها الشيخ محمد بيللو ومكث فيها مدة سبعة أشهر. تزوج الحاج عمر إحدى قريبات الشيخ محمد بيللو وقام بتكوين علاقات ود وصداقة مع أعيان المنطقة وعلماءها ثم واصل طريقه نحو الحجاز مرورا بكل من الصحراء،طرابلس ومصر، وقد وصل الحجاز حوالي عام 1828م[1].

أدى الحاج عمر مناسك الحج وبعد الانتهاء منها اتجه نحو مصر واستقر بها رفقة أهله وأتباعه اللذين تركهم فيما بعد ليواصل طريقه نحو بلاد الشام، ولقد كلف أخاه برعايتهم في غيابه، وعاد عمر إلى مكة لأداء حجته الأخيرة واستغل الفرصة للقاء شيخه محمد الغالي والذي عينه خليفة للطريقة التيجانية بالسودان الغربي بعد أن أثبت أنه جدير بذلك[2].

❖ **عودته إلى السودان:** [3]

بعد سلسلة من الرحلات التي عاشها الحاج عمر،ومن خلال تجواله في بعض بلدان المشرق العربي،اكتسب عدة تجارب منها العقائدية والسياسية والتنظيمية، ولقد تأثر بالحركة الوهابية*التي انتشرت في نجد والحجاز وذاعت مبادئها في الإصلاح وحققت نجاحا كبيرا لما تهدف إليه من إقامة لدولة المسلمين وتمسكهم بروح الإسلام ومبادئه الصحيحة، ولقد تأثر الحاج عمر بكل ذلك من خلال مخالطة دعاة الوهابيين وأثار ذلك في نفسه رغبة محاربة البدع في بلاده. أما من الناحية السياسية والتنظيمية، فقد تأثر الحاج عمر بتجربة محمد

---

[1] Yves saint Martin: I'empire Toucouleur (1848-1897),le libre Africain , Paris, 1970, pp31-36.

[2] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا،سلسلة عالم المعرفة ،الكويت ،1989م، ص ص 82-81

[3] **الحركة الوهابية** : هي حركة إصلاح ظهرت في أواسط القرن، 17 وعرفت باسم صاحبها محمد بن عبد الوهاب (1703-1792م) والذي نادى بإعادة الإسلام إلى نقائه السلفي الأول والقيام بأركانه،كما دعا إلى محاربة البدع والخلافات .أنظر : كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة لينة أمين فارس ومنير البعلبكي ،ط5، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان،1968م ،ص 549.

علي باشا،الرائد في تاريخ مصر والذي كان يهدف إل تكوين دولة مركزية حديثة معتمدا جملة من الإصلاحات الشاملة وهذا ما أثر في الحاج عمر وخاصة من ناحية تكوين الجيش تكوينا عصريا[1].

كما أن الحاج عمر استفاد استفادة كبيرة من كل الأحداث التي شهدها في مختلف مناطق السودان الغربي ومن خلال مشاركته في بعض حروب الجهاد هناك والتي أكسبته خبرة في المجال العسكري والبعض من المكاسب المادية، ولقد ذاع صيته في تلك الفترة التي قضاها في منطقة سوكوتو و ازدادت مكانته في غرب إفريقيا، إضافة إلى تأثره ببعض الحركات الإصلاحية التي قامت هناك والتي كانت تدعوا إلى الإسلام وتهدف إلى تكوين مجتمع إسلامي بحت،مثل الحركة الفولانية بقيادة الشيخ عثمان دان فوديو[2] الذي أسس إمبراطورية انتشرت في شمال نيجيريا وامتدت إلى غاية بورنو.

وكذلك الشيخ أحمد لوبو[3] في ماسينا الذي تأثر هو بدوره بعثمان دان فوديو بعد مشاركته له في حركته وجهاده تحت لوائه.

ولقد كان لكل هذه الحركات الأثر الكثير في المنهج الذي اعتمده عمر الفوتي في نشر الإسلام في غرب إفريقيا.

---

[1] حسين جاجوا: حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 1994، ص148 .

[2] **عثمان دان فوديو:** هو عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح الملقب بابن فودي، ولد بقرية في ولاية غوبر التابعة لسوكوتو الإسلامية، ولقد كان عالما وفقيها بالمذهب المالكي وكذلك الطريقة القادرية. أنظر: شوقي عطا الله الجمل: الأزهر ودوره السياسي والحضاري في إفريقيا ،(د د ن)، لندن ،1988م،ص ص 115-116. كذلك أنظر: جوزيف كي زيربو: تاريخ إفريقيا السوداء، ترجمة يوسف شلب الشام،منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، سوريا،1994م ،ص626 .

[3] **أحمد لوبو:** هو أحد أفراد قبيلة الفلان العربية، وقد هاجرت القبيلة إلى منطقة ما بمنطقة مالي حاليا، ولد سنة 1775م، ولقد تلقى تعليما دينيا ببلاد الهوسا عام 1805م، وبعد عودته إلى ماسينا تولى الحكم ولقب بأمير المؤمنين. أنظر: محمد سعيد القشاط: أعلام من الصحراء، ط1،دار الملتقى للطباعة والنشر، لبنان ،1997م،ص37.

❖ **دور الحاج عمر في نشر الإسلام ومحاربة الوثنية.**

لا يمكن إنكار دور الحاج عمر في نشر الدعوة الإسلامية ومحاربة الوثنية في غرب إفريقيا. فبعد أن مكث أربع سنوات في مدينة دياجنكو (1840-1844م) أنشأ خلالها زاوية وألف كتابه المشهور " الرماح" سنة 1845م،بدأ رحلة طويلة للدعوة زار خلالها فوتاتور والمناطق المجاورة ثم بودرو، ولقد بقي بعض الوقت في قرية حلوار مسقط رأسه، ثم زار قرية دوناي، وفي سنة 1846م التقى بالقائد الفرنسي "روني كايي" وتحادث معه،ثم زارا منطقة فوتا وخاطب رجالها معاتبا بقوله: "أنتم كالكفار تأكلون وتشربون الحرام وزعمائكم يتعدون حدود الله بقهرهم للضعفاء".

وفي أوت 1847م، مر بقرية باكل واتصل مع حاكم قلعتها السيد مبكارد[1].وبعد هذه الجولة الطويلة عاد الحاج عمر إلى قرية " دياجنكو" حيث بقي بها مدة 18 شهرا وغادرها بعد ذلك إلى منطقة فوتاجالون مع عائلته وأتباعه خوفا من المكائد خاصة بعد شعوره بكراهية إمام المنطقة له،وفي فوتاجالون حظي باستقبال حسن وبكل الترحيب من قبل أئمة المنطقة، ولقد اختاروا له مدينة دانغيراي للإقامة بها،ولقد أسس بها زاوية ومسجد لممارسة نشاطه الديني والثقافي الذي تمكن من خلاله من نشر تعاليم الطريقة التيجانية وجلب العديد من الأتباع الجدد[2].

3. مؤلفاته:

لقد تزود الحاج عمر بثقافة علمية واسعة أثناء كل رحلاته وجولاته في مختلف بلدان السودان الغربي وكذلك دول المشرق العربي، ولقد ألف العديد من المؤلفات والكتب التي تشهد على سعة ثقافته وتطلعه في أمور الدين والفقه والعقائد والتصوف.

ومن أهم هذه المؤلفات والمصنفات نذكر:

---

[1] زاهر رياض: المرجع السابق،ص120.

[2] Yves saint Martin : I'empire Toucouleur et la France, un demi siécle de relation Diplomatique(1839-1846) , F.A.N ,Dakar , 1967, p74 .

1) رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرجيم.
2) سفينة السعادة لأهل الضعف والنحادة.
3) المقاصد السنية لكل موقف من الدعاة إلى الله من الراعي والرعية.
4) كتاب الله – يتعلق بالعقائد.
5) هدية المذنبين إلى كيفية الخلاص من حقوق الله والعباد أجمعين.
6) تذكرة الغافلين عن قبح اختلاف المؤمنين.
7) أسماء سور القرآن الكريم.
8) منظومة في إصلاح ذات البين.
9) كتاب أجوبة مسائل.
10) تذكرة المسترشدين وفلاح الطالبين.
11) سيوف السعيد على رقبة الشقي الطريد[1].

4. وفاته:

بما أن الحاج عمر يُعدّ من أهم شخصيات وقته وقد ذاع صيته في بلاد السودان بأكملها، فقد كان لهذا المجد ثمن دفعه الحاج عمر،حيث دبّت الغيرة والحقد في بعض خصومه ومنافسيه.ولما كان سكان ماسينا المسلمين يريدون الانتقام من الحاج عمر،اتفقوا مع الزعيم الشيخ بكاي القادري بتومبكتو على العمل لطرد أنصار الحاج عمر من بلدهم، فكان الانتصار والحصار،فاعتصم الحاج عمر بمغارة بباندا كار فأشعلوا النار ببابها وكان ذلك سنة 1864م[2]، فتوفي الحاج عمر مختنقا بالدخان وتوفي معه ثلاثة من أبناءه والعديد من أصحابه ودفن في مكان مجهول [3].

---

[1] بورنان نجاة: الطريقة التيجانية بغرب إفريقيا (1854-1914م) ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، تحت إشراف تلمساني بن يوسف، جامعة الجزائر،قسم التاريخ، الجزائر،2011-2012،ص95 .

[2] محمد بن شوش: "مقاومة الحاج عمر (1840-1864)"، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية،ا لعدد الرابع والعشرون، السداسي الثاني 2014 ،مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع،الأبيار، الجزائر، 2014 ، ص182 .

[3] عثمان برابما باري: المرجع السابق،ص209.

تأسيس إمبراطورية الحاج عمر:

خلال العشر سنوات الأخيرة قبل استشهاده استطاع الحاج عمر أن يؤسس إمبراطورية كبيرة امتدت من حدود السنغال الفرنسي غربا إلى تومبكتو شرقا، ورغم أنه اعتبر نفسه مصلحا دينيا وأعلن زهده في الأمور الدنيوية، إلا أنه كان مستعدا لتحقيق آماله وطموحاته، واعتبر أن رسالته المقدَّمة هي تنقية الإسلام في المنطقة ونشر تعاليم الشريعة الإسلامية وتطبيقها.وبعد أن وضع نفسه على رأس دولته، قام ببناء المساجـــد ونشـــر المدارس القرآنية [1]،وبفضل قوة شخصيته وطموحه وأفكاره تمكن من تقوية رابطة الأخوة والوحدة الإفريقية بين أتباعه المنتمين لمختلف القبائل والوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي [2].

5. **إدارة إمبراطورية الحاج عمر** :

لقد قام الحاج عمر بتوسيع إمبراطوريته على طول دياجنكو ودانغيراي لتبلغ مساحتها حوالي ثلاثة مائة ألف كلم^2 ممتدة من النيجر والسنغال غربا وكل من فيورو وسيغو شمالا وشرقا، ولقد ضمت إمبراطورية الحاج عمر كلمن مقاطعة دانغيراي والماندينغ وبلاد سيغو ومقاطعة ماسينا [3].

وقد قسم الحاج عمر إدارة إمبراطوريته إلى ثلاثة أسس هي:الجيش والقضاء والنظام المدني، كما بذل كل ما في وسعه لضمان استمرارية دولته وإكسابها هيبة ومكانة بين باقي الدول المجاورة وتنظيمها تنظيما إسلاميا. ولقد أقام إمبراطوريته على نظام مركزي حيث تمتع بعض حكام الأقاليم بنوع من اللامركزية نظرا لبعدهم عن مركز القرار،وأما عن الموظفين فقد كان يختارهم الحاج عمر من أهله وطلبته، وأما عنصر التوكولور فقد كان الحاج عمر بعينهم على رأس الجيش [4].

---

[1] Yves saint Martin : L'empire toucouleur et la France, opcit , pp76- 78.

[2] زاهر رياض: المرجع السابق،ص121 .

[3] Yves saint Martin , opcit , pp77,81.

[4] حسين جاجوا: المرجع السابق ، ص ص225-227.

وأما مهمة جباية الضرائب فقد كانت مهمة حكام الأقاليم ونذكر أهمها وهي: الخراج والعشور والرسوم التجارية [1]،ولقد كان الحاج عمر يستخدم مسحوق الذهب في المقايضة مع المراكز البريطانية عوض العملة التي كانت منعدمة [2].

وأما الجيش، فقد كان الركيزة الأساسية التي اعتمدها الحاج عمر في تأسيس إمبراطورته، وقد وصل جيش الحاج عمر إلى تعداد الثلاثين ألف محارب[3].وأسلحة الجيش كانت متنوعة منها سيوف وحراب وخناجر وبنادق ومدفعية من عيار 12 استحوذ عليها عمر إثر معركة كونديان 1858م، وكانت ترافق الجيش في كل تنقلاته جماعة من الحدادين لإصلاح الأسلحة المعطلة، ولقد امتاز جيش الحاج عمر بالانضباط والطاعة والحماس، كما أنه كان وحتى في عهد ابنه احمدوا منظما بالشكل الآتي الميمنة –القلب –المؤخرة والميسرة [4].

أ. **التنظيم الإقتصادي:**

لقد كان النشاط الاقتصادي في إمبراطورية الحاج عمر مزدهرا عموما خاصة في المناطق الممتلئة بالسكان والمهاجرين، ولقد تميزت هذه المناطق خاصة منطقة النيجر بوفرة الإنتاج الزراعي والحيواني وذلك بفعل الاستقرار و انتشار الأمن في المنطقة،ونذكر من أهم المحاصيل التي تنتجها: الذرة البيضاء ومنها الصفراء والأرز والفاصوليا وكذلك الفول السوداني والقطن ...الخ.

أما فيما يخص المواشي، فقد كان إنتاجها ضعيفا وذلك نظرا للإبادة التي تعرضت لها من جراء الحروب على عكس صيد الأسماك الذي ازدهر على طول نهر النيجر [5] .

---

[1] Yves saint Martin:L'empire toucouleur et la France , opcit , pp81-83 .

[2] حسين جاجوا: المرجع السابق،ص230.

[3] Yves saint Martin : L'empire toucouleur et la France,opcit , p84 .

[4] نفسه: صص231-282 .

[5] نفسه: ص ص231-232 .

وإذا عدنا إلى نشاط الصناعة، فإننا نجده مزدهرا بشكل تقليدي أكثر ونجد من أهم الأنشطة: الحدادة والنسج وصناعة الفخار والأدوات الخشبية والدباغة، ولكن رغم ازدهار هذا النشاط وتنوعه إلا أنه كان قليل الإنتاج [1].

التجارة في إمبراطورية الحاج عمر:

لقد كانت فئة الديولا من أكثر الفئات المختصة في النشاط التجاري، حيث كان نشاطها يغطي أكثر من50 %من مجموع المبادلات التجارية في المنطقة رغم كثرة الحروب والفتن السائدة.ورغم انحصار النشاط التجاري بين إمبراطورية الحاج عمر والفرنسيين عبر الطرق الغربية فقط، إلا أنه تمكن من تزويد جيشه بعدد هام من البنادق ومختلف الأسلحة الأجنبية المستوردة مما يدل على استمرار نشاطه التجاري واتساعه، بالإضافة إلى سلع أخرى مستوردة من المغرب كالأقمشة والبرانس والسلع السودانية المتبادلة بشكل واسع في الأسواق. ولقد لاحظ الرحالة الأوروبيون اللذين تنقلوا عبر أراضي إمبراطورية الحاج عمر ذلك التنوع والوفرة في مختلف السلع المحلية والأجنبية[2].

ب. مكانة التعليم والقضاء في إمبراطورية الحاج عمر:

لقد أولى الحاج عمر اهتماما كبيرا بالعلم والقضاء وسعى إلى ترقيتهما[3].

1-التعليم:

لقد كان على نمط التعليم الإسلامي التقليدي، لكنه أقل مستوى من التعليم الذي كان سائدا في المنطقة من قبل وذلك بسبب حالة الاضطراب وعدم الاستقرار التي سادت المنطقة والتي عرقلت حركة تنقل المعلمين والطلبة على المستويين الداخلي والخارجي، ولقد انتشرت عبر مناطق الإمبراطورية كتاتيب القرآن ومبادئ اللغة العربية بالإضافة إلى وجود مساجد تشرف عليها الزاوية التيجانية لنشر تعاليمها.[4]

---

[1] Yves saint Martin : L'empire toucouleur et la France , opcit , p88 .

[2] Ibid: p89.

[3] نعيم قداح: المرجع السابق، ص ص159-160 .

[4] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق، ص 88 .

2-القضاء :

يستمد القضاء أحكامه من الشريعة الإسلامية، ولقد عين الحاج عمر على رأس كل مدينة أو مجمع قرى قاضي تقتصر مهمته في معالجة القضايا البسيطة، أما القضايا المهمة فهي من اختصاص الحاج عمر باعتباره القاضي الأعلى في البلاد[1].

6. نهاية إمبراطورية الحاج عمر (الإمبراطورية العمرية):

بعد استشهاد الحاج عمر، تولى الحكم ابنه أحمدوا ولم يكن يشبه أبوه من حيث السمعة والسلطة، حيث لم يمسك بزمام الأمور ولم يستطع التحكم وحماية إمبراطوريته من الأعداء مما أدى إلى انقسام الإمبراطورية إلى عدة دويلات وإمارات، ماسهّل على الفرنسيين تحقيق أهدافهم التوسعية، وقد قاموا بإنشاء مراكز لهم في منطقة سيغو التي كان يتواجد فيها الشيخ أحمدوا مما اضطره إلى المغادرة.وفي عام 1884م، ومع تزايد خطر الإمام ساموري،اضطر الفرنسيون إلى تهدئة الأجواء مع الشيخ أحمدوا بعقد هدنة للسلام بينهم هي معاهدة غوري في12 ماي1887م، والتي وضع فيها الشيخ أحمدوا ممتلكاته تحت الحماية الفرنسية، وهذا كان أكبر خطأ ارتكبه الشيخ أحمدوا ما عجّل بالقضاء على إمبراطوريته،حيث ما إن وصل العقيد أرشيناد إلى المنطقة أعرب عن نيته في القضاء على الإمبراطورية العمرية، فجهز عدة حملات عسكرية تمكن من خلالها من احتلال أهم المدن في الإمبراطورية، وأمام كل هذه الضغوطات غادر الشيخ أحمدوا متجها نحو سوكوتوا لتي مكث فيها إلى أن وافته المنية بعد مرض عضال يوم 15 ديسمبر 1897م. ورغم سقوط هذه الإمبراطورية إلا أنها تركت بصماتها في تاريخ السودان الغربي، وكان للإمبراطورية العمرية الدور الكبير في اتساع وانتشار التيجانية في السودان الغربي والمحافظة على تعاليم الإسلام ونشره واستمراريته[2].

---

[1] نفسه: ص 88 .

[2] نفسه: ص ص88- 89. أنظر: إلهام محمد علي الذهبي: المرجع السابق، ص146 .

II. مملكة كينيدوغو(سيكاسو) :

1. تأسيسها :

مملكة كينيدوغو (1650- 1898م) دولة نشأت في غرب إفريقيا في الجزء الجنوبي من جمهورية مالي الحديثة.ومع بداية القرن 19م، برزت كينيدوغو كمملكة جديدة وكانت مجاورة لسيكاسو والتي ستصبح فيما بعد عاصمة لها.وأما عن نشأتها، فترجع إلى جماعة من قبائل التراوي المسلمين الذين ينتمون غالبا إلى فئة الديولا، حيث قدم أحد زعمائها إلى الجنوب الشرقي لسيكاسو واستقر في منطقة قريبة منها،ومن هنا أشتهر وعرف هؤلاء الفئة المسماة بالتراوي ووسعوا نفوذهم بعد ازدياد قوتهم وباشروا في إخضاع المناطق المجاورة لهم لتوسيع إمبراطوريتهم وتأمين وجودهم [1].

2. حكم مملكة كينيدوغو :

أ. حكم داولا:

لقد مرت مملكة كينيدوغو خلال فترة حكمها بعدة حكام من بينهم داولا الذي حكم المملكة مابين 1860-1862م، لكنّ فترة حكمه لم تكن طويلة. وداولا هو في الأصل فرد من العائلة المالكة التي تعرضت للذبح من قبل الخائن سورامانا والذي كانت له أطماع في الزعامة.وإثر فاجعة مقتل عائلته قرر، داولا الانتقام للعائلة إلا أنه انهزم في موقعة سوندوا حوالي عام 1852م، فانسحب تاركا ممتلكاته بين يدي عدوه بما فيهم نساؤه وابنه الصبي تيبيا وأمه.[2]

ب. حكم تيبيا :

بعد هزيمة داولا واستسلامه،ظهر ابنه تيبيا على مسرح الأحداث حاكما للمنطقة مابين (1866-1893م).ولقد فاقت شهرته شهرة أبيه داولا، حيث كرس سنواته الأولى من الحكم

---

(1) Jacques Meniaud : SIKASSO l'histoire Dramatique d' un Royaume noir AU XIX^{eme}siecle,imprimerie F Bouchy,paris,1935, p p16-17.

(2) عبد الحكيم بن تركية: التوسع الفرنسي في السودان الغربي ومقاومة ساموري توري (1854 -1994م)، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر،جامعة الجزائر، الجزائر،1997م، ص ص36-37 .

لبناء وتوسيع العاصمة الجديدة سيكاسو وتحصينها بين جدارين حولها، كما قام بتنظيم بعض الغزوات العسكرية ضد خصومه، وقد كانت علاقته حسنة مع الشيخ أحمدوا ابن الحاج عمر حيث قام بدعمه بجيش قوامه حوالي خمسمائة محارب، تمكن بفضله من تحقيق الانتصار على خصومه [1].

لم تكن علاقة تيبيا مع الإمام ساموري توري كعلاقته بالشيخ أحمدوا بل العكس فقد ساءت العلاقات بين ساموري وجاره تيبيا بتحريض من الفرنسيين، ولم يكن خافيا على الإمام ساموري التعاون الذي جمع تيبيا بالفرنسيين فقرر معاقبته بتجهيز حملة عسكرية هامة في مطلع 1887م،غير أن تيبيا علم بتجهيزات ساموري فأسرع إلى التحصن بالعاصمة سيكاسو وهناك بعث له ساموري مطالبا له بالاستسلام، ولما كان جوابه الرفض، ماكان على ساموري سوى فرض حصار محكم على مدينة سيكاسو،تكبد خلاله الإمام ساموري خسائر فادحة اضطرته إلى الانسحاب ورفع الحصار [2] .

ج. **حكم بامبا :**

ساءت العلاقات بين الفرنسيين ومملكة كينيدوغو في الأيام الأخيرة من حكم الملك تيبيا، وبعد وفاته تولى أخوه بامبا الحكم ما بين (1893–1898م)،وقد زادت العلاقات سواءفي عهده خاصة بعد تفطنه إلى المؤامرات والدسائس التي كان يدبرها الفرنسيون ضد مملكته وتدخلاتهم في شؤونها الداخلية، مما جعله يرفض عروضهم خاصة تلك الموجهة ضد الإمام ساموري، وهكذا تحسنت علاقة بامبا بالإمام ساموري[3] .

- **التنظيم الإداري لمملكة سيكاسو :**

لقد توسعت مملكة سيكاسو في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي لتمتد حدودها كما يلي: غربا تحدها دولة ساموري،جنوبا منطقة فولونا،شرقا دولة كونغ وشمالا

---

[1] بن تركية: المرجع السابق، ص ص36–37 .

[2] Jacques Meniaud :opcit , pp24-25 .

[3] بن تركية: المرجعالسابق، ص 39 .

مناطق ديومادوغو وبندوغو التي قبلت حماية تيبيا لها.وقُسمت المملكة إلى ثلاثة وعشرين مقاطعة منها مقاطعات خاضعة مباشرة للمملكة ومنها مقاطعات تحت الحماية، وأهم المقاطعات نذكر دولا بوغو وهي المقر السابق للمملكة في عهد الملك داولا،ومقاطعة دوغونيو كابوالا و سيكاسو التي أصبحت عاصمة المملكة في عهد تيبيا.وقد وضع الملك على رأس كل مقاطعة مراقبا يسمى دوغو كوناسيغي مهمته إبلاغ الملك بكل مايجري في المقاطعة وحماية الأهالي من النهب وقطاع الطرق،أما المقاطعات المحمية فلها حاكم يحفظ استقلالها الذاتي ويشرف على سير شؤونها [1].

3. سقوط مملكة كينيدوغو :

بعد سوء العلاقة بين بامبا والفرنسيين، عزم الفرنسيون على القضاء على المملكة لكنهم كانوا منشغلين بمحاولة القضاء على مقاومة ساموري، ولكن مالبث أن عقد العقيد أوديود الفرنسي العزم على إنهاء مملكة كينيدوغو وقام بضرب حصار محكم على سيكاسو العاصمة، تبعته عملية قصف مستمرة تمكن من خلالها من إضعاف المملكة وأحدث فيها ثغور تمكن من خلالها من دخول المملكة وارتكاب مذبحة شنيعة ضد سكان سيكاسو راح ضحيتها الملك بامبا متأثرا بجروح بليغة جدا بعد صراع ومحاولة منه لإنقاذ مملكته، وبوفاته انتهت إمبراطورية كينيدوغو [2].

---

[1] بن تركية: المرجع السابق، ص40 .

[2] Jacques Meniaud :opcit , p32 .

الفصـل الثانـي:

التنـافس الإستعماري على منطقة غرب إفريقيا وانـعقاد مؤتمر برلين الثانـي (1884م-1885م)

المبحث الأول: التنافس الأوروبي على منطقة غرب إفريقيا

أ. التوسع الفرنسي:

لقد استطاعت فرنسا أن تكون إمبراطوريتين في العصر الحديث، فإن كانت قد كونت الإمبراطورية الأولى على حساب أراضي العالم الجديد وجزر الكاريبي والهند، فإن الإمبراطورية الثانية قد كونتها على حساب أراضي إفريقيا التي كانت بدايتُها احتلال الجزائر سنة 1830م، كما سمح لها مؤتمر برلين الثاني (1884-1885م) بأن توسع نفوذها إلى الساحل الغربي من القارة الإفريقية.

نشأت العلاقة بين فرنسا وغرب إفريقيا منذ القرن 17م[1]، ولكن تأخر التوسع الفرنسي في الداخل إلى منتصف القرن 19م، عندما جاءت شخصية قوية برزت على الساحة الإفريقية وهو الجنرال "لويس فيدهرب[2]"،حيث كانت الانطلاقة الأولى للتوسع الفرنسي في إفريقيا عندما عيّن نابليون الثالث "لويس فيدهرب" حاكماً على السنغال بمرسوم 01 نوفمبر 1854م، إذ يعتبر أول حاكم فتح لفرنسا مجالاً للتوسع في إفريقيا الغربية منذ تعيينه على رأس المستعمرة السنغالية، وكان أول ما قام به هو تدعيم المراكز الفرنسية القديمة وإنشاء مراكز جديدة والشروع في توسع الفرنسيين نحو الداخل[3].وقد وضع فيدهرب سياسة للتعامل مع القوى الوطنية المختلفة تتلخص في سياسة السلام أو الحرب، أي أنه يعرض على القوى الوطنية المختلفة التعاون معه والاستسلام للنفوذ الفرنسي[4]، فإذا لم ترضخ له فليس أمامها سوى الحرب. وعمل "فيدهرب" على تطبيق هذه السياسة منذ وصوله إلى السنغال، فقد آمن

---

[1]بن تركية: المرجع السابق، ص 11.

[2]ولد ليون فيدهرب بمدينة ليل الفرنسية في 03 جوان سنة 1818م، درس بالمعهد الإمبراطوري وأصبح ملازماً سنة 1842م، أدى خدمته العسكرية في الجزائر (1949-1952م)، أصبح مديراً للأشغال العمومية بالسنيغال ثم حاكماً عاماً، أصيب بداء المفاصل والشلل وتوفي بباريس في 29 سبتمبر 1889م. أنظر: محمد بن شوش:المرجع السابق، ص 185.

[3] نفسه : ص 42.

[4]إلهام محمد علي الذهني: المرجع السابق، ص 89.

بأنها الطريق الوحيد لتحقيق آماله وطموحه في تكوين إمبراطورية فرنسية تمتد من السنغال حتى المناطق الداخلية من القارة.[1]

وأصبحت السنغال قاعدة لعملياتها الحربية وأعيد تنظيمها وفق النظام الفرنسي، ففي عام 1880م لم تسيطر فرنسا سوى على مخرج نهر السنغال ولم تتوغل إلى الداخل أكثر من بضعة كيلومترات، فبعد هذا التاريخ وبعد انعقاد مؤتمر برلين بدأت فرنسا في التوسع نحو الداخل أكثر فأكثر[2].

وتشجيعاً لحركة التوسع الفرنسي في المنطقة، نشر البروفيسور "بول جافريل" كتابه عن المستعمرات الفرنسية سنة 1880م، ذكر فيه بأنه لا بد لفرنسا التوسع أكثر وإيجاد مستعمرات جديدة، كما اعتبره شرطاً أساسياً لاستمرارها، ولقد كانت نتيجتها تحقيق إنجازات مهمة في مراحل التوسع الفرنسي داخل أراضي غرب إفريقيا، بحيث تمكنت فرنسا في وقت قصير من ضم أجزاء واسعة من المنطقة[3]، حيث كانت السنغال هي المستعمرة الرئيسية لذلك بذلت جهوداً في تطويرها والاهتمام بها دون غيرها[4].

ومن السنغال توغلت فرنسا فيما بعد في النيجر، لكنها لم تستعمر كل النيجر بل أجزاءً منه على ضفاف النهر، وقد أطلقت على مستعمراتها في النيجر اسم "أرض زندان العسكرية"، ولم يولي الفرنسيون الاهتمام الكبير بالنيجر وذلك بسبب درجة الحرارة والطقس الحار[5]. أمّا التواجد الفرنسي في دولة داهومي (البنين حالياً) فيعود إلى عام 1852م،

---

[1] زاهر رياض: المرجع السابق، ص 158.

[2] أحمد نجم الدين فليحة: دراسةعامة وإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1978، ص 89.

[3] حلمي محروس إسماعيل: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر (من الكشوفات الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية)، ج 01، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، الإسكندرية، مصر،2004، ص 271.

[4] إلهام محمد علي الذهني: المرجع السابق، ص 88.

[5] إسماعيل العربي:ا لصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 258. كذلك انظر: حلمي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص 258.

خلال عقد معاهدة بين فرنسا وملك الداهومي، وبعدها استولت على مدينة[1]بُورتوتوفو ". كما نجد لبريطانيا مستعمرة في نفس المنطقة، ولكنها تنازلت عنها لفرنسا بموجب اتفاقية 1889م، وسيطرت فرنسا على كامل داهومي وأصبحت مستعمرة فرنسية في عام 1894م.

ولقد استطاع الفرنسيون مدّ نفوذهم على الساحل الجنوبي من داهومي إلى السنغال في الربع الأخير من القرن 19م.

وفي سنة 1904م، أقيم اتحاد إفريقيا الفرنسية الذي ربط بين الداهومي والسنغال وساحل العاج وغينيا[2].

أمّا في غينيا، فيعود تواجد الاستعمار الفرنسي إلى فترة الكشوف الجغرافية والرحلات الاستكشافية وكان ذلك في عام 1815م[3].

وقد تميّز الاستعمار الفرنسي في غينيا بنظام حكم مباشر عمد إلى قمع واستغلال الشعب الغيني وحرمانه من تحمل كل مسؤولياته وتقرير مصيره، وذلك باستخدام المدرسة والكنيسة والتمييز الثقافي وإخضاعه سياسياً وإدارياً وممارسة الاستلاب الثقافي عليه[4]، ولقد كلفت فرنسا أحد المغامرين "رونييه كاييه" بالتسلل إلى داخل غينيا وتومبوكتو، انطلاقاً من المغرب الأقصى، حيث تظاهر بالإسلام ليخفي أهدافه التجسسية والتجارية لصالح الاستعمار، وقد قام بعقد عدّة معاهدات واتفاقيات مع رؤساء القبائل واعتبر ذلك تمهيداً للتوسع الغربي نحو غينيا[5].

---

[1] حلمي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص ص271- 275.

[2] إلهام محمد علي الذهني: المرجع السابق، ص 89.

[3] نفسه، ص 90.

[4] ب.سلويد: إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي، ترجمة شوقي جلال، منشورات عالم المعرفة، الكويت، 1980، ص 58.

[5] إلهام محمد علي الذهني: المرجع السابق، ص 92.

ونجد أيضاً جهود "فيدهرب" سنة 1854م التي نصت حول تقوية وتعزيز النفوذ الفرنسي في خليج غينيا وصولاً إلى الداخل[1]، ولقد نجح "فيدهرب" في التوغل نحو الداخل خاصة بعد أن أعطى مؤتمر برلين الضوء الأخضر لضم الكثير من الأراضي. وبعد انعقاد مؤتمر برلين ووفقاً لمبادئه الرامية إلى الدعوة لنشر الحضارة في القارة الإفريقية، عزمت فرنسا على احتلال غينيا ودخلت قواتها مدينة "كوناكري" سنة 1887م، واضطر حاكم فوتاجالون إلى قبول الحماية الفرنسية، وأصبحت غينيا مستعمرة تابعة لفرنسا عام 1858م[2].

ولقد شهدت القوات الفرنسية في غينيا أعتق المقاومات والحملات الجهادية بقيادة بعض الزعماء أمثال "الحاج عمر الفوتي" وابنه الشيخ أحمد و"ساموري توري" وغيرهم...[3]

يذكر أن غينيا الفرنسية لم تُحتل نتيجة التوغل الفرنسي من الشمال، بل تم احتلالها عن طريق البحر، مما أخرّ إعلانها كمستعمرة فرنسية إلى غاية 1911م[4].

أمّا عن ساحل العاج فقد كان مجزأ إلى أقسام، فالأجزاء الغربية خضعت لمملكة مالي، والأجزاء الشمالية تابعة لنفوذ ساموري توري، واستطاعت فرنسا بموجبها فرض الحماية على تلك الأجزاء من البلاد وأنزلت قواتها في ساحل العاج عام 1812م، وبعد القضاء على مقاومة ساموري خضعت الأجزاء الشمالية للنفوذ الفرنسي سنة 1898[5].

أما مالي،فقد أرسلت إليها فرنسا بعض الرحلات الاستكشافية لدراسة المنطقة، وبعد الإطلاع عليها والتعرّف على أوضاع البلاد السياسية والاجتماعية، بدأت الحملات العسكرية

---

(1) حلمي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص 277.

(2) شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص 507.

(3) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق، ص 151.

(4) إلهام محمد علي الذهني: المرجع السابق، ص 130.

(5) فرغلي علي تسن هريدى : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر (الكشوف- الاستعمار- الاستقلال)، ط1، دار العلم للنشر، الإسكندرية، مصر، 2008، ص 168.

وتمكنت من التوغل داخلها عن طريق نهري النيجر والسنغال. وفي سنة 1865م، أصبحت مالي جزءً من الإمبراطورية الفرنسية في غرب إفريقيا. وفي أوائل القرن 20م، ضم الفرنسيون إقليم النيجر إلى مالي وأطلق على هذه الممتلكات اسم "السودان الفرنسي" سنة 1920.[1]

تعرض غرب إفريقيا إلى عدّة تغيرات بالنسبة للحدود، مما أدى بفرنسا إلى التفكير في حماية مستعمراتها، حيث عملت في أواخر القرن 19م على توحيد مستعمراتها وهي: السنغال، السودان الفرنسي، غينيا الفرنسية، ساحل العاج، داهومي وفولتا العليا في مستعمرة واحدة سميت "إفريقيا الغربية "aof"، بلغت مساحتها 4600000 كلم مربع[2]. وهكذا فإن مسيرة التوسع الفرنسي في غرب إفريقيا ازدادت خاصةً بعد مجيء الجنرال "لويس فيدهرب" الذي كان له الأثر البالغ في توسيع مستعمرة السنغال وتهيئة المنطقة للاستعمار، ليأتي بعدها مؤتمر برلين مدعماً الوجود الفرنسي والتوغل داخل غرب إفريقيا، واستمرت فرنسا في حركتها التوسعية إلى مطلع القرن 20م وحتى بعد الحرب العالمية الأولى:

1. **التوسع البريطاني:**

كانت لبريطانيا مستعمرات هي الأخرى في غرب إفريقيا وهي: نيجيريا وساحل الذهب وسيراليون وغامبيا، مما أدى إلى صراع بين فرنسا وبريطانيا على مناطق النفوذ[3].

وقد تزامن نشاط إنجلترا في سواحل إفريقيا الغربية مع نشاطها في العالم الجديد، ولعّل حاجة العالم الجديد إلى الأيدي العاملة هو ما دفع بالشركات البريطانية إلى ميدان تجارة الرقيق وتأسيس المراكز التجارية على سواحل إفريقيا الغربية بين غينيا وسيراليون. وكان الرقيق من السلع الهامة التي اشتهرت بها هذه المناطق. ولقد كان لإنجلترا مجموعة من البحارة الذين سعوا للتوغل داخل إفريقيا لاستكشاف أدغالها، ومن أوائل البحارة نذكر "جون

---

[1] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 243.

[2] أحمد عباد: المستكشفون الأوروبيون في غرب إفريقيا، مذكرة ماجستير، تخصص التاريخ الإفريقي الحديث، جامعة أدرار، الجزائر، 2012م، ص 65.

[3] نفسه: ص 83.

هوكنز" الذي قام بعدّة رحلات إلى غرب إفريقيا في الفترة ما بين 1562-1567م لجلب الرقيق للعمل في جزر الهند الغربية[1].وقد كان البريطانيون في كل مرة يصطدمون بالفرنسيين،لكنهم كانوا على اقتناع تام أنه على الفرنسيين احتلال أراضي شاسعة في المناطق الخفيفة كما وصفها رئيس الوزراء البريطاني آنذاك. وفي شمال إفريقيا كان تأمين البريطانيين لوجودهم في مصر مبعثاً لحساسية مفرطة لديهم اتجاهها وتأميناً لوجودهم[2].

أحرزت بريطانيا تقدماً صناعياً مبهراً مما جعل لها تطلعات مختلفة في بقية دول إفريقيا، ولقد كان هذا التقدم أحد دوافعها للتوسع نحو خارج المملكة الذي لم يعد ضرورياً أو طبيعياً فحسب، بل لا يمكننا تجنبه لأنه دليل المجتمع الديناميكي، ولكن هذا التوسع لا يعني بناء إمبراطورية، بل يعني التوسع التجاري دون استعمال القوة إلاّ فيما يخص حماية تجارتها. ولم تقتصر بريطانيا في توسعها على إفريقيا بل كانت تحتل أمريكا آنذاك، وكانت أمريكا تمثل أكبر حقل تجاري لها. وحتى سنة 1880م، لم تكن إفريقيا بحجمها الهائل في نظر البريطانيين سوى طريق إلى الهند ومركز لجلب الرقيق، وإذا كانت إنجلترا اهتمت بمصر في هذا الوقت فلأنها جزء من تركيا والتي كانت موضع اهتمامهم في حوض البحر المتوسط، وأمّا إفريقيا فقد وجدوا صعوبات في التعامل مع شعوبها خاصةً أنهم عرفوهم من التقارير والتوصيات المكتوبة فقط[3].

لم يدرك البريطانيون أصل وطبيعة العلاقة الفريدة التي تجمع أهالي المناطق الإفريقية، وقد حاولوا قطع التواصل بينهم قدر الإمكان، واتجهت بريطانيا كفرنسا وألمانيا وبلجيكا وهولندا وغيرهم من بلدان قارة أوروبا إلى بدأ النشاط التبشيري الدّيني بنشر المسيحية، ووصلت الحركة البروتستانتية إلى إفريقيا للإشراف على البعثة التبشيرية، وتولى ذلك الأب

---

[1] جعفر عباس حميدي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط01، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002م، ص 95.

[2] علي حسين شبكشي: قراءة في كف إفريقيا، دار النهار للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1998، ص 48.

[3] زاهر رياض: المرجع السابق، ص20.

"جوهانزفان" الهولندي الجنسية، ولقد كان هذا الأب من الناحية الأخلاقية منحلاً،كما باشر عملية التبشير بطريقة ملتهبة وذلك نظراً لكرهه الشديد للأفارقة، واستعمل سياسة خلق العداوة بين الأهالي في محاولة لتفريقهم وخلق الكراهية بينهم، وقد نجح في ذلك إلى حدّ بعيد مما سهل على الاستعمار البريطاني مهمة السيطرة على المنطقة والتحكم في السكان[1].

2. <u>التدافع الأوروبي على سواحل إفريقيا الغربية (السنغال):</u>[2]

لقد كانت فرنسا وبريطانيا أكثر استعمارين بارزين في منطقة غرب إفريقيا، لكنهما لم يكونا الوحيدان، فبعد مجهودات جبارة تمكن البرتغاليون في إطار كشوفاتهم الجغرافية من دخول منطقة غرب إفريقيا والزحف نحو مصبي نهر السنغال وغامبيا، باعتبار أهداف الكشوفات متمثلة في الحصول على الذهب والرقيق الإفريقي فضلاً عن نشر الديانة المسيحية.

لم ينتظر العرش الإسباني طويلاً لكي يلتحق بالبرتغاليين في سعيهم لتحقيق نفس الغايات والأهداف. وخلال القرن 16م، تزايد الاهتمام الإيبيري بالمنطقة الواقعة ما بين نهر السنغال وغامبيا، وازداد ضغطهم للحصول على الذهب والرقيق[3].

ومع بداية القرن 17م، دخلت كل من فرنسا وإنجلترا الصراع في السنغال، وكانت هولندا قد سبقتهما بعدّة عقود من الزمن، غير أن قوة فرنسا وإنجلترا جعلتهما ينفردان بحضور متميز تدعم من خلال إنشاء عدد من الحصون[4].

ولقد استمر هذا الصراع بين القوى الاستعمارية الأوروبية سنين طويلة حتى جاء مؤتمر برلين الثاني عام (1884-1885م) لحل النزاع وتسوية الأوضاع بتقسيم إفريقيا بكل أجزائها ومنها غربها ومنطقة السنغال وحوض الكونغو على الدول المتصارعة.

---

[1] دونالد وايدنر: المرجع السابق، ص ص132- 134.

[2]أنظر: الملحق رقم 03، ص197. كذلك أنظر: الملحق رقم 04، ص 198.

[3] عبد الله عيسى عيسى: <u>الاستعمار الفرنسي للسنغال (1854-1865م) موقف القوى الإسلامية منه</u>، ط 01، المكتب العربي للمعارف، القاهرة،مصر، 2017م، ص 68.

[4]نفسه: ص 69.

المبحث الثاني: مؤتمر برلين الثاني 1884م-1885م وتقسيم قارة إفريقيا

1. ظروف وأسباب انعقاد مؤتمر برلين الثاني:

إن رغبة الدول الأوروبية في الحفاظ على مكاسبها الاستعمارية وإيجاد مكانة لها في إفريقيا جعلها تتنافس على هذه القارة، وهذا التنافس ولّد توترا في العلاقات الأوروبية، لذا رأى بسمارك ضرورة عقد مؤتمر دولي لحل هذه النزاعات.

أ. التنافس الاستعماري:

شهدت إفريقيا موجة استعمارية في منتصف القرن 19م، منذ أن ظهر الانقلاب الصناعي وزيادة الحاجة إلى المواد الولية، فرأى الأوروبيون أن إفريقيا هي التي تحل مشاكلها الإقتصادية وتقوم باستيعاب صناعتها الضخمة، وتجنبها التعقيدات التي قد تنشأ بسبب تنافس الدول الأوروبية فيما بينها، وما يشكله ذلك من أخطار على مصالحها[1].

عملت الدول الأوروبية على توسيع ممتلكاتها وراء البحار لتدعيم نفوذها الدولي وإنشاء إمبراطوريات ترضي النزاعات الاستعمارية والعزة القومية، والبحث عن مناطق لإقامة قواعد عسكرية. إن تطور الأفكار الاستعمارية لدى بعض ساسة أوروبا، سمح بظهور شخصيات سياسية تؤمن بأن التوسع الاستعماري هو السبيل إلى تحقيق القوة والهيمنة على العالم، وأن قوة الدول وعظمتها تقاس بما تملكه من مستعمرات[2].

---

[1] شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مكتبة الاسكندرية، مصر، 1988، ص53.

[2] فاضل حسين وكاظم هاشم نعمة: التاريخ الأوروبي الحديث(1815م-1839م)، ط01، بغداد، العراق، 1982، ص211.

ب. تجارة العبيد:

تعتبر تجارة الرقيق بالنسبة لأوروبا ذات أهمية بالغة،حيث كانت تحصل من خلالها على الأيدي العاملة الزراعية من إفريقيا، وقد تزايد ذلك في القرن 17م لخدمة الأوروبيين في المناطق الاستوائية الأمريكية. وكانت المستعمرات الإسبانية تتلقى اليد العاملة من رقيق إفريقيا، وتزايد العدد عندما زاد الطلب على السلع التي تحتاج يد عاملة كثيرة، وأصبح النشاط الأوروبي في إفريقيا شبه مقصور على تجارة الرقيق[1].

مارس البرتغاليون الأوائل الذين جاؤوا إلى غرب إفريقيا تجارة العبيد في المنطقة، حيث قاموا بتزويد السكان بالبنادق والأسلحة النارية وذلك لمحاصرة الأهالي واصطيادهم أحياء[2]. ثم برز الهولنديون أيضا هم الآخرون في هذا المجال، وبدأت المنافسة على تجارة العبيد في إفريقيا بين كل من البرتغاليين، الهولنديين، الفرنسيين والبريطانيين، وقد جنت هذه الدول أرباحا طائلة من هذه التجارة خاصة بريطانيا.

من المؤكد أن تجارة الرقيق من أخطر عوامل تمزيق إفريقيا الغربية، فقد أحدثت هذه التجارة نزيف سكاني رهيب، لا يمكن تقديم أرقام دقيقة لأنها تجارة غير مشروعة، وتؤكد بعض الإحصائيات أنها لا تقل عن 150 ألف عبد كمعدل سنوي نحو أمريكا وإن اختلفت المصادر في رصد الإحصائيات. وتخصصت كل من اسبانيا والبرتغال في تجارة العبيد عبر الأطلسي خاصة نحو البرازيل، وتؤكد الدراسات أن معظمهم نُقلوا من الكونغو وأنغولا. وحسب بعض الشهادات، فإن عدد العبيد الذين نقلوا إلى أمريكا يبلغ حوالي 13مليون نسمة،

---

[1] محمود السيد: إفريقيا والأطماع الغربية، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2009، ص10.

[2] جوان جوزيف: الإسلام في ممالك إفريقيا السوداء، ترجمة مختار السويقي، دار الكتاب المصري للنشر والتوزيع، مصر، 1984، ص118.

ربعهم من الكونغو. وقد تزامن انعقاد مؤتمر برلين مع تزايد النداءات الدولية المطالبة بإلغاء تجارة الرقيق[1].

وإذا ما عدنا لحقيقة وبدايات تجارة العبيد، فللأسف نجدها كانت قائمة في إفريقيا قبل مجيء الأوروبيين، وكانت تعتبر جزء من الإطار الاجتماعي هناك.ومع مرور الوقت، تحولت عملية التجارة هذه إلى عملية صيد متوحشة سميت بـ قفص العبيد، وتحولت هذه التجارة من أسواق النخاسة في إفريقيا إلى تجارة عالمية عبر البحار والمحيطات. ورغم أن البرتغال أول من قام بتجارة العبيد نحو العالم الجديد، إلا أن الكنيسة اتهمت المسلمين بممارستها دون غيرهم، وأكد ذلك المبشر لافيجري الذي دعا إلى معاقبة العرب والمسلمين[2].

مارس العرب تجارة العبيد مثل غيرهم، لكنها بقيت محصورة في إفريقيا والعالم القديم بصفة عامة، وقد أسسوا مراكز تجارية لذلك الغرض، حيث نجد أن أغلبها يتواجد في شرق الكونغو، أي مجاورة لإفريقيا الشرقية أين يعيش العرب خاصة في زنجبار وفي هذا الإطار، سجلت الإحصائيات أرقاما مخيفة ورهيبة عن تجارة الرقيق في إفريقيا الشرقية، حيث بلغ 60 مليون عبدا في الفترة الممتدة بين القرنين 15م و19م[3].

وصفت تجارة العبيد بأنها عملية قنص متوحشة وصيد للزنوج مثلما تصطاد الحيوانات، وغالبا ما كان يتبعها حرق القرى، وحرق العجزة مثلما حدث في مملكة لواندا[4].

لطالما كانت تجارة الرقيق بالنسبة للكثير من الدول سهلة ومريحة أكثر من أي تجارة أخرى، وأرادت بريطانيا أن تقضي عليها دوليا بهدف منع الحصول على الأرباح، وكانت نية

---

[1]فيصل محمد موسى: موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي، ليبيا، 1997، ص ص 77-78.

[2]فيصل محمد موسى: المرجع السابق، ص 80.

[3]Joseph Ki -Zerbo : histoire de l'Afrique noire d'hier a demain, hatier, Paris, 1972, p 218.

[4]Ibid : p 218.

بريطانيا حرمان الدول الأخرى من الحصول على الثروة، وبالمقابل شجعت تجارة أخرى كانت رائدة فيها بغرب إفريقيا، وهي تجارة زيت النخيل، ولا ننسى أن بريطانيا عوضت اليد العاملة بالآلة إثر الانفجار الصناعي الذي عرفته وبالتالي لم تعد بحاجة إلى العبيد[1].

تزايدت الأصوات المطالبة بإلغاء تجارة العبيد في النصف الثاني من القرن 19م من طرف الكنيسة المتمثلة في البابا ليون الثاني والكاردينال لافيجري، وكذلك المستكشفون مثل "لفنغستون"[2]الذي أوصى بإلغائها قبل وفاته، و "ودي برازا" الذي اشتهر باسم أبو العبيد لأنه كان يشتري العبيد ويحررهم[3].

تعتبر مسألة إلغاء الرقيق حدثا بارزا في القرن 19م، تبنتها جمعيات سياسية ودينية، وكانت قضية العبيد سببا في انعقاد مؤتمر برلين، بل كان حضور الولايات المتحدة الأمريكية بدافع مناقشة تلك المسألة بالدرجة الأولى، فللولايات المتحدة الأمريكية قواسم مشتركة مع بريطانيا في دوافع محاربة تجارة الرقيق[4].

لقد أصبح العبيد في الولايات المتحدة الأمريكية يشكلون عبئا ومصدر تهديد للمجتمع الأمريكي، لذلك قرر الكونجرس الأمريكي سنة 1808م تحريم استيراد العبيد إلى أمريكا، وتكونت جمعية التواطن الأمريكية التي قررت إعادة بعث الزنوج إلى إفريقيا. ففي عام 1821م، أرسل الرئيس جيمس مونرو ممثلين إلى غرب إفريقيا لشراء قطعة أرض من شيوخ القبائل من أجل عملية توطين الأفارقة.كما أنشأ الكاردينال لافيجري جمعية ضد الاسترقاق

---

[1] رولاند أوليفر وجون فيج : تاريخ إفريقيا، ترجمة عقيلة رمضان، دار القومية للطباعة والنشر، مصر، 1964،ص 60

[2] **لفنغسون** : ولد في 19 مارس 1816م في لارخاك بإسكتلندا، درس في مدرسة تبشيرية بلندن، بدأ اكتشافاته سنة 1849م في صحراء كلاهاري ثم الزامبيري، توفي مريضا قرب تنجنيقا في أوجيجي سنة 1873م وهو في رحلة استكشافية، أنظر:

Marcel Griaul : les grandes explorateurs, presses universitaires de Françe, Paris,1984, p p 109-110.

[3] Didier Neuville et Ch Brélard : les voyages de savorgnan de Brazza ogooué et Congo (1875-1882), Paris, 1884, P13.

[4] فيصل محمد موسى: المرجع السابق، ص 81.

في إفريقيا بتاريخ 17 أكتوبر 1888م، نادت فيها بالتخفيف على العبيد نظرا لوحشية هذا العمل وإعطائهم نسبة ضئيلة جدا من الأرباح مقابل أعمالهم الشاقة[1].

ج. تدهور مملكة الكونغو:

لقد شكل تدهور مملكة الكونغو أهم الظروف والعوامل التي أدت إلى التفكير في عقد مؤتمر برلين، حيث أن تلك المملكة القوية والسلطة السياسية التي كانت قائمة قديما في الكونغو لم يعد لها أثر يذكر. وأثناء عقد المؤتمر، كانت مملكة الكونغو قد وصلت إلى أقصى مراحل ضعفها، وكان ذلك في عهد الملك بدور الخامس الذي كان ذا شخصية ضعيفة، لم يتمكن التحكم في زمام الأمور، حيث كان يتلاعب به الضباط والبحارة البرتغاليون، فيرسلون له هدايا تافهة لا قيمة لها تذكر كالمشروبات الكحولية والأقمشة، وفي المقابل يحصلون على خيرات الكونغو، كما كان يسمح بتوافدهم إلى الكونغو والإقامة فيها[2]

إن الضعف والتشتت الذي دبَ في مملكة الكونغو في عهد الملك بدور الخامس– حيث يذكر أنه حتى القرية التي كان يسكنها والتي من المفروض أن تكون أرقى المناطق دبَ فيها العفن والفساد وهجرها سكانها لما آلت إليه– قد جعلها لقمة سهلة المنال للقوات الاستعمارية، ومن مظاهر ضعف وتشتت المملكة إلحاقها بأنغولا بين سنتي 1860م–1862م، رغم وجود شكوك حول ذلك[3].

اختفت السيادة في الكونغو وأصبحت مملكة مهملة مهجورة، حكمتها شخصيات تافهة ليس لها خبرة في السياسة خاصة مع وجود الاستعمار الأوروبي وحيله التي لم يقدروا عليها، كما غلب على شخصية ملوك الكونغو الطمع لكنهم كانوا يرضون بالقليل.

---

[1] فيصل محمد موسى: المرجع السابق، ص 81.

[2] Didier Neuville et ChBréard : opcit, p 198.

[3] Hubert Deschamps : histoire générale de l'Afrique noire, 01er édition, , pressuniversitaire de France, Paris, 1971, p 673.

حضيت الكونغو باهتمام كبير من طرف أغلب القوى الاستعمارية في إفريقيا، فاشتد التنافس عليها مبكرا وهذا يثبت أهميتها البالغة بالنسبة لهم[1].

د. الكشوفات الجغرافية:

بدأت طلائع الاستعمار الأوروبي على القارة الإفريقية منذ الحركة التي عرفت باسم حركة الكشوف الجغرافية خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر والتي قادها مغامرون ورحالة إسبانيون وبرتغاليون وإيطاليون، وقد اعتمدت الدول الأوروبية في تحركاتها على التقارير والدراسات التي تمت بواسطة هؤلاء الذين توغلوا في إفريقيا من كل اتجاهاتها، أو بواسطة المبشرين المسيحيين الذين زاروا إفريقيا، ولقد زادت مرحلة الكشوف العظمى لإفريقيا عند إنشاء الجمعية الجغرافية في لندن عام 1788م، فبدأت البعثات الكشفية داخل القارة لاكتشاف أنهارها، مما ساعد على توغل الدول الأوروبية داخلها[2].

ومن أهم ما نتج عن تلك الكشوف الجغرافية ما أطلق عليه تسمية " المثلث الأطلنطي التجاري" ويعني به العملية التجارية التي كان ضلعها الأهم تجارة الرقيق.

أهم الكشوف الجغرافية:

أولا : الكشوف البرتغالية.

ثانيا: الكشوف الإسبانية.

ثالثا: الكشوف البلجيكية.[3]

---

[1] Hubert Deschamps : opcit, p673.

[2] إلهام محمد علي الذهني: بحوث ودراسات وثائقية في تاريخ إفريقيا الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2009، ص73.

[3] عيسى علي ابراهيم: الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية شمال قناة السويس، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 2000م، ص ص 60-61.

ازدادت الحملات الاستكشافية في القرن 19م، وقد شجع على ذلك اكتشاف الكينا[1]. ففي عام 1816م، قادت انجلترا حملة بحرية لدراسة مصب الكونغو لكنها فشلت لأن معظم رجالها ماتوا بسبب الحمى، لكن بعد ذلك تمكنت من اكتشاف بحيرة تنجنبقا سنة 1858م، ثم بحيرة فيكتوريا[2]، واجتياز كامرون إفريقيا من المحيط الهندي إلى المحيط الأطلسي سنة 1875م، ثم بدأت تتوافد وتتزايد البعثات الاستكشافية[3].

2. أسباب انعقاد مؤتمر برلين الثاني:

كانت الأوضاع متوترة بين الدول الأوروبية وانعكس ذلك على الكونغو، حيث تميزت العلاقات بظهور تحالفات، أخذت الصبغة السرية والمعارضة في نفس الوقت، ومنها دور ليوبولد الثاني[4] والمعاهدة الإنجليزية البرتغالية التي تعتبر من أهم أسباب انعقاد مؤتمر برلين الثاني[5]

أ. دو ر ليوبولد الثاني:

لعبت بلجيكا دورا خطيرا في تاريخ الاستعمار الأوروبي لإفريقيا، فقد كان الملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا السبب لأن تتخذ كل دولة من الدول الأوروبية موقفا حازما فيما يختص بأطماعها، فتحركت كل منها لتأخذ نصيبها من الغنيمة، فكان لهذا الملك المحب للرحلات

---

[1] **الكينا**: دواء يستعمل لعلاج الحمى وآلام الرأس والصداع النصفي: للمزيد أنظر :
Camile Coquillat : sur le haut Congo, Paris, 1888, p5.

[2] **بحيرة فيكتوريا** : هي أكبر بحيرة في أفريقيا تم اكتشافها على يد مستكشفين انجليزيين هما سبايكو و بيرتون، وهما من أطلق عليها هذه التسمية وهي المصدر الرئيسي لنهر النيل، للمزيد أنظر: جوزفين كام: المرجع السابق، ص 264.

[3] فيصل محمد موسى: المرجع السابق، ص109.

[4] **ليوبولد الثاني** : ولد عام 1835م في ضاحية بكين على أطراف العاصمة بروكسل، وكان شغوفا بمعرفة العالم وأخباره، وكان يتكلم في السياسة ويحب دراسة الجغرافيا، لما أصبح عمره 50 عاما، أخذ يسعى للحصول على مستعمرات لأن بلجيكا لم يكن لديها مستعمرات لذلك كان له دورا هاما في عملية تقسيم إفريقيا. أنظر: ميسون البياتي: الملك البلجيكي ليوبولد الثاني واستعمار الكونغو، الحوار المتمدن، 2013.

[5] Robert et Marianne Cornevin : histoire de l'Afrique des Origines a nos jours, payot, Paris, 1956, p 297.

الجغرافية والتي قرأ الكثير عنها نصيب فيما يحب بإيجاد ضالته في اكتشاف حوض الكونغو "ستانلي"، كما أخذ بعدها يدرس خطط وطرق الاستعمار، فأصبح أمر إنشاء دولة في الكونغو من أولوياته ، ولتحقيق ذلك بادر إلى تأسيس الجمعية الدولية الإفريقية التي انبثقت عن مؤتمر بروكسل، وأسندت مهمة إدارة هذه الجمعية إلى ستانلي الذي حرص على إمضاء معاهدات مع الأهالي لتكون حجة فعالة لتثبيت الملكية مستقبلا، بحيث قام باسم الجمعية بعقد أكثر من 400 معاهدة مع الحكام الأفارقة[1].

لقد اهتم ليوبولد بالكونغو بشكل خاص جدا وعمل على تأسيس دولة في الكونغو تحت رئاسته، ولتحقيق ذلك استعمل الدهاء السياسي، بحيث قام بتحويل الجمعية الدولية الإفريقية إلى الجمعية الدولية للكونغو بغية التوغل في إفريقيا من الجهة الغربية، فحرص أن يحصل على اعتراف دولي بالجمعية الدولية للكونغو كسلطة قائمة تحت حكمه الخاص بعيدا عن بلجيكا، وأقنع الأمريكيين بأن جهوده تهدف إلى إلغاء تجارة العبيد، وهذا ما دفع بالولايات المتحدة الأمريكية للاعتراف بالجمعية الدولية للكونغو 22 أفريل 1884م[2].

ب. المعاهدة البريطانية البرتغالية: 26 فيفري 1884م:

إن المعاهدة البريطانية البرتغالية التي عُقدت بين الطرفين في 26 فيفري 1884م تعتبر أحد العوامل التي جعلت من عقد المؤتمر أمر ضروري[3]، ورغم اعتراف بريطانيا الضمني للسيادة البرتغالية في عامي (1810م-1817م) الخاصة بتجارة الرقيق، إلا أنها ظلت رافضة للاعتراف لها بسيادتها على ساحل أنغولا. كما نرى العكس، فالبرتغال لا ترفض مطالب بريطانيا والاعتراف بها في الكونغو، وما إن حدثت المناورة الفرنسية في حوض الكونغو في عامي (1882م-1883م) حتى اتخذت أسسا جديدة للتفاهم، أين خشيت

---

(1) Henri Brun sChwig : le Portage de l'Afrique noire, paris, 1971 , p 46.
(2) Ibid : p 46.
(3) هربرت فيشر : تاريخ أوروبا في العصر الحديث، ترجمة أحمد نجيب وهاشم وديع الضبع، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1984م، ص 115.

البرتغال أن تفقد ما اعتبرته من أملاكها الخاصة، بينما بريطانيا هي الأخرى خشيت من غلق نهر الكونغو[1] في وجه التجارة الدولية بسبب سياسة الضرائب المنتهجة من طرف فرنسا، وعليه كان مشروع السيادة البرتغالية مقابل اعتراف هذه الأخيرة بمطالب بريطانيا على ضفتي النهر.

سلمت البرتغال بمبدأ حرية التجارة في النهر وتكوين هيئة أنجلو البرتغالية لتنظيم الملاحة فيه، ولا تزيد الضرائب عن البضائع الواردة فيه على 10% من ثمنها الأصلي، وتكون لبريطانيا حقوق الدولة الأكثر رعاية فحقق بذلك مشروع المعاهدة لها امتيازات تجارية[2].

لقيت هذه المعاهدة معارضة قوية من جانب البرلمان البريطاني والدول الأوروبية، ولهذا اقترحت البرتغال أسس أخرى جديدة للتفاوض، يمكن التوصل إليها من خلال المؤتمر الدولي، فوجدت ألمانيا هذا الاقتراح فرصة لها[3].

ج. جهود بسمارك:

أدرك بسمارك[4]أنه لابد من منع تصادم الدول الأوروبية، وأن استعمار فرنسا لابد أن يتم دون صدام مسلح، وكان هدف بسمارك وضع أسس النظام الاستعماري الجديد، بحيث

---

[1] **نهر الكونغو**: هو نهر ينبع من جنوب شرق الكونغو (الزئير سابقا)، وهذا النهر يعد ثاني أطول نهر في إفريقيا بعد نهر النيل وأولها من حيث مساحة الحوض، كما أنه يعد ثاني أكثر الأنهار تدفقا وغزارة في العالم بعد نهر الأمازون وهو صالح للملاحة، أنظر: محمد محي الدين رزق: إفريقيا وحوض النيل، مطبعة عطايا، مصر، 1934م، ص 08.

[2] فرغلي علي تسن هريدي:المرجع السابق، ص ص 114-115.

[3] نفسه: ص 114.

[4] **بسمارك:** يعد فون أوتو بسمارك من أهم الساسة الألمان في القرن 19م، لأنه رجل دولة من الطراز الأول، فضلا عن كونه الرجل الذي حمل على كتفيه مسؤولية توحيد الشعوب والمقاطعات الألمانية بعبقريته السياسية، وهو مستشار الإمبراطورية الألمانية ورئيس مجلس وزراء بروسيا، وقد ولد في 01 أفريل 1815م وتوفي في 09 مارس 1888م، أنظر:
Marcelin Berthelot : la grande encyclopédie, raisonné des sciences des lettres et des Arts, Librairié La Rousse, Paris,1885-1902, p945 .

لايسمح بعد ذلك للدول المستعمرة بالاحتفاظ لنفسها بالأرباح كلها، وهذا النظام كان ينتظر أن يكون لصالح ألمانيا، بحيث كان بداية لتحول السياسة الخارجية لبسمارك عام 1884م، فاهتم بفكرة الحصول على مستعمرات يمكن أن تزود ألمانيا ببعض المواد الغذائية التي كانت تشتريها من الدول الأوروبية، وأن يضمن مستعمرات يهاجر إليها أبنائها، فبدأت ألمانيا تخطط لعقد هذا المؤتمر الدولي، وأخذت تتقرب من فرنسا عدوها التقليدي وذلك من أجل حل مشكلات التقسيم وتنظيم عمليات التوزيع. ووجدت فرنسا فكرة الألمان لعقد المؤتمر مناسبا، فراحت تؤيد اقتراح بسمارك وبدأت تتصل بالدول الأوروبية صاحبة المصالح، فصار هناك شبه إجماع على الاشتراك بعقد المؤتمر[1].

تعتبر ألمانيا المكان الأنسب لعقد مؤتمر دولي بحجم مؤتمر برلين نظرا للظروف التي كانت سائدة آنذاك المتمثلة في الخلافات الحادة بين الدول الأوروبية الكبرى، أبرزها خلاف فرنسا مع بريطانيا عقب احتلال مصر وانعكاسات الاتفاقية البرتغالية البريطانية وانشغال بريطانيا بالثروة المهدية في السودان 1885م، فكانت برلين الأنسب خاصة بعد مبادرة بسمارك.

نجحت ألمانيا في تحقيق وحدتها حديثا سنة1871م، غير أن دورها السياسي أصبح له وزن كبير بعد مؤتمر برلين الأول 1878م، وغدت برلين عاصمة أوروبية ومنبرا هاما لحل القضايا والمسائل الشائكة، حيث نجحت ألمانيا في إيقاف حروب البلقان ولا عجب أن يكون لها نفس الدور في حل الخلافات الإفريقية خاصة وأن بسمارك بادر إلى ذلك دون غيره من الساسة الأوروبيين[2].

---

[1] فرغلي علي تسن هريدي: المرجع السابق، ص 116. كذلك أنظر: حلمي محروس اسماعيل: المرجع السابق، ص90.

[2] نفسه، ص 117.

3. انعقاد مؤتمر برلين الثاني 1884م-1885م

في نهاية القرن 19 ولأسباب اقتصادية مختلفة، سارعت البلدان الأوروبية لحجز مناطق في إفريقيا، وبسرعة أصبحت حدة المنافسة أكثر فأكثر، وأصبح احتمال حدوث صدام دولي بينها أمر وارد، لكن تأتي سنة 1884م وتحمل معها أحداث سياسية هامة[1]، وما حدث في هذه السنة هو انعقاد مؤتمر برلين الثاني الذي تم بين الدول الاستعمارية حول قضية افريقية لم يتم استشارة الإفريقيين حولها[2]، حيث أكد هذا المؤتمر على المخططات التي بدأت بشكل جيد بشأن إفريقيا[3].

كما شكل مؤتمر برلين نقطة فاصلة في تاريخ القارة الإفريقية، ولم تأتي سنة 1914م حتى كانت قارة إفريقيا تحت الهيمنة الغربية باستثناء الحبشة وليبيريا[4].

انعقد مؤتمر برلين في قصر المستشار الألماني في ويلهمستراس يوم 15 نوفمبر 1884، واستمر إلى غاية 26 فيفري 1885م. كانت شخصية بسمارك بارزة، لذلك ترأس المؤتمر في جلسته الأولى بحضور 14 دولة وهي: ألمانيا، النمسا، بلجيكا، الدنمارك، إسبانيا، فرنسا، بريطانيا، إيطاليا، البرتغال، هولندا، تركيا، السويد، النرويج، ماعدا سويسرا، وحضرته بصفة مراقب الولايات المتحدة الأمريكية، وكما شارك أيضا في المؤتمر الجمعية الدولية للكونغو.[5]

---

(1) CT.chailley M : les grande missions Françaises en Afrique occidentale, F.A.N .Dakar, 1953, p61.

(2) Alain Ferrari :Afrique une autre histoire de xx^{eme} siècle, une série documentaire, réalisée parAlain Ferrari ,Paris, 2008-2010, p 10.

(3) Robert Cornevin : histoire de l'Afrique des origines a la 2^{émé} guerre mondiale, payot, Paris, 1956, p300.

(4) المختار الطاهر الرفاعي: "قارة الوحدة الإفريقية وتطورها التاريخي"، مجلة الجامعة، العدد الخامس، جامعة القاهرة، مصر، 2013، ص 135.

(5) Robert cornevin : opcit, p 295.

4. جلساته:

عقد المؤتمر عشر جلسات كاملة، بدأت الجلسة الأولى في 25 نوفمبر 1884م، وعقدت الجلسة الأخيرة في 25 فيفري 1885م، وعقدت هذه الجلسات في قصر المستشارية في نفس القاعة التي عقد فيها مؤتمر برلين 1878م. ولما اجتمع أعضاء المؤتمر بعد ظهر 15 نوفمبر 1884م، نهض بسمارك لافتتاح المؤتمر رسميا، وكان خطابه مقتضبا أعلن فيه أن المؤتمر انعقد لإيجاد الحلول لثلاثة مسائل رئيسية هي[1]:

1) حرية الملاحة والتجارة في حوض الكونغو.
2) حرية الملاحة في نهر النيجر.
3) الإجراءات الواجب استيفاؤها ليكون ضم الأراضي في إفريقيا صحيحا في المستقبل[2].

ناقش المؤتمرون جدول الأعمال في عشر جلسات رسمية حسب الوثائق الدبلوماسية الفرنسية، كانت كلها زوالا بعد الساعة الواحدة، وتشير المصادر إلى وجود جلسات أخرى لم تشر إليها الوثائق الفرنسية، كما أشارت التقارير أيضا إلى وجود جلسات غير رسمية دارت مناقشاتها في أروقة برلين،وأُخذت قراراتها بعين الاعتبار أكثر من الجلسات الرسمية. وقد طالت مدة المؤتمر، حيث كان من الممكن أن تنتهي الجلسات في أسبوعين،بسبب ليوبولدالذي استغرق وقتا لضبط حدود دولته[3].

لقد حضر في المؤتمر مندوبوأربعة عشرة(14) دولة هم كالتالي:

❖ **ألمانيا:** حضر عن ألمانيا كل من السيد أوتون Ottonأمير بسمارك والسيد بول Poul وزير الدولة وسكرتير الدولة للشؤون الخارجية، والسيد أوغوست بوش Auguste

[1]Rober tjully : histoire des peuples d'Afrique, édition gaignault, France, p 224.
[2]Henri Brunschwig : opcit, p 47.
[3]Ibid : p47.

Bushمستشار ونائب سكرتير الدولة للشؤون الخارجية، والسيد هنري دوكوسرو مستشار مفوضية الشؤون الخارجية[1].

- **بلجيكا:** عن بلجيكا حضر السيد أوغوست غابريلAuguste Gabriel، وهو وزير بمطلق الصلاحيات.
- **النمسا:** عن النمسا حضر كل من السيد أميريك Emeric حاجب ومستشار مقرب للملك وسفير مفوض فوق العادة بمطلق الصلاحيات[2].
- **الدنمارك:** حضر عن الدانمارك السيد إميل دوفينEmile Devin حاجب الملك ووزير مطلق الصلاحيات مبعوث مفوض فوق العادة لدى جلالة إمبراطورية ألمانيا.
- **إسبانيا:** عن إسبانيا حضر السيد فرانسيسكو ميري كولوم Francisco Merry Colon وزير بمطلق الصلاحيات.
- **الولايات المتحدة الأمريكية:** حضر كل من السيد جون أكاسونAkasson John والسيد هنري سانفورد Henri Sanford[3].
- **فرنسا:** حضر عن فرنسا السيد ألفونس بارون دوكورسيلBaron Alphonse Dokoursil[4]سفير مفوض لدى جلالة إمبراطور ألمانيا.

---

[1]Philippe Decreane : l'Afrique noire depuis la conférence de Berlin, centre des hautes études sur l'Afrique et l'Asie moderne, Paris, 1985, p 10.

[2] Jean Ziegler :décolonisation instabilités et famines en Afrique 100 ans Après la conférence de Berlin, solidarité socialiste, Bruxelles, 1985 , p 28.

[3]Jean Ziegler : Opcit, p28.

[4]**البارون ألفونس دوكورسيل:** هو دبلوماسي فرنسي، ولد في 30 جويلية 1835م، درس في جامعة السوربون التي أخذ فيها شهادة الليسانس ثم انتقل إلى جامعة بون أين أكمل دراسة الدكتوراه. عمل في وزارة الشؤون الخارجية واتخذ من المنصب مهنة منتظمة وعمل كذلك كسفير في برلين عام 1881م، وأحيل إلى الاستيداع بناءا على طلبه عام 1886م، أنظر: Marcelin Berthelot :opcit, p 513

- **المملكة المتحدة (بريطانيا وايرلاندا):** حضر السيد إدوارد بولدوينماليتEdward Malet Baldwin[1].
- **إيطاليا:** حضر السيد إدوارد Edward سفير مفوض فوق العادة لدى إمبراطور ألمانيا.
- **مملكة الأراضي المنخفضة:** حضر السيد فريديريك فيليب Fréderic Philippe.
- **البرتغال:** حضر كل من السيد داسيراغوماز Da serra Gomeis والسيد أنطوان دي ساربا بيانتالAntoine de serpe pimental.
- **روسيا:** حضر السيد بيارPierre مستشار خاص للإمبراطور ووزير مطلق الصلاحيات.
- **السويد والنرويج:** حضر السيد غيليسGillis وزير مطلق الصلاحيات.
- **الدولة العثمانية:** حضر السيد محمد سعيد باشا Mohamed Said Bachaصاحب المقام العالي وزير وسفير مفوض وبمطلق الصلاحيات.[2]

5. أهم المسائل المناقشة في المؤتمر:

أ. حرية التجارة في حوض الكونغو:

استمر بحث هذه المسألة حوالي أسبوعين: من 15 نوفمبر 1884م حتى الأول من ديسمبر من نفس العام. وقد كشفت المناقشات حول هذا الموضوع عن تقارب بين ألمانيا وإنجلترا والهيئة الدولية. وكانت هذه المجموعة تهدف إلى التوسع في عملية حرية التجارة في أواسط إفريقيا، لكن البرتغال وفرنسا عارضتا هذا المبدأ، فسعت بذلك كل منهما إلى تضييق

---

[1] **إدوارد بالدوين مالت:** دبلوماسي إنجليزي، ولد في لاماي بتاريخ 10 أكتوبر 1837م، تقلد منصب سفير إنجليزي لدى الفيديرالية الجرمانية، امتهن العمل الدبلوماسي سنة 1854م، وتقلد عدة مهام آخرها كان كوزير مفوض في برلين 1884م، أنظر: Marcelin Berthelot : opcit, p 522

[2] Jean Ziegler : opcit, p 28.

حدود التوسع بقدر الإمكان، وظهرت القطيعة بين أعضاء وفود كل من ألمانيا وفرنسا مما مما أدى إلى تعاطف بسمارك مع بريطانيا والهيئة الدولية، وأحرز انتصارا ملموسا لمبادئ حرية التجارة. وبعد الجلسة الأولى، نجح المؤتمر في تحديد الحدود الجغرافية لحوض الكونغو، وقد تشكلت لجنة لهذا الغرض.

مما أمكن من رسم هذه الحدود، حيث يحد حوض الكونغو شمالا كل من حوض نياري Niariوأجوري وشكارى ونهر النيل، وجنوبا مرتفعات حوض زمبيزي[1]، وشرقا بحيرة تنجانيقا[2]، التي تدخل ضمن الحوض وغربا الساحل الأطلسي. وقد أمكن الانتهاء من هذه المسألة مع أوائل ديسمبر ليفرغ المؤتمر لبحث المسألة الثانية[3].

ب. حرية الملاحة في حوض النيجر:

استغرق بحث هذه المسألة شهر ديسمبر بأكمله ثم تأجلت الجلسات بسبب أعياد رأس السنة الميلادية، وجاءت لجان المؤتمر تستأنف أعمالها مرة أخرى في السابع من جانفي 1885م، ومنذ البداية تعاونت فرنسا مع ألمانيا في وضع مشروع تقدمت به ألمانيا لقضية الوقود التي شاركت في المؤتمر، وكان المشروع يتعلق بالملاحة في أحواض الأنهار

---

[1] **حوض الزمبيزي:** هو أحد الأنهار الكبيرة في إفريقيا ورابع أطول نهر في هذه القارة، ويعد من أكبر الأنهار الإفريقية التي تصب في المحيط الهندي، ويبلغ طول هذا النهر 2600 كلم وينبع من زامبيا، ويشتهر هذا النهر بشلالات فكتوريا، أنظر: حسام الدين ابراهيم ومصطفى أحمد أحمد: الموسوعة الجغرافية، ج 3، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2004، ص 18.

[2] **بحيرة تنجانيقا:** تقع في شرق وسط إفريقيا، وهي ثاني أكبر بحيرة للمياه العذبة في العالم من حيث الحجم، وثاني أعمق بحيرة بعد بحيرة بابكال في سيبيريا، ويمتد طولها حوالي 673 كلم بين الشمال والجنوب وعرضها حوالي 72 كلم، وتصب في نهر الكونغو وفي نهاية المطاف إلى المحيط الأطلسي، أنظر: حسام الدين ابراهيم ومصطفى أحمد أحمد: المرجع السابق: ص 80

[3] محمد عبد الفتاح ابراهيم: إفريقيا من مصب الكونغو إلى منابع النيل في هضبة البحيرات، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، 1968م، ص315.كذلك أنظر: شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار الزهراء، الرياض، السعودية، 2002، ص 148.

الإفريقية، ورغم كل هذا فقد حدثت اختلافات بين فرنسا وألمانيا عند مناقشة ودراسة بنود هذا المشروع، حيث كانت فرنسا هي التي طالبت بإدراج موضوع النيجر في جدول أعمال المؤتمر، ووافق على ذلك في ذروة الصراع مع انجلترا دون إدراك المغزى الذي تسعى إليه فرنسا من وراء ذلك، فطلبت بريطانيا معالجة موضوع النيجر، ووافق المؤتمر بالإجماع، وكان هذا ضربة قاسية لفرنسا التي أرادت ضمان مصلحتها وتحجيم المصلحة البريطانية[1].

نصت المادة 30 من نصوص المؤتمر على أن تتعمد بريطانيا بتطبيق مبادئ حرية التجارة والملاحة في مياه النيجر وفروعه ومنافذه الواقعة تحت سيادتها، كما تعهدت بريطانيا بالعمل على حماية التجار الأجانب وجميع المنشآت التجارية في الحوض الواقعة تحت سلطتها، وكما نصت المادة 33 على حرية الملاحة في النيجر خلال الحرب أو السلم لكل الدول دون استثناء[2].

ج. مسألة الإحتلال وأهم شروطه:

نوقشت مسألة الإحتلال الفعلي وما هي الشروط التي يجب الالتزام بها، ولقد استغرق البحث في هذه القضية حوالي ثلاثة أسابيع. وتعتبر المادة 34 من أهم المواد التي اتفق عليها والتي نصت على ضرورة إبلاغ كافة الدول الموقعة على ميثاق مؤتمر برلين أثناء استيلاء أي دولة عن أي جزء من أراضي القارة الإفريقية[3].

د. مسألة إلغاء تجارة الرقيق ومكافحة القائمين عليها:

أدرجت مسألة إلغاء تجارة الرقيق ضمن مناقشات مؤتمر برلين، ولكنها في الواقع شكلت جزء بسيطا من أعمال المؤتمر على عكس ما كان متوقعا لما كان لها من أهمية

---

[1] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: "مؤتمر برلين وآثاره على الخريطة"، مجلة الدراسات الإفريقية ،العدد12، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، مصر، 1983، ص28.

[2] نفسه: ص 28.

[3] شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 148

آنذاك، ولقد جاء في المادة 09 من ميثاق المؤتمر ضرورة تحريم وإلغاء تجارة الرقيق ومعاقبة كل من يمارسها بعد ذلك وفقا لمبادئ القانون الدولي[1].

6. قراراته:

أقر مؤتمر برلين عدة قرارات على شكل ميثاق دولي، ومن أهم القرارات ما يلي:

أ. حرية التجارة في حوض الكونغو: حيث كشفت المناقشات حول هذا الموضوع عن تقارب بين ألمانيا وانجلترا والهيئة الدولية، وكانت هذه المجموعة تهدف إلى التوسع في عملية حرية التجارة ككل في أواسط إفريقيا، ولكن فرنسا وانجلترا عارضتا هذا المبدأ، حيث سعت كل منهما إلى تضييق حدود التوسع بقدر الإمكان، وظهرت القضية واضحة بين أعضاء وفود فرنسا وألمانيا، وقد تعاطف بسمارك مع انجلترا والهيئة الدولية وحقق بذلك انتصارا ملموسا لمبادئ التجارة.

ب. حرية الملاحة في حوض الكونغو: نصت المادة الثانية من نصوص المؤتمر على أن تتعهد بريطانيا بتطبيق مبادئ حرية التجارة والملاحة في مياه النيجر وفروعه ومنافذه الواقعة تحت سيادتها، كما تعهدت بريطانيا العمل على حماية التجار الأجانب، وجميع المنشآت التجارية في أحواض النيجر الواقعة تحت السيادة البريطانية وذلك بشرط التزام التجار بشروط قواعد التجارة هناك[2].

ج. إلغاء تجارة الرقيق: حيث أقر المؤتمر ضرورة إلغاء تجارة الرقيق برا وبحرا، وعلى القوى التي تمارس سيادتها أو نفوذها على بعض المناطق في حوض الكونغو أن تعلن عن تحريم تجارة الرقيق ومعاقبة كل من يمارس هذا العمل[3].

---

[1] شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 149.

[2] فيصل محمد موسى: المرجع السابق، ص ص 133-134.

[3] نفسه: ص ص 133-134.

د. إعطاء الملك ليوبولد الثاني الحق في امتلاك معظم أراضي وادي الكونغو على أن يكون محايدا والتجارة فيه حرة.

هـ. من حق أي دولة سبق لها عقد معاهدات واتفاقيات مع السكان الوطنيين احتكار التجارة معهم دون تدخل دولة أخرى، وكنتيجة لهذا القرار شهدت القارة تكالب الدول الأوروبية على عقد اتفاقيات مع الزعماء الأفارقة، وكان مبعوثو الدول والحكومات الأوروبية يتجولون في القارة مقدمين الهدايا والرشاوى وتوقيع المعاهدات وفي كثير من الأحيان لايدري الإفريقي على ماذا يوقع[1].

و. أما المواد من 34 إلى 38، فقد تضمنت عدة إجراءات، بحيث تضمنت المادتين 34 و35 أحقية استيلاء الدول الأوروبية على أي جزء من الساحل الإفريقي مستقبلا، شرط أن تخبر الدول الموقعة على الميثاق، كما يجب التصديق على دعواها. أما في ما يخص المادتين 37 و 38، فتنص على حق القوى الممضية لتبين التعديلات التي تراها مناسبة، شرط أن لا تتناقض مع الميثاق. كما يمكن لقوى أخرى الانضمام إليه، ويكون للأعضاء الجدد نفس الواجبات والحقوق المخولة للدول الممضية الأخرى[2].

ز. وقد نصت مواده من 13 إلى 25 على حرية الملاحة في نهر الكونغو وروافده. أما المواد من 26 إلى 33، فتنص على أن تطبق على نهر النيجر نفس الشروطالخاصة بحرية الملاحة في الكونغو. وكان من القرارات أيضا، يقبل لكل قوة أوروبية متمركزة في الشمال أن يكون لها حقوق خاصة على البلدان الداخلية، وتستطيع توسيع حدودها بحرية شرط أن تعلم الدول الموقعةعلى الميثاق بهذا[3].

---

(1) Henri Brunschwig : opcit, p 127.
(2) Ibid : p 127.
(3) RobertCornevin : opcit, p 300.

7. تقييم نتائج وقرارات المؤتمر:

إذا حاولنا تقييم مؤتمر برلين 1884-1885 م، فسنجد أنه أول مؤتمر استعماري عقد بين الدول الأوروبية المعنية بالاستعمار لإقرار الوضع في إفريقيا، ولتقسيم ما بقي من أراضي القارة، ولذلك فهو يعتبر عملا دوليا لتنظيم السلب والنهب في القارة الإفريقية، ولقد أضفى المؤتمر الشرعية الدولية لالتهام القارة، وكان معنى نصوصه أن التملك بوضع اليد جائز في الأراضي غير التابعة لدولة أخرى من الدول الموقعة على الاتفاقية سواء كانت مسكونة بالقبائل أو الأمم، ولم يكن رؤساء القبائل يقدرون ويدركون معنى المعاهدات التي وقعوها، وأنهم وضعوا بلادهم تحت الحماية الاستعمارية، على اعتبار أنهم لا وجود لهم في نظر القانون، وكان تقسيم إفريقيا إلى وحدات هو الأساس الذي صارت تعرف حدود الدولة الحديثة.

تأكد في مؤتمر برلين الوسائل والسبل التي احتلت بها الدول الأوروبية جميع أنحاء القارة الإفريقية، وكيفية تقسيمها إلى كيانات وكتل حسب المصالح الاستعمارية، والأهمية الاستراتيجية لكل منطقة ولكل كيان، رغم إرادة الشعب والأمم الإفريقية المغلوب على أمرها. ورأينا كيف أصبح هذا التقسيم وبالا على إفريقيا. وهكذا نجد أن المؤتمر قسم القارة الإفريقية بشكل ينسجم مع مواقف الدول الأوروبية[1].

[1] نجم الدين الأنباري: "مؤتمر برلين 1884-1885 م والصراع الأوروبي للسيطرة على القارة الإفريقية"، مجلة كلية الأدب، العدد 95، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 689.

8. انعكاسات مؤتمر برلين على القارة الإفريقية:

أ. الانعكاسات السياسية:

لم يكد ينتهي القرن 19م، حتى كانت معظم مناطق إفريقيا تحت السيطرة الاستعمارية، حيث قد فتح مؤتمر برلين باب المنافسة على مصراعيها.

❖ **الجهاز الحكومي:**

بقيت إفريقيا يحكمها الإفريقيون أنفسهم دون غيرهم قرون عديدة حتى جاء الاستعمار وبدأ التقسيم وقضى على الحكومات الوطنية التي كانت من الشعب الإفريقي وبمجيء الحكم الأوروبي، تغيرت الأساليب المعروفة، فلم يعد للإفريقي حق النقاش والإقناع، وحل نظام العقوبات الأوروبية محل الأعراف الإفريقية التي كان يعرفها الأهالي، كما جاءت طريقة الحكم ووضع القوانين بطريقة عفوية، فلم يكن للأوروبيين دراية ومعرفة بالأقاليم وسكانها، وكانت النتيجة أن أصبحت قبيلتان أو شعبان يخضعان لإدارة واحدة، ما تتقبله قبيلة ترفضه الأخرى، ونجد أحيانا أن الشعب الواحد أو القبيلة الواحدة أصبحت بعد التقسيم مقسمة إلى إقليمين لكل إقليم إدارة خاصة، فأصبح كل جزء من القبيلة خاضع لأسلوب في الحكم واللغة يختلف عن الجزء الآخر [1].

كانت أوروبا تعتمد في الحروب على نفس النمط الذي جربت بها الحرب التي سبقتها، بمعنى أن يقوم الاستعمار الأوروبي باستفزاز الإفريقيين عن طريق الاستيلاء على أراضيهم أو مصادرة ماشيتهم، فيزحف الإفريقيون إلى استعادة أراضيهم فتحدث الحرب وتنتصر فيها التكنولوجيا الحديثة، فيقبل الإفريقيون عرض السلام المقدم لهم والولاء للمستعمر ويسلموا بضم أراضي جديدة، ويمكن تلخيص الموقف في ما يلي:

[1] Henri Brunschwig : opcit, pp 153-154.

- برغم تقدم الأوروبيين إلا أنهم لا ينجحون في دفع الأفارقة خارج بلادهم، ويضطر الأفارقة للتجمع في مناطق سرعان ما أصبحت عاجزة عن استيعابهم، أو يعيشون عيشة التشرد، أو يتحولون إلى عمال يدويين يعملون في الأراضي التي سقطت في أيدي الأوروبيين.
- نشأت المستوطنات الإفريقية أو الجيوب الصغيرة التي دُفع البيض الإفريقيين إليها دفعا عندما قاموا بتجريدهم من أملاكهم وفرض السيادة عليهم.
- إتباع سياسة اكتشاف المعادن والاستيلاء على مناجمها وحرمان الأفارقة مما هو لهم أساسا[1].

❖ **بروز الاستعمار البرتغالي على الساحة الإفريقية:**

وضعت البرتغال نصب أعينها علىاستغلال المستعمرات إلى أقصى حد ممكن، ومقاومة أي حركة أو تمرد، لذلك اتسم نظام إدارتها بالعنف والقسوة واستغلال المواطنين الأفارقة إلى أبعد حد ممكن. ولقد انتهجت البرتغال سياسة خاصة مع الأفارقة، وهي أهم وأطرف مظاهر الاستعمار البرتغالي، والتي تتيح للإفريقي فرصة أن يعامل معاملة البرتغالي الأبيض وأن ينجو من التمييز العنصري إذا توفرت فيه الشروط التالية:

- أن يكون مسيحيا كاثوليكيا.
- أن يتقن اللغة البرتغالية حديثا وكتابة.
- أن يتحصل على شهادة دراسية عليا.
- أن يتصرف في حياته كما يتصرف البرتغالي.
- أن يكون مالكا لما يسمح له بمستوى معيشي مرتفع[2].

---

[1] أحمد طاهر: إفريقيا فصول من الماضي والحاضر، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1975 م، ص 139. كذلك أنظر: أحمد نجم الدين فليجة: المرجع السابق، ص 88.

[2] محمد عبد العزيز إسحاق: نهضة إفريقيا، تقديم: عبد المالك عودة، الهيئة المصرية العامة للنشر، القاهرة، مصر، 1971، ص 90.

كان للبرتغال وزارة لإدارة المستعمرات يرأسها وزير يعاونه مجلس استشاري، وكان يعقد اجتماعه كل ثلاث سنوات، وكانت السلطة الفعلية في يد الحاكم العسكري الذي يعاونه أيضا مجلس استشاري عسكري، وقد كان البرتغاليون يشترون الأفارقة في مواطنهم بنفس النظرية التي تقوم عليها تجارة الرقيق، وهو ما كان يطبقه أيضا كلا الاستعمارين الاسباني والهولندي[1].

❖ **إعادة رسم حدود القارة الإفريقية:**

اعتمدت القوى الأوروبية في رسم حدود المستعمرات على الحواجز الطبيعية كالجبال والأودية والأنهار والخطوط الفلكية...الخ دون مراعاة وحدة القبيلة وامتدادها، لذلك تمزقت القبيلة الواحدة، بحيث اعتمدت بلجيكا على وضع نظام إداري يحقق خضوع الدولة إلى سياسة وحكم ملكي ذو صبغة عسكرية، فقد وُضعت السلطة في يد حاكم عام يساعده عدد من الموظفين. أطلق على اسم الدولة الإفريقية دولة الكونغو الحرة، وقسمت البلاد إلى أربعة عشر إقليما يدار كل منها بواسطة مندوب يمثل الحاكم العام[2].

❖ **دولة الكونغو الحرة:**

في الجلسة الختامية لمؤتمر برلين، ظهرت دولة جديدة إلى الوجود وهي دولة الكونغو الحرة،والتي أقرها ميثاق مؤتمر برلين بتاريخ 26 فيفري 1885 م على أنها أكبر جزء في حوض الكونغو حسبما ذكره دوكورسيل رئيس اللجنة التقنية للمؤتمر، وكان المؤتمر قد اعترف بالجمعية الدولية للكونغو كدولة حرة مستقلة، والتي أصبحت عضوا في الميثاق العام للمؤتمر بعد ذلك، وحسب التعهدات المتفق عليها تحت رقم 15 و 16 فقد أصبح لها الحق في إنشاء مصالح إدارية وفتح قنصليات وكل مظاهر السيادة.[3]

---

[1] محمد عبد العزيز إسحاق: المرجع السابق،ص ص 90-91.

[2] فيصل محمد موسى: المرجع السابق، ص 109.

[3] Alphonse Jules Wauters : l'état indépendant de Congo-historique-physique-géographie, situation économique, organisation politique, librairie FALK Fils, Bruxelles, 1899, p 35.

اعتبر ليوبولد الثاني دولة الكونغو الحرة ملكية خاصة، وذلك لأن بلجيكا ليست دولة استعمارية ولا يسمح دستورها بذلك، فكانت أولويات ليوبولد المستعجلة هي الحصول على الشرعية القانونية لدولته "الكونغو الحرة" من بلجيكا نفسها.

تمكن ليوبولد من أن يبسط سلطته على الكونغو رغم معارضة بلاده " بلجيكا" لفكرة الاحتلال، ومع ذلك فقد ساهمت الحكومة البلجيكية في تأسيس الكونغو بطريقة غير مباشرة[1].

ب. <u>الانعكاسات الاقتصادية:</u>

لما تم تقسيم إفريقيا، أخذ المستعمرون في تنمية مستعمراتهم وتحويلها إلى مصادر المواد الخام، فاستنزفوا ثروة القارة واستعبدوا أهلها واستغلوا سكانها وأرغموا الكثير من القبائل على الإقامة في الأرض الجرداء، وأرهق الاستعمار الأفارقة في إنشاء المزارع وبناء السكك الحديدية لنقل غلات المزارع والمعادن من الداخل إلى الساحل، فلجأت إلى استخدام كثير من الأهالي عمالا وموظفين صغار وخدما في البيوت والمكاتب وحمالين في الموانئ[2].

استولت الدول الاستعمارية على الأرض بالقوة ثم سنت قانون حياة الأرض وحرية بيعها وشرائها، وبهذا القانون تمكن الأوروبيون والشركات الاحتكارية من شراء الأراضي من الإفريقيين وهم مرغمون بعد تراكم الديون عليهم وعدم تمكنهم من تسديدها. وبعد أن أصبحت الملكية للأفراد، جاءت الشركات واحتكرت شراء السلع التجارية، فاضطر الفلاح الإفريقي أن يزرع ما تشتريه الشركات المحتكرة وكلها من المحاصيل النقدية، ولقد أثر ذلك على حياة

---

[1] Alphonse Jules Wauters : <u>opcit</u>, p 35.

[2] ي . ساقلييفو ج . فاسلييف : <u>موجز تاريخ إفريقيا</u>، ط 1، تعليق أمين شريف، دار الطباعة الجلدية، الأردن، 1979، ص 78.

الأفارقة، وأدى إلى قلة الغذاء وانتشار المجاعة وازدياد المرض وكثرة موت الأطفال، وبالتالي تناقص عدد السكان ودب فيهم الضعف[1].

أما بالنسبة للتجارة، فقد غير الاستعمار مسارها من التجارة عبر الصحراء إلى التجارة عبر المحيط الأطلسي وتصدير المحاصيل ذات الطابع التجاري. أما السلع الموجهة للسكان، فيستورد منها القليل، وذلك لعدم اهتمام الإدارة الاستعمارية بالحالة الاجتماعية والاقتصادية للسكان[2].

بالنسبة للنقل والمواصلات، فقد شهد الأفارقة بناء الطرق والسكك الحديدية والخطوط البرية، وكانت خطوط النقل والمواصلات مقدمة للغزو والتوسع نحو الداخل، كما كانت ضرورية من ناحية التجهيزات في المناطق المحتلة، حيث يمكن استخدامها كنقاط للقيام بالمزيد من الاعتداءات، فكانت الطرق والجسور تبنى تيسيرا لاستغلال المستعمرات[3].

ج. الانعكاسات الاجتماعية:

كان الأفارقة قبل قدوم الاستعمار أقوياء أصحاء، أصبحوا ضعفاء مرضى. كان عددهم كبير تناقص كثيرا بسبب الأمراض والمجاعة وتجارة الرقيق.... ولقد أدت الحدود الاستعمارية التي أملتها روح المنافسة الشديدة بين الدول إلى تقسيم الأقاليم التي وحد بينها التاريخ، كما أدت إلى توزيع وتشتيت السكان الذين ينتمون إلى سلالة واحدة والإخلال بالتكوين الطبيعي للأمم الإفريقية، فالأرض التي سكنها شعب واحد وقعت تحت حكم دول أجنبية مختلفة، وبذلك انقسمت الشعوب الإفريقية بل حتى أفراد القبيلة الواحدة وهذا من رواسب الاستعمار وأثاره الضارة[4].

---

[1] أحمد نجم الدين فليجة: المرجع السابق، ص 90.

[2] ي.ساقلييف و ج. فاسلييف: المرجع السابق، ص 97.

[3] نفسه: ص 97.

[4] محمد عبد العزيز إسحاق: المرجع السابق، ص 87.

كانت الحريات الشخصية مقيدة بقيود وأغلال، لأن تأليف الأحزاب أو العمل بالسياسة ممنوع بحكم القانون، وإصدار الصحف باللغة العربية واللغات الإفريقية ممنوع منعا باتا، ولا يسمح بإصدار الصحف إلا باللغات الأوروبية، ولا يجوز لأحد من الأهالي الانتقال من قرية إلى قرية إلا بإذن سابق ولدخول المدينة لا بد من حمل بطاقة انتقال.

ازدادت الحملات التبشيرية بعد مؤتمر برلين، ولقد كان للمبشرين موقف سلبي اتجاه الديانة الوثنية بإفريقيا عموما، وكانوا مصممين منذ البداية على القضاء عليها. ولطالما رافقت الحملات التبشيرية الاستعمار أينما حل، ومع كل فرصة حاولت ترسيخ مبادئ ديانتها المسيحية وتثبيتها أكثر في نفوس وعقول الأفارقة.

كما حاول الاستعمار الحد من التعليم، فلم يكن في صالحه وجود طبقة مثقفة واعية يمكن أن تصبح خطرا على نشاطاته، لذلك كان التعليم في إفريقيا مقتصرا على بعض أبناء الزعماء ولم يكن مسموح التقدم في التعليم، فكان يكفي تعلم القراءة والكتابة، مما خلق نسبة جهل كبيرة أدت إلى تخلف الشعوب الإفريقية وسهولة التحكم فيها[1].

ويمكن حصر الانعكاسات السلبية في النقاط التالية:

1) تسبب مؤتمر برلين في تفكيك البنية الاجتماعية للسكان، حيث أصبحت القبيلة الواحدة مجزأة بين عدة دول. ولقد قُسّم الكونغو إلى عدة وحدات سياسية لم تراع فيها طبيعة السكان وامتدادهم الاجتماعي.
2) وضع المؤتمر حدودا لم يعهدها الأهالي، إذ اعتمد المؤتمر على الخطوط الفلكية والحواجز الطبيعية التي تعتبر اليوم كقنابل موقوتة بسبب النزاعات والحروب في إفريقيا.
3) فرض مؤتمر برلين الاستعمار في إفريقيا، والذي مارس كل أنواع البطش والتعذيب.

[1] عبد العزيز رفاعي: المرجع السابق، ص 60.

4) عمدت الدول الأوروبية إلى مسح الشخصية الإفريقية والقضاء على مقوماتها بإلغاء اللغة – الدين – العادات والتقاليد.

5) خلق شعور بالنقص في نفوس الأفارقة مما أدى إلى فقدانهم الثقة بالنفس واللجوء إلى تقليد الأوروبيين لإثبات ذاتهم.

6) فرض الوصاية على إفريقيا باعتبارها وحكامها غير مؤهلين لتسيير أمور الحكومة واتخاذ القرارات.

7) تحقيق الدول الأوروبية أرباحا طائلة من القارة، والعكس بالنسبة للأهالي حيث ازدادوا فقرا وحرمانا.

أما بالنسبة للانعكاسات الايجابية فنذكر:

1) إلغاء تجارة الرقيق، رغم أن بريطانيا عندما دعت إلى إلغائه لم تكن نيتها إنسانية بل لأسباب اقتصادية، إلا أنه في النهاية ألغيت هذه التجارة وارتاح الأفارقة من معاناتهم من هذه الناحية.

2) تفتح الأهالي الإفريقيون على العالم قليلا، وتعلُّمهم كيفية الدفاع عن النفس بالإضافة إلى أخذهم للغات الأوروبيين وبعض عاداتهم وثقافتهم، لا ننسى أن الأفارقة خاصة جنوب الصحراء كانوا منغلقين جدا على أنفسهم وجاهلين لما يحدث خارج حدود بلدانهم.

3) أخذ الأفارقة فنون القتال وكيفية استخدام الأسلحة عن الأوروبيين، كما تعرفوا على العديد من الأسلحة التي لم تكن عندهم فيما قبل.

4) هناك العديد من الثروات موجودة في إفريقيا لم يدرك الأفارقة أهميتها وكيفية استعمالها والاستفادة منها إلا بعد مجيء الأوروبيين[1].

[1] هناك العديد من المراجع الأساسية التي أشارت إلى بعض هذه الإنعكاسات منها: عبد العزيز الرفاعي: المرجع السابق، ص ص 60-61.

الفصـل الثالث:

سامـــــوري تـــــوري وبنـــــاء

الدولة الحديثة

1884م-1898م

المبحث الأول: نبذة تاريخية عن ساموري توري[1]:

لم ينشأ ساموري على أرض ممهدة، وإنما ارتبطت مغامرته الكبرى ببعض العوامل في الزمان والمكان، فكان هو النتيجة الطبيعية لكل تلك العوامل. لكن كان لابد أن يكون هذا الرجل نسيج وحده ليتمكن من أن يستخلص من الظروف طاقته الكامنة، ولم يكن ثمة ما يشير إلى أنه سيفرض نفسه في مثل هذا الزمن القصير على هذه الأرض التي كانت المهد القديم لإمبراطورية مالي، فقد كان ثمة الكثير من المنافسين الأقوياء في المضمار، ولكن كل شيء جرى وكأن هؤلاء المنافسين كانت مهمتهم أن يهيئوا له الأرضية المناسبة للنجاح بما ارتكبوه من أخطاء. سنتعرف مع بعض على هذه الشخصية الفريدة وسنتطرق إلى أهم انجازاتها.

1. نسبه:

يرجع نسب أجداد ساموري إلى جماعات التوري، وهم من أصل السوننكي الذين استقروا وسكنوا في ضواحي مدينة جني في قلب إمبراطورية مالي الإسلامية[2]. وفي القرن الخامس عشر حلت إمبراطورية سونغاي[3] محل إمبراطورية مالي، فترك التوري مدينة جني ومعهم أجداد لاتفيا، واستقروا بأعالي النيجر، حيث تعلموا اللغة المالنكية وعملوا بالتجارة،

---

[1] أنظر: الملحق رقم 05، ص199.

[2] **مالي:** ظهرت إمبراطورية مالي حوالي عام 1235 م بقيادة الزعيم سوندیا کیتا، وقد شمل حكمها مناطق واسعة من جمهورية مالي الحالية والسنغال الشرقي وشمالي غينيا وشمال كل من بوركينافاسو (فولتا العليا) والبنين (الداهومي سابقا) وأقصى جنوب موريطانيا، ودخلت في طور الضعف بداية من القرن الخامس عشر، وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر تمكنت مملكة سنغاي من بسط نفوذها على أراضيها. انظر: عبد القاد رزبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية (جنوب الصحراء)،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989، ص 19.

[3] **سونغاي:** تأسست دولة سونغاي في القرن السابع ميلادي واستمرت تتقوى وتتوسع حتى نهاية القرن السادس عشر حيث دخلت في طور الضعف، وانتهى وجودها بحملة المغاربة على البلاد سنة 1591 م، بقيادة السلطان مولاي أحمد الذهبي. أنظر في ذلك: عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص ص 20-24.

لذلك عرفوا باسم الديولا. وبما أنهم اعتنقوا الإسلام منذ زمن بعيد وتزوجوا من بنات المالنكيين المحليين، عُرفوا باسم مالنكاموري (أي المالنكيين المسلمين)[1].

مع نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، استقر جد ساموري سيديكي توري في أعلى النيجر في منطقة البوري الغنية بالذهب، حيث أسس هناك قرية سيديكيلا. وفي منتصف القرن السابع عشر، استقر أحفاده في قرية بانكو بالقرب من بارو بضواحي كانكان، أما جده الرابع فابوتوري الذي كان مرابطا فقد استقر في بداية القرن الثامن عشر بقرية كوفيلا كورو في منطقة الكونيان، حيث مارس مهنة الطب التقليدي، في حين أن ابنه الثالث فافيري توري اختلف مع إخوته، وذهب ليستقر على بعد عشرين كيلومترا من قرية مانيا مبالا دوغو[2].

إن استقرار إحدى جماعات التوري عند قرية مانيا مبالا دوغو جعلهم يصبحون حلفاء لقبائل الكامارا ويتخلون عن ممارسة التجارة إلا نادرا، ويتحولون إلى العمل الزراعي، وقد كان والد ساموري "لانفيا توري " قد استقر بقرية سنانكورو على بعد بضعة كيلومترات من قرية مانيا مبالا دوغو، وهناك في حدود سنة 1829 تزوج امرأة من المالنكيين تدعى ماسورونا، وهي من مواليد سنة 1810، في قرية فاندوغو الصغيرة، وهي زوجته الأولى من بين خمس نساء تزوجهن لانفيا والد ساموري.

وقبل ولادة ساموري، كان الأب لانفيا توري قد قرر الذهاب إلى نيوسو موريدوغو لزيارة المنجِّم الشهير "موريفان" ليسأله عن حلم تأثر به كثيرا، حيث رأى في منامه ثعبانا يخرج من صلبه يكبر ويصعد نحو السماء، فكان تفسير المنجّم للحلم بأنه سيولد له طفل يكون له شأن عظيم وسيُسيطر على العالم كله، وهكذا إذا كانت الرؤيا صحيحة حسب الروايات فقد عكست الحقيقة والطفل هو ساموري[3].

---

[1] عبد الله عبد الرزاق:المسلمون والاستعمار الأوروبي في إفريقيا، المرجع السابق، ص 122.

[2] Jean Suret Canale:L'AlmamySamori Touré Révolution démocratique Africaine (R.D.A), N° 48, Mai 1972, imprimerie Nationale conakry,Guinée, 1959, pp 210-211

[3] Ibid : pp 210

2. مولده ونشأته:

ولد الزعيم ساموري توري الذي تقلد فيما بعد لقب "الإمام" في عام 1830 م في قرية كونيان أو مانيا مبالا ندوغو بالقرب من بيساندوغو الواقعة اليوم في جمهورية غينيا الشعبية[1]، من أب اسمه لافياتوري وأم اسمها ماسورون اكامارا[2].

قضى السنوات الأولى من عمره في قرية والده صحبة إخوته، وبعد فطامه لدى أمه، أوكلت مهمة رعايته والاعتناء به إلى مسارا كوناتي إحدى زوجات أبيه. وحسب التقاليد المحلية، يبعد الطفل قليلا عن أمه بوضعه تحت تصرف أحد أفراد عائلة الأم لبضع سنوات وهذا ماعاشه ساموري، حيث أُرسل قبل سن السابعة عند خالته في قرية فارافينا على بعد حوالي عشرين كيلومترا، حيث بقي هناك فترة يساعد زوج خالته في أشغال الزراعة وتربية الماشية[3].

بعد فترة عاد ساموري إلى بيت والده الذي أدخله المدرسة الابتدائية القرآنية، حيث تعلم وحفظ أجزاء من القران الكريم والعلوم الأخرى. وفي سن الثانية عشر أو الثالثة عشر أجريت له عملية الختان، ورغم وجود خادم (أجير) لدى العائلة وهو بيلالي كوروما الذي اعتقه فيما بعد ساموري، إلا أن الأب لانفيا قام بتدريب ابنه على أصول الزراعة ورعي الأبقار ثم التجارة التي اكتسب منها صفات الصبر والقناعة وتحمل المشاق والمسؤولية[4].

لقد كانت والدة ساموري ماسورونا كامارا امرأة قوية شجاعة، وقد ورث ابنها عنها هذه الصفات من قوة بدنية وطاقة في العمل والاعتماد على الذات والاجتهاد والصبر والصمود مهما صعبت الظروف، فقد كانت ماسورونا كامارا مثالا يقتدى به عن الأم المسؤولة والمتقنة

---

(1) عثمان برايما باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع، مصر، 2000 م، ص 253.

(2) جوزيف كي زيربو: تاريخ إفريقيا السوداء، ترجمة يوسف شلبي الشام، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1994، ص 651.

(3) Yves person: Samori: une révolution dyula Tome2,mémoire de l'instituts Fondamental de l'Afrique noire, Dakar , 1968, p 245.

(4) Ibid, pp 245- 246.

لدورها العائلي، ونعم الزوجة الصالحة للافيا توري خاصة بحرصها واهتمامها بتقديم تربية سليمة وصحيحة لابنها الوحيد، إلى جانب مساعدة زوجها في الحقول ورعي الأبقار وبيع إنتاج الخضر والحبوب في الأسواق الأسبوعية لكونيا وتورونا، وكانت تمنح أرباحها للخزينة العامة[1].

أما بالنسبة لوالده لافيا توري، فقد أتقن عدة مهن منها الزراعة، فقد كان يعمل مزارعا ويربي الماشية بين شعب المالنكي من المسلمين، لكن تطبيق الشريعة الإسلامية لم يكن قويا إلا بين جماعات الديولا« Dyula » الذين كانوا يعملون بالتجارة. ورغم أن لافيا كان مزارعا إلا انه كان ينتمي إلى طبقة التجار المسلمين[2]، حيث كان عاملا ماهرا منضبطا لا يمل ولا يتعب، فورث عنه ابنه ساموري كل الصفات الحميدة كالشجاعة والشرف والشهامة والتحلي بالروح الوطنية، هذه الصفات جعلت منه إنسانا مثاليا وقدوة ونموذجا للعلاقات الإنسانية التي ستكون مصدر ثورة اجتماعية وثقافية في غرب إفريقيا، هذه الثورة التي سيكتبها بدمائه[3].

وحسب ما ورد في الروايات، فقد كان ساموري ابنا بارا لوالديه منذ الصغر وخادما نشيطا، فيُذكر أنه كان يتطوع للبحث عن الحطب في الغابة لخالته وأمه، وكان يقوم برعي الماشية، فقد ظهرت عليه سمات القيادة والزعامة والشهامة منذ الصغر، وقد فرض نفسه على أصدقائه منذ الصغر، حيث كان هو من ينظم الألعاب، وحتى وصل الأمر إلى تنظيم غزوات وعمليات مع أصدقائه لسرقة البرتقال من الحقول المجاورة ليلا ونهارا، وبفضل شجاعته وجرأته استطاع أن يجذب إليه مجموعة من الشباب بحيث لم يتمكن أحد منهم من مجادلته ومنافسته، ولقد قدروه حق قدره لما كان يتصف به من عدل في تقسيم الغنائم. ومما

---

(1) Jean Suret Canale: opcit, p 210.:وانظر أيضاYves person: opcit, p 246

(2)عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، منشورات عالم المعرفة، الكويت، 1998م، ص 122.

(3)Yves person: opcit, p 246

دعّم مكانته، روح المبادرة التي كان يتمتع بها وتواضعه، حيث لم يكن يميز أو يفضل نفسه على أحد[1].

أ. **ثقافته الدينية:**

كان الإمام ساموري إنسانا تقيا مخلصا لدينه الإسلامي على الرغم من أنه لم يكن فقيها أو متعمقا في الثقافة الإسلامية العربية من أمثال الشيخ عثمان دان فودي وعمر الفوتي وأحمد لوبو، غير أنه كان شغوفا بنشر الثقافة الإسلامية والعربية بين شعوب المنطقة مما اكسبه لقب إمام الدين والمجاهد، لأنه كان يقوم بهدم الأصنام والرموز الوثنية، ويبني مساجد ويشجع الكفار على اعتناق الدين الإسلامي، ويحث المسلمين على الامتثال لأوامر الله حسب ما ورد في كتاب الله وسنة نبيه الكريم بتوجيهات علمائه[2].

لقد حظي العلماء من أهل اللغة والفقهاء والمفسرين بحفاوة الكرم والاحترام البالغ في ظل حكمه، وحث عامة المسلمين، لاسيما زعماؤهم، على تثقيف أبنائهم في الدين، وكان ينظم مسابقات في تحفيظ القران وبعض العلوم الإسلامية، وكان يخصص جوائز للفائزين. والى جانب أنشطة نشر الإسلام، كان يقوم بتوعية شعبه خاصة زعماء القبائل حول ضرورة التضامن والاتحاد ضد الغزاة الاستعماريين الأجانب، والامتثال للعدالة الاجتماعية والابتعاد عن رذائل الماديات الدنيوية التي تعكس نمط الحياة الذي تمارسه غالبية قبيلة الماندينغو التي ينتمي إليها الإمام ساموري توري نفسه[3].

ب. **عمله في التجارة:**

لقد شهدت الفترة التي نشأ فيها ساموري انتشار الفوضى في كل مكان، بانتشار جماعات النهب والسلب الذين كانوا ينشطون مع بداية الليل، ويطوفون حول القرى للبحث

---

(1) Jean Suret Canale :opcit, p 211 :وكذلك أنظر Yves person: opcit, p 246.

(2) عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص 259

(3) نفسه: ص 259

عن كل ما يمكن أخذه وحمله (أشخاص كأسرى، حيوانات وأشياء أخرى)، فتحول نشاط الشاب ساموري في هذا الظرف والذي كان غيورا على أرضه وأهله وأهل منطقته، لذلك وضع صوب عينيه ضرورة وضع حد لنشاط هذه العصابات، وبالتالي وضع حد للفوضى السائدة آنذاك في منطقته رغم صغر سنه[1].

لقد كان والد ساموري قلقا على مصير ابنه ومستقبله وخائفا عليه مما كان يحدث ومما قد يصدر عن سكان سنانكورو والمناطق الأخرى المجاورة، لذلك قرر لافيا توري إبعاد ابنه عن هذه النشاطات وذلك بإشغاله حرفة التجارة، لذلك اشترى له قطيعا من الأبقار كرأس مال متواضع في البداية، ثم أرسله إلى أحد أصدقائه لتدريبه أكثر على نشاط التجارة والسلاح والبارود والكولا وغيرها[2].

عمل ساموري في بادئ الأمر بائعا جوالا كأبيه، يبيع الكولا والعبيد الذين يجلبهم من بلاد توما، والذهب الذي يأتي به من بوري، ليشتري الأسلحة والثيران التي كان الطلب شديدا عليها من سكان الغابات. وقد ساعده في جميع خطاه والى أبعد الحدود أنّ أقرباءه من جهة والدته من الحيويين كانوا منتشرين على طول هذه المسالك. ومن جهة أخرى، فإن تعامله الذي كان لابد منه مع الديولا المسلمين أعاده إلى كنف الإسلام الذي كان يرتبط منذ قرون عديدة بالتجارة الواسعة على هذه المسالك[3].

وخلال رحلاته التجارية المتعددة، زار ساموري فريتاون عاصمة ليبيريا ثم بلاد توما، حيث احتفظ بصداقات واسعة ومتعددة، وأتقن لغتهم التي أصبح يتكلمها بطلاقة، وعليه اكتسب خبرات كبيرة في التجارة والمحاسبة والإدارة، فازدادت مداركه واتسعت معارفه عن المناطق التي زارها وصارت لديه خبرة بأحوال الناس وطبائعهم وحرفهم. ثم في فترة لاحقة،

---

[1] Jean Suret Canale: opcit, p211

[2] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: المرجع السابق، ص 124. وكذلكأنظر: Yves person: opcit, p 246

[3] جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص ص 601، 602.

وسع ساموري من نشاطاته، حيث اهتم بتجارة الأغنام والأسلحة والذهب. وفي نهاية فترة نشاطه، تحول ساموري إلى تجارة الرقيق[1]، حيث كان يشتري العبيد من منطقة الماندوغو والبوزيي ليتوجه بهم إلى واسولو فوتا. وبالرغم من صغ رسنه، إلاأنه كان يتمتع بمرتبة رفيعة، حيث كسب احترام العديد من الشخصيات والزعماء، وأصبح معروفا في المنطقة، الأمر الذي ساعده كثيرا في تأسيس دولته فيما بعد[2].

3. تحوله من النشاط التجاري إلى النشاط الحربي

كان ساموري أنيس الطبع، بسيط الملبس وابن الشعب، متواضع، اشتهر بعدة صفات كالشجاعة وروح المبادرة والصبر وعدم التراجع أمام أي خطر كان، رفضه للظلم وحبه للعدالة جعلته يكتسب خصال القائد والزعيم والمحارب منذ الصغر[3]. ولقد حدثت له حادثة كان لها أثر على مستقبله وكانت السبب في توقفه عن مزاولة نشاطه التجاري وتحوله إلى النشاط الحربي. فذات يوم كان في استراحة ما بين رحلتين تجاريتين في قرية مانيا مبالا دوغو، فهاجم على إثرها محاربو السيسي القرية واختطفوا بعض قطعان الماشية، فقام ساموري بجمع كل الشباب الذين وجدهم وسلّحهم في أسرع وقت، ثم انطلق بهم في ملاحقة الغزاة وتبعهم حتى لحق بهم ليلا وهم مخيِّمون، فقام بمحاصرتهم والإحاطة بهم من كل الجوانب، ثم هاجمهم وأجبرهم على الفرار وترك كل ما تم اختطافه، وبذلك استعاد ما يخصه[4].

أ. وقوع أمه في الأسر:

في عام 1852، خلال إحدى رحلاته التي أبعدته عن قريته إلى منطقة توما بسيراليون في مهمة تجارية في سوق قريب من ماسينا، أخبره أحد أصدقائه أنباء تفيد أن قوات صوري

---

[1] Jean Suret Canale: opcit, p212

[2] Yves person: opcit, p p : 247-249.

[3] جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص 672

[4] Yves person: opcit, p p 250-251

بيراما ملك بيساندوغو قد أغارت على سنانكورو، وعلم أن والدته ماسورونا قد أُخذت أسيرة أثناء الحملة على وادي ميلوا، وعلم أن أباه قد تمكن من الفرار واللجوء إلى قرية فاندوغو المجاورة. عاد ساموري مسرعا إلى قريته وأخذ يفكر في أفضل الطرائق لإنقاذ والدته من الأسر، وبعد تدبير وتفكير، قرر الذهاب إلى الملك صوري بيراما ليعرض خدماته نحوه مقابل الإفراج عن والدته، وأخذ معه قطيعا من الأبقار مكونا من ثلاثين رأسا، فقبِل الملك عرضه مقابل أن يعمل في جيشه مدة سبع سنوات، ثم ينظر فيما بعد في قضية إطلاق سراح أمه إذا كان راضيا عنه[1].

ب. <u>جهود ساموري لتحرير أمه من الأسر:</u>

إن تواجد ساموري في جيش السيسي كان بهدف تحرير والدته، ولكنه لم يكن يظن أن ذلك سيخدمه أكثر من ذلك، بحيث ساعده وجوده في صفوف جيش السيسي على تكوين شخصية قوية، ولقد كان جد مرتاح للمهنة الجديدة والخدمة في صفوف المحاربين[2]. وهناك أثبت بسرعة فائقة كفاءته العسكرية التي اعترف بها صوري بيراما الذي كان في السلطة آنذاك[3]. قام ساموري بإحضار أخيه كيمي بريما الملقب بفابو ليتعلم مبادئ الحرب إلى جانبه، ولقد كان عمل ساموري كمحارب في جيش السيسي قد أعطى له دفعا قويا نظرا لتجربته السابقة كرئيس عصابة، إلى جانب مؤهلاته في القيادة والتنظيم وإدارة المعارك، وقد أهّله ذلك للمشاركة إلى جانب جيش السيسي في عدة حملات ومعارك ناجحة، وشارك أيضا في غزو بارالا وفتحها، وكذلك في حصار قرية مالاندوغ. أظهر ساموري الكثير من صفات

---

[1] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: <u>المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا</u>، المرجع السابق، ص 24. وكذلك أنظر:
Jean SuretCanale:opcit, p p 212-213

[2] Yves person: opcit, p 253

[3] جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص 652

القائد الذكي الشجاع الذي لا يهاب الصعاب والأخطار، مما جعله يترقى ويتولى مهمة قيادة مجموعة من المحاربين مكونة من حوالي عشرة أفراد[1].

أثبت ساموري شجاعته في معركة فولادييري، فحينما كان جنود السيسي يتراجعون أمام نيران أسلحة الأعداء، اندفع ساموري وتقدم لوحده نحو الأمام شاهرا بندقيته، فتمكن من أسر ثلاثة أفراد من صفوف العدو، وحقق لهم النصر بدل الهزيمة. وبقدر ما اكسبه هذا النصر تقدير واحترام صوري بيراما، بقدر ما زرع الخوف والقلق والفزع في نفس هذا الأخير من ساموري، فقد أصبح يرى فيه خطرا عليه وعلى سلطانه، ولم يجد أمامه سوى عتقه وأمه وتعويضه عن بعض ممتلكاته ليعود إلى دياره، وقد منحه بركاته حيث كان فراقا وديا[2].

ازدادت مهارة ساموري العسكرية والقيادية في تلك الفترة التي قضاها في جيش السيسي، فقد كانت مرحلة مهمة ومفيدة في حياته، تعلم فيها الكثير من تقنيات التعامل مع المحاربين واستخدام السلاح والخيل في المعارك وأساليب التفاوض مع العدو، واكتسب أيضا معارف اجتماعية وثقافية يحتاجها في مشواره وحياته الشعبية والعسكرية[3].

ج. عودة ساموري إلى أهله:

عاد ساموري إلى أهله الذين استقروا من جديد عند سنانكورو، ولقد كان قد قارب سن الثلاثين، وقد ذاع صيته كقائد شعبي. استأنف مهنته السابقة كتاجر لمدة قصيرة، لكن سرعان ما تخلى عنها وعاد إلى نشاطه الحربي، حيث قام بالالتحاق بمجموعة مسلحة كانت تتواجد في منطقة سنانكورو، ونال ثقة زعيمهم وكان يخلفه أثناء غيابه في المهمات الصعبة في منطقة الغابات، لكن سرعان ما انفصل عنه[4].

---

[1] Yves person: opcit, p 253

[2] Yves person: opcit, pp 253-256 وكذلك Jean SuretCanale : opcit, p 214.

[3] Ibid : p 251

[4] Jean Suret Canale: opcit, p 214

في سنة 1895م، التحق ساموري بالبيريت الذين أوكلوا له قيادة مجموعة مكونة من عشر رجال في قلعة سيرام بادوغو، أظهر ساموري خلالها قدرات وكفاءات عالية خلال غزواته ومعاركه خاصة في بيساندوغو، هذا ما جعل زعيم البيريت ساراسواري موري يرتاح له ويثق به، لذلك قام بتسليمه فرسا ومنحه لقب "إمام" "ALMAMY"، ومنذ ذلك الوقت لم ينتقل ساموري على رجليه إلا نادرا وذلك بتصريح منه شخصيا في شيخوخته. وبعد أن شعر ساموري بأن قوته وقدراته قد تعززت، طلب من سيده إجازة بحجة زيارة والده والتفرغ لتسوية بعض الأمور والمصالح الخاصة والتي تتطلب منه التفرغ، فكان له ما أراد، وحصل على إجازته عام 1861[1].

لم تكن نية ساموري زيارة والده، بل كان يفكر في إنشاء عمله الخاص والتوقف عن العمل لحساب غيره، لذلك أخذ معه فرسه ومجموعة الجنود الذين كانوا تحت قيادته وتوجه إلى سنانكورو، واستلم من أبيه قطيع الأبقار الذي ورثه عن أمه ماسورونا بعد وفاتها، وذهب ليستقر عند سوكورالا في أعالي نهر الميلو، وأعلن عن استعداداه لتوفير العيش والتكفل بكل من يلتحق به، وبدأ يفكر ويحضر لتأسيس دولته بالقرب من نهر الميلو[2].

د. زوجاته وأولاده:

كانت زيجات ساموري عملا من أعمال الدولة، كزواجه من بنات السيسي أو بنات التوري أهالي أودييني. أما زوجاته المفضلات من أمثال سارانكيني كوناتي الشهيرة، التي كانت تقدم الماء لزواره المرموقين، وتظهر في الاحتفالات مع باقي ضرائرها المزينات بالحلي. وكانت سارانكيني تمسك بيدها مقاليد الدولة عند الحاجة، ولم تكن تشترك في إعداد

[1]Yves person: opcit, p 256
[2]Ibid: pp 256-257.

طعامه لا هي ولا باقي زوجاته المفضلات، بل كانت تعده له امرأة صبية مغمورة كانت تعيش في بلاطه الخاص[1].

لقد حرص ساموري على أن يؤمن لأولاده ثقافة دينية أعلى مما قُدِّر له هو أن يتلقاه، ولكن في إطار من التعليم الجماعي، ليخلق بينهم جوا من التكاتف. أما إعدادهم للحياة العسكرية فقد كان بالتدريب المتواصل على ركوب الخيل[2].

[1] جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص 671.

[2] نفسه: ص 671.

المبحث الثاني: بناء الدولة الحديثة:

بقي الماندينغ منقسمين على أنفسهم بعد زوال دولة البامبارا، حتى ظهر فيهم عام 1877هـ- 1860زعيم قوي استطاع أن يبسط نفوذه على جميع قبائل الماندينغ في خلال عشرين سنة (1307-1287هـ) (1889-1871)، واستطاع أن يوحد صفوفهم إلى الجنوب من دولة الحاج عمر[1]، هذا الزعيم هو ساموري توري الذي كوّن إمبراطورية إسلامية من قبائل الماندينغ حيث لاطالما كان راغبا في ذلك، ولقد تمكن من تكوين إمبراطوريته في المنطقة الواقعة عند أعالي النيجر ومنابعه. ولقد بدأ في تنفيذ هدفه منذ عام 1872م[2]، بعد أن وجد النواة التي ستقوم عليها دولته المقترحة والتي ستنشأ عاصمتها في بيساندوغو القريبة من مسقط رأس ساموريٍ. ولقد كان الزعيم ساموري وأتباعه على درجة عالية من الكفاءة والقوة، فقد باعت قواته الأسلاب والعبيد الذين أسرتهم أثناء زحفها، وفي نفس الوقت قامت بشراء الخيول والأسلحة الحديثة، وكان على دولة ساموري أن تعد نفسها إلى فتوحات كثيرة[3].

يمكن تقسيم دولة ساموري إلى ثلاث مراحل،ا لمرحلة الأولى اتسمت ببناء مجتمع جديد ودولة جديدة وذلك قبل عام 1884م. والمرحلة الثانية امتدت من عام 1885م إلى عام 1884م، واتسمت هذه المرحلة بالصبغة الدينية وإعلان ساموري الجهاد لنشر الإسلام بين الوثنيين، وفتحه العديد من المدارس لتحفيظ القرآن والتوسع في إنشاء المساجد. أما المرحلة الثالثة والأخيرة، فتبدأ من عام 1889م حتى 1898م، وقد اصطبغت بالصبغة العسكرية. وقد اصطدم ساموري بالفرنسيين طوال المراحل الثلاث، ولكن اختلفت حدة هذا الصدام من

---

[1] اسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1993، ص209 .

[2] الهام محمد علي الذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850-1914م)، المرجع السابق، ص ص52-53.

[3] فيج جي دي: المرجع السابق، ص301.

مرحلة إلى أخرى. فقبل عام 1884م، اقتصرت العلاقة بينه وبين الفرنسيين على مجرد المناوشات العسكرية، ولكن بعد عام 1884م هاجم ساموري الفرنسيين بعنف[1].

ينبغي أن نشير إلى أن إمبراطورية ساموري كانت متحركة أي أنها لم تكن ثابتة في مكان واحد، فقد كان ساموري يتحرك فرارا من التقدم الفرنسي، ولذلك كف عن بناء الحصون الكبيرة منذ أن عجز عن التصدي لنيران المدفعية الفرنسية. فبعد أن استولى الفرنسيون على بيساندوغو، اتجه ساموري نجو الغرب إلى الأراضي الداخلية لساحل العاج 1893م مكونا دولته الثانية الجديدة التي قضى عليها الفرنسيون عام 1898م. وقد وصف بيروز إمبراطورية ساموري وصفا دقيقا وبالتحديد عاصمته بيساندوغو، حيث أشاد بنظافتها وإشراقها[2].

1. تنظيم الإمبراطورية:

أ. الحكومة:

كانت السلطة كما في أغلب الأحيان في إفريقيا تحمل مظاهر الأوتوقراطية، وهنا كما في كل مكان آخر من إفريقيا، لم يكن مجلس السلطان مؤلفا من أفراد عائلته، فالأقوياء كانوا على العكس من ذلك مبعدين لمصلحة العامة من الشعب،والرجال الذين يمثلون طبقات المجتمع. إضافة إلى أن مجلس ساموري كان يزداد فيه مع الزمن نفوذ المسلمين، كما أنه أصبح يظم مجموعة من الاختصاصيين، حيث تُقدم لنا سجلات كانكان انعطافا ملحوظا في عملية دخول بعض المتعلمين إلى المجلس، فبعض هؤلاء الرجال كانوا من كبار الإداريين الذين أعطوا لبلاط ساموري كثيرا من الأنظمة البناءة أكثر مما كان معروفا في بلاط المدينة[3].

---

[1] إلهام محمد علي الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص54.

[2] نفسه: ص56.

[3] جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص273.

لقد أجرى ساموري إصلاحات متعلقة بالجانب الإداري الذي وضع له أسسا ترتكز على المركزية واللامركزية في نفس الوقت، كتقريب الإدارة المركزية من الأقاليم عن طريق استحداث جهاز يتم عن طريقه تعيين محافظين أوكلت إليهم مهام مراقبة مايجري في الأقاليم[1].

- **أعضاء الحكومة:**

كانت الحكومة المركزية لإمبراطورية ساموري تتشكل منه هوشخصيا كرئيس حكومته والمسؤول الأول فيها، إلى جانب عدة شخصيات من اختياره، فهو المسؤول عن تعيين مجلسه. فنجد الجنرال موريفان ديان ديوباتي من منطقة كونيا، قائدا للجيوش الفاتحة والناطق الرسمي باسم الحكومة. نجد أيضا الجنرال بيلالي كوروما الكبير قائد الجيوش الحربية، وشخصية كوكيز يدونزو من منطقة نيوسو موريدو بكونيا قائدا للوحدات العملية ومختصا في الطب التقليدي أي التداوي بالأعشاب ومكلفا بمراقبة غذاء الإمبراطور خوفا عليه من أي مؤامرة تسمُّم تحاك ضده.

أما راديو بانينيا ماكاندي، فكان إطارا لاستكشاف مقاطعات العدو،واختصاصيا في الاستخبارات العامة والخاصة ومستشارا سياسيا مشهورا. كذلك نجد كاراموكو لاتيني من منطقة ساما تيغيلا مقيما في كانكان، وهو شيخ مشهور بتعمقه في العلوم الإسلامية ونزاهته الأخلاقية ومراقبا حقيقيا للسلوك والمشاريع الإجتماعية والأحكام على الخصوص، وقد كان مقربا من الإمام ساموري، وذا مكانة خاصة لديه[2].

---

[1] منصف بكاي: "ساموري توري بين بناء الدولة الحديثة ومقاومة الإمبريالية الفرنسية"، مجلة دراسات وأبحاث في إفريقيا جنوب الصحراء، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص105.

[2] Jean Suret Canale : opcit, pp 214-215.

- **مهامها:**

❖ عقد اجتماعات دورية ومجالس استشارية لمناقشة ودراسة مختلف المشاريع والقضايا المتصلة بالجانب السياسي التوجيهي وجوانب أخرى.

❖ مناقشة عملية نشر الإسلام والمقاومة العسكرية للغزاة الاستعماريين والنشاطات المختلفة اقتصادية منها واجتماعية.

❖ مناقشة قضايا الحرب والشؤون العسكرية، وتدخل في إطارها طرق ووسائل تحسين كفاءة الجيش وتعيين ومعاقبة مختلف الإطارات، والاهتمام بمسائل التموين بالمواد الغذائية والأسلحة والذخيرة...الخ.

❖ الاهتمام بالشؤون الدبلوماسية، وتتضمن الاتفاقات والمعاهدات.

❖ الاهتمام بمختلف المسائل الداخلية كتنظيم الأقاليم ومراقبة الحكومات المحلية والمراكز التعليمية.

❖ الاهتمام بالمسائل التجارية وقضايا الزراعة والأرض وتنظيم الأسواق والتصدير والاستيراد.

❖ مراقبة الحكومات المحلية وتعيين ممثل أول عليها[1].

2. **التنظيمات الاقتصادية:**

تبنى ساموري توري إصلاحات مستمدة من النظم الاقتصادية العربية الإسلامية مثل غرض الزكاة، الخراج واستعمال المقاييس والمكاييل والموازين، إضافة إلى طرق استخلاص الضرائب للخزينة قصد توفير الموارد المالية اللازمة للإنفاق على المشاريع كبناء المدارس والمساجد (تملك مدينة بوندوكو الواقعة شرق ساحل العاج 52 مسجدا حتى أصبح يطلق

[1] Jean Suret Canale: opcit, p 216.

عليها بالمدينة ذات 52 مسجدا)، وكذلك شراء الأسلحة لمواجهة الإمبريالية الفرنسية التي كانت تخطط لضم البلاد إلى ممتلكاتها الاستعمارية[1].

- **تنظيم الأرض:**

كان تنظيم أقاليم هذه الإمبراطورية أقل صعوبة مما حدث في البلاد الأخرى بسبب التجانس الثقافي الواسع النطاق، وقد حرص ساموري على أن يدخل عناصر توحيدية في عملية تقسيم البلاد، ذلك التقسيم التقليدي إل كانتونات وقرى. وكان يرسل المفوضين والمبعوثين إلى الكانتونات ليقيموا فيها، ويكلفهم بمهمة الإعلام ومراقبة الولاء للملك وتنفيذ قراراته السامية. ولقد كانت الإمبراطورية قد قسمت في الواقع منذ حصار كانكان إلى أراضي تابعة تبعية مباشرة أو غير مباشرة لساموري[2]. وقد وصف القائد الفرنسي بيرو ز إمبراطورية ساموري وصفا دقيقا، فقد التقى بساموري في عام 1887م وعقد معه معاهدة، وذكر بيروز بأن دولة ساموري انقسمت إلى 162 إقليما، احتوى كل إقليم على عشرين قرية تختلف كل منها عن الأخرى من حيث المساحة، وقد شملت إمبراطوريته العديد من الأسواق مثل سوق الذهب والعاج والماشية، ونالت بعض الأسواق شهرة كبيرة مثل سوق كمباي cambay، ونورا nora وكوروسا kauraussa، وكانت هذه الأسواق مراكز هامة ربطت أجزاء الإمبراطورية بسير السيراليون فوتاجالون[3].

- **الزراعة:**

لقد أظهر ساموري بالإضافة إلى كونه محاربا فذا من محاربي الديولا، أظهر ميلا واضحا للاستثمارات الزراعية التي كانت ضرورية للإنفاق على البيت الملكي. فكانت الأراضي المسقية القريبة من أماكن إقامته في كل من بيساندوغو وكينيران

---

[1] بكاي منصف: المرجع السابق، ص 106.

[2] جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص ص 678-679.

[3] الهام محمد علي الذهبي: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 54.

وداباكالا تقسم إلى مزارع صغيرة يعمل فيها العبيد الذين يقودهم رؤساء يخضعون لمن يمكن تشبيهه بوزير الزراعة (سينيكي كونيتيغي)، بينما يشرف وزير آخر على شؤون ماشيته الملكية، أما تخزين الكميات الكبيرة من الغلة ونقلها وتوزيعها فكان كل ذلك يتم بدقة متناهية[1].

وبفضل هذه الإجراءات المشجعة والصارمة تنوع الإنتاج كما ونوعا، وتوفرت محاصيل عديدة منها: الأرز والمانيوك والذرة الصفراء والبيضاء والبطاطا الحلوة والطماطم والبصل والفلفل والباذنجان والبطيخ والفول السوداني والموز والعنب الهندي...الخ[2].

- **الصناعة:**

كان للحرف النصيب الأوفر في الإمبراطورية، حيث كانت تعتبر من الأنشطة التقليدية المزدهرة في إمبراطورية ساموري، وذلك بفضل توفر الأمن والاستقرار. وتمثلت هذه الحرف في الحدادة والنسيج وصناعة الأواني الفخارية والدباغة والنجارة، كما انتشرت أنواع أخرى من المصنوعات المختلفة كالكراسي الخشبية والأحذية الجليدية والمجوهرات بأنواعها فضية وذهبية...الخ.

بل وقد وصلت وتطورت الصناعة إلى حد صناعة بعض الأسلحة أو تطويرها، ومحاولة تقليد صناعة أنواع أخرى من البنادق والذخيرة بجودة وإتقان[3].

- **التجارة:**

كانت التجارة متنوعة ونشطة، ولقد أولى ساموري اهتماما كبيرا بفتح الأسواق وتعميرها بالبضائع. فمثلا نجد الأسواق الداخلية قد جرى تنظيمها بشكل يسمح لكل المناطق أن تتزود بمختلف أنواع السلع المحلية أو المستوردة. وقد كان يتم اختيار

---

[1] جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص671.

[2] Yves person:opcit , p 880.

[3] Ibid : p 880.

يوم في الأسبوع يسمى يوم العرض، وفي هذا اليوم يأتي التجار من كل مكان لعرض سلعهم وبقية أيام الأسبوع فهي لباقي تجار الجملة[1].

من أشهر أسواق الإمبراطورية نجد: سوق كانكان وفابالا وتوكوتو وكومبا وغيرها. وتمتاز هذه الأسواق بوفرة السلع وتنوعها من حبوب وحليب ولحوم وخضر وفواكه، وبالإضافة إلى الأواني المنزلية وغيرها من المنتوجات. أما الخيول والبغال والماشية والأسلحة والملح والحلي والأدوات الحديدية الثقيلة والكبيرة الحجم فكانت تعرض في الأسواق الواسعة. وقد كان لكل قرية سوق خاص بها.

أما فيما يخص التجارة الخارجية فاختصت بالتبادل التجاري، وقد مارستها عدة فئات أشهرها: فئة الديولا التي امتازت بالصبر والقناعة والقدرة على تحمل الصعاب،وقد نظمت هذه الفئة في شكل شركات أشهرها: شركة بافنج وشركة باكاريتوري[2].

وفيما يخص الصادرات، فقد كانت صادراتها نحو الموانئ الأوروبية عبارة عن مسحوق الذهب الذي كان موجها لشراء الأسلحة والذخيرة بالدرجة الأولى، وكذلك العاج وجلود الفهود والقردة وريش النعام والتوابل. أما فيما يخص تجارة العبيد، فإن ساموري قد لجأ إليها في السنوات الأخيرة مكرها ومضطرا من أجل الدفاع عن إمبراطوريته وتحت الضغوطات بسبب ماكان عليه من ديون. وبالنسبة للدول الإفريقية فكان يصدر لها الكولا المقوية وزيت النخيل المستخدم في التجميل والتوابل وغيرها[3].

كان هذا فيما يخص الصادرات، أما الواردات فكانت تتكون في الأساس من الأسلحة والذخيرة المختلفة وبعض الأنسجة والأدوات المنزلية والخيول والحمير والملح...الخ[4].

---

(1) Jean Suret Canale: opcit, p p214-215
(2) Ibid : p215.
(3) Yves Person : opcit , P931 .
(4) Ibid : pp 49-52.

ب. **التنظيمات الإجتماعية والدينية:**

نلاحظ أن هذا الزعيم لم يهمل مسألة تحسين الظروف الإجتماعية لمقاتليه، خصوصا ماتعلق بأولئك الجرحى الذين كانوا يستفيدون من منح مقابل الخدمات المقدمة للدولة[1].

وفيما يخص النظام الديني، فقد كان ساموري هو قائد المؤمنين يحرص على بناء المساجد وإرسال الأطفال إلى المدارس بانتظام. وكان ساموري يشرف بنفسه على الدراسة، حتى أنه كان يختبر أولاده شخصيا مرتين في الأسبوع.

وجدير بالذكر أننا عند دراستنا لساموري، نلاحظ أنه لم يكن له برنامج محدد أو خطة معينة فيما يتعلق بحركة الجهاد التي أعلنها، فكل مانلحظه هو حماسه الشديد لنشر الإسلام وبناء المساجد، ولذلك اختلفت حركته عن كل عثمان دان فوديو والحاج عمر بالإضافة إلى أنه لم يعتنق أي طريق هو فيه كغيره من الزعماء[2].

- **التعليم:**

كان التعليم القرآني في إطار التصميم على نشر الإسلام واحدا من أهم مايشغل بال الإمام ساموري توري. فالمشايخ المكلفون بهذه المهمة في القرى كانوا خاضعين دائما للتفتيش المستمر، ويكافئون بسخاء أو يعاقبون بشدة حسب أعمالهم. وكانوا يشكلون مصلحة للتوجيه المعنوي لدى الحكام وقواد الجيش، وينصبون أنفسهم فترة من الزمن في بعض المناطق حكاما دينيين خاصة في ميادين القضاء، إلا أن الحكم بالإعدام كان مقتصرا فقط على السلطان.وعندما كان الإمام ساموري يستعين ببعض الفئات المميزة من المشايخ أو كبار الأتباع، فإنه لإصدار مثل هذه الأحكام، يتعين

---

[1] منصف بكاي: المرجع السابق، ص 106.

[2] إلهام محمد علي الذهني:جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 56.

عليهم الرجوع إليه من أجل الموافقة عليها والسماح بتنفيذها، وذلك لحرصه الشديد وسهره على تحقيق العدالة والابتعاد عن الظلم[1].

لإعطاء دفع قوي لعملية نشر التعليم الإسلامي في أرجاء إمبراطوريته، قام ساموري بتوزيع دفعة مكونة من ألفين ومائتي طالب على المراكز الجامعية الكبرى على النحو التالي: ألف طالب بمركز كانكان، وخمسمائة طالب بمركز ولادا،وخمسمائة طالب آخر بمركز دانغيراي ومائتي طالب بمركز كابايا في منطقة قارانا. وبعد أن أنهت هذه المجموعة تعليمها، تم توزيعها على مختلف مدارس ومساجد الإمبراطورية. ولدعم المجهودات السابقة، أنشأ ساموري لجنة من كبار الأساتذة لاختيار الأساتذة المؤهلين من مجموع المترشحين لتعليم الأطفال وإقامة الصلوات، وكان يترأس هذه اللجنة أحد كبار المتعلمين وهو كمارا كاندي الذي تلقى تعليمه في موريطانيا. كما حرص ساموري على تكليف مجموعة من المعلمين والأئمة التابعة للقيادة العليا بتعليم أبناء الأمة وشباب الجيش المجندين حديثا[2].

كان ساموري يشكل خلال شهر رمضان من كل سنة لجنة تضم كبار المثقفين من بينهم موريفيرو لانغاما فالي و ماما لاسيني، كانوا يقومون بجولات تفتيشية في مختلف أنحاء الإمبراطورية مثلما حدث في سنتي1881 و1882م، يعاينون ويحققون من خلالها في أخلاقيات وسلوك المعلمين والأساتذة ويمتحنون التلاميذ، ليتأكدوا من قيمة ماتعلموه.فإذا كانت النتائج مرضية وهي الحالات الغالبة، فإن المعلم يتلقى جائزة من الإمام ساموري، كانت في الغالب عبارة عن حصان. وعندما تكون النتائج غير مرضية، فيمكنهم عزل المعلمين غير المؤهلين. والأكثر من هذا، فإن الإمام ساموري

---

[1] جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص ص 674-675.

[2] Yves person : opcit, p 870.

كان يقوم شخصيا بزيارات وجولات تفتيشية لمدارس ومساجد الإمبراطورية،إلى جانب حرصه على مراقبة ومتابعة تعليم أبنائه[1].

ج. **النظام المالي:**

في إمبراطورية المانديجو لم يكن هنالك نظام مالي محدد، فالإمام ساموري توري قد اعتمد على ثروته الخاصة وعلى الهدايا التي يحصل عليها،وينفق على الإمبراطورية من حصيلة بيع المحصولات الخاصة بأراضيه والحقول المزروعة في كل قرية أو عن طريق الاتجار بالأسرى، وكانت حصيلة إنتاج ذهب واسولو تستخدم لشراء الأسلحة[2].

رغم عدم وجود نظام مالي محدد، إلا أن مصلحة المالية كانت من أكثر المصالح تنظيما في الدولة. والضريبة الرئيسية كانت ضريبة العشر على منتجات العمل وتؤخذ عينا، وهي تفرض جماعيا على مجموعة من المزارعين يعملون في حقل للإمام ساموري توري في كل قرية، وثمة ضريبة أخرى هي المودي والتي كانت تستخدم لدفع معاشات المرابطين العاملين في القرى، أما المكوس ومايفرض من رسوم على الأسواق فقد ألغيت كلها لصالح الديولا. بينما كانت صدقات العدالة تذهب إلى السلطان، كما كان له ثلث غنائم الحرب مالم يتنازل عنها بملء إرادته ورضاه[3].

---

[1]Yves person : opcit , p 883.

[2]الهام محمد عي الذهني:جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 56.

[3]جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص 674.

د. **التنظيمات العسكرية:**

- **الجيش:**

لقد اعتمد ساموري على جنود السوفا، فكان زعيم كل قرية مسؤولا عن الأمن وعليه تزويد الجيش بالمجندين من كل القرى. وكانت فترة الخدمة في الجيش غير محددة، فيبقى المجندون فيه حتى يحل محلهم مجندون آخرون. وكان على كل حاكم أن يجند جيشا من أبناء المقاطعة التي يحكمها. وفي أوقات السلم يعود الجنود الاحتياطيين إلى ديارهم مرة أخرى لمدة ستة أشهر، يقومون خلالها بالأعمال الزراعية الشاقة، وفي الستة أشهر الأخرى يتحتم عليهم الحضور على الأقل مرتين أمام زعيمهم المباشر الذي يقرر حسب احتياج الجيش إما العودة مرة أخرى إلى الجندية أو العودة إلى ديارهم[1].

- **المشاة:**

وصل تعداد المشاة حوالي 35000 سنة 1887، والخيالة التي بلغ تعدادها 3000 في تلك الفترة، إضافة إلى حوالي 6000 بندقية، لكن عدم اكتسابه للمدافع حال دون تمكنه من مواجهة القوات الإمبريالية الفرنسية في بعض المعارك. وتذكر المصادر أن ساموري توري قد تميز بذكائه الشديد، بحيث كان يخطط تخطيطا محكما قبل أية مواجهة مع العدو، فدراسة نقاط قوة وضعف العدو كانت من أولوية الأولويات، وعلى هذا الأساس لم يغفل هذا الزعيم عن مسألة الجوسسة على العدو، بحيث طور جهازا أوكلت إليه مهمة التجسس على العدو وجمع كل المعلومات الخاصة به[2].

بالنسبة لجيش ساموري كان دعامة الإمبراطورية وترسها المكين فهو الإمبراطورية الفاعلة، فقد كان في بادئ الأمر يتشكل من المتطوعين ولكنه تحول إلى

---

[1] الهام محمد علي الذهني:جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 55.

[2]منصف بكاي: المرجع السابق، ص108.

آلة حقيقة للحرب مجهزة على الطريقة الحديثة، وتظم تشكيلات دائمة من الجنود المحترفين، وقد بقيت نواة الجيش الحقيقية وأطقمه تعتمد على الديولا، ولكن الكفاءة الشخصية بقيت دائما المعيار الذي يعتمد عليه في احتلال المراكز المتقدمة فيه، وكانت التهيئة الطبيعية في القرى تصل إلى واحد من عشرة من مجموع الرجال، أما التهيئة العامة فلم تكن تحدث إلا في حالة الغزو. وكان اللباس يتألف من طربوش ومن قميص خفيف ذي كمين قصير وسروال له شقة عالية وصندل من الجلد، ولكن رغم هذا الشكل المشترك كان يوجد الكثير من الفوارق[1].

ما يلفت الانتباه في أسلوب ساموري الحربي أنه كان يلجأ إلى تخريب المدن والقرى التي يهجرها عند تتبع الفرنسيين له، فكان لا يخلف وراءه سوى الدمار، وقد أفاده هذا الأسلوب فأدى إلى طول مقاومته، تلك المقاومة التي استمرت سنوات عديدة[2]. ولقد كان ساموري يعرف كيف يعد لمعاركه إعدادا حسنا بالاستعلام عن حال العدو والقيام بالدعاية اللازمة لتحطيم معنوياته أو إضعافها، وكان تكتيكيا بارعا يجيد الخداع في الحرب ونصب الكمائن والمفاجآت المباغتة، ولم تكن براعة قادته تقل عن مستواه، أما محاربوه فكانوا رياضيين ممتازين قادرين على اجتياز الأنهار في شتى الظروف، ويمشون أياما بكاملها على أقل غذاء. ولقد تميز ساموري بتنظيمه مكتب إدارة السوقيات العسكرية. كما أن قلة وسائل النقل جعلت من التنقل أمرا مستعصيا خاصة عندما يتطلب الأمر الانتقال عبر مسافات طويلة. وكان ساموري الذي ارتقى إلى القيادة من صفوف الجنود والذي أثقلت جسمه جراح الحروب دائم الاهتمام بحياة رجاله واحتياجاتهم، كان يأمر بتقديم المساعدة لعائلاتهم خلال الحملات ويتكفل بهم عندما تصيبهم عاهات القتال، ويتقاسم معهم أخطار المعارك في أغلب الأحيان، وهذا ما يفسر الشجاعة المجنونة التي كان يبديها هؤلاء المقاتلون

---

[1] جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص 675.

[2] الهام محمد علي الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص55.

فيتبعونه إلى المهالك وحتى الموت. بالإضافة إلى الشجاعة التي يتمتع بها ساموري، فقد كان فائق الذكاء كمخطط عسكري، وبعيد النظر كخبير استراتيجي مما ساعده على تحقيق أعظم انتصاراته رفقة جنوده[1].

- **الأسلحة:**

فيما يخص المصادر التي كانت تؤمن الأسلحة لساموري فقد كانت متعددة، فمنها ما يتم شراءه من المراكز والسواحل الأوروبية والبريطانية بصفة خاصة، أو عن طريق كبار تجار الأسلحة من الأفارقة منهم: يويوسيلا وهو أحد تجار كانكان، أو من الغنائم، إلى جانب ما كان يرسله ساموري بنفسه من القوافل نحو سواحل سيراليون وليبيريا محملة بسبائك الذهب وجلود الأبقار والمطاط والعاج وغيرها، لتعود محملة بالبنادق والذخيرة عبر الطريق الرئيسي الممتد من ميناء فريتاون إلى فالاب اوهيريماكونو ثم فارانا ومنها إلى كانكان. وقد وصل عدد البنادق المستوردة في منتصف الثمانينات إلى أربعة آلاف بندقية تكرارية ورمي سريع. وفي ماي 1891م، تمكن ساموري من اقتناء كميات هامة من بنادق الرمي السريع تم شراؤها من مراكز تجارية في سيراليون. ويشير بعض المؤرخين إلى أن الكثير من هذه البنادق المستوردة كانت نوعية رديئة[2].

- **الخيل:**

لقد لعب الخيل دورا لا يمكن إنكاره في جيش ساموري وفي إحرازه للانتصارات الكبرى على أعدائه، حيث ضم جيشه فرسان بخيولهم السريعة والتي كان يصعب اقتناءها وذلك لأسباب:

---

[1] جوزيف كي زيربو: المرجع السابق،ص ص677-678.

[2] Yves person : opcit, pp 293-294 .

أ- ارتفاع أسعارها والذي كان يتراوح بين ثمانية وإحدى عشر أسيرا لكل حصان، فقد كانت العملية تتم بتبادل الأسرى مقابل الأحصنة، وكان الحصان أغلى من الأسير بأضعاف مضاعفة.

ب- معظم تجار الخيول كانوا يفضلون مبادلة الأحصنة بالأسرى بدلا من المال، مما اضطر الإمام ساموري الخوض في تجارة العبيد رغما عنه رغم استنكاره لها من قبل.

ت- ارتفاع نسبة موت الخيول في منطقة الغابات ذات الحرارة المرتفعة والرطوبة العالية التي يصاحبها انتشار مختلف أنواع الأمراض، وبالتالي قصر مدة استخدامها مقارنة بغلاء أسعارها حيث في هذه الحالة تصبح العملية خاسرة.

لقد اعتنى ساموري كثيرا بالخيول وأولى لها اهتماما كبيرا، وخصص لها سائسين يهتمون بنظافتها وصحتها وترويضها وتخليصها من الجراثيم والطفيليات. وكانت لكارتا ومنطقة الساحل وماسيفا أهم أسواق الخيول التي كان يعتمدها ساموري في اقتناء خيوله[1].

2. توسيع ساموري حدود امبراطوريته والصعوبات التي واجهته[2]

أ. 1862م بداية التوسع:

أراد ساموري تكوين إمبراطورية كبيرة تضم الماندينجو[3]، فانطلق في بداية سنة 1862م في عمليته التوسعية رفقة مجموعته الصغيرة المسلحة ببنادق بسيطة وبدائية، فاستولى على قرية ديالا المجاورة لمدينة كيرواني، وفي ضواحي القرية أقام معسكره الذي كان ينطلق منه للقيام بعملياته في المزارع والحقول المجاورة من أجل تموين جماعته بالمواد الغذائية، وإجبار التجار المتجولين (الديولا) على دفع ضريبة أو فدية، والإغارة على الأسواق الأسبوعية الكبرى. وخلال عملياته، كان يقوم أيضا بتجنيد المحاربين (الكاري)[4]،وفي إحدى هذه العمليات قام ساموري بالانتقام لنفسه من

---

[1] Jean Suret Canale : opcit, 215.

[2] أنظر: الملحق رقم 06، ص200.

[3] الهام محمد علي الذهني:جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص53.

[4] Jean Suret Canale: opcit, p 215.

سكان قرية ورودوغو الشمالية الذين وشو به إلى زعماء ألبيرت، فقام بتخريب القرية وأسر سكانها دون إراقة الدماء، وخصص نفس المصير إلى أهالي قرى سوكورالا وكورابادوغو الواقعة على الضفة الأخرى لنهر الميلو، وذهب أكبر جزء من هذه الانتصارات إلى جنوده وأهاليهم[1].

- **ساموري في منطقة سنانكورو:**

وقع اختيار ساموري على مدينة سنانكورو بعد بحث طويل على مكان يصلح لاستقراره ولمواصلة نشاطه بهدوء، خاصة بعد أن بسط سيطرته على العديد من القرى والمناطق المجاورة لمدينة كيرواني. وكانت سنانكورو المنطقة الأنسب حسب رغبة ساموري خاصة بعد تطور وتنامي نشاطه، ولكن كان عليه أولا أن يحصل على موافقة زعمائها وأهاليهم، ومن أجل ذلك دخل معهم في مفاوضات طويلة وصعبة وحساسة في آن واحد، تمكن في الأخير من إقناعهم بضرورة تواجده فيما بينهم وعلى ضرورة مساعدتهم في مهمته، فيما تعهد من جانبه باستعداده للدفاع عنهم في حالة الخطر في الكلمة التي ألقاها بالمناسبة على سكانها وزعمائها بحضور سكان وزعماء كل من قريتي ورودوغو وتاليكورو المجاورتين. ثم شرع في نهاية 1862م في بناء معسكره بإحدى ضواحي المدينة، وفي نفس الوقت كان يقوم بتجنيد الشباب من أبناء المدينة والقرى المجاورة وإلحاقهم بمجموعته التي توسعت وتدعمت بوصول متطوعين جدد في مناطق بعيدة، مما أثار ضغينة وحقد أعدائه الذين عمدوا إلى تشكيل حلف هجومي فيما بينهم بهدف القضاء عليه[2].

لقد قام المتحالفون[3] بحشد قواتهم بقرية دامارو، إلا أن ساموري علم بالأمر وتحصَن جيدا بمعسكره، وبخبرته العسكرية توصل إلى توزيع المدافعين بكيفية محكمة

---

[1] Yves person : opcit, p275 .
[2] Ibid, p 277.
[3] **المتحالفون:** هم (زعيم قرية أوسودوغو مع جيرانه في ماندوغو وقبائل أعلى وروندوغو وضحايا سابقين لساموري على رأسهم سيموريسي زعيم قرية ورودوغو الشمالية) للمزيد أنظر: Ibid : p 277

مكنته من رد المهاجمين على أعقابهم ثم الفتك بهم رغم كثرتهم وتفوقهم كثرة وعتادا، ولم ينقذهم إلا الفرار، فتتبعهم ساموري إلى سفح الجبل ولقنهم درسا في القتال وأسر عددا منهم وتصرف معهم بحكمة بأن أعادهم إلى أهاليهم، فكان لهذه المبادرة آثار طيبة بأن ذاع صيته وازدادت شعبيته. بعد هذا الانتصار توجه ساموري لمعاقبة أهالي قرية الكوناني وزعيمهم الذي حصن نفسه جيدا في بووكو وقاوم مقاومة شديدة، جعلت ساموري يتراجع ويدخل من جديد إلى سنانكورو[1].

لقد كان ساموري مُؤيدا في نشاطه من قبل زعيم الحرب سوندوكامان الذي أرسل إليه ابنه يطلب منه تسليمه الغنائم الأخيرة، فرفض ساموري هذا الطلب مما أدى إلى نشوب معركة بينهما هزمه خلالها شر هزيمة، ثم تتبعه إلى مقر إقامة أبيه سوندوكامان وأسره واستولى على ممتلكاته.

لم يرضى زعيم الحرب الكبير سلجي كامارا عن هذه العملية التي قام بها ساموري فتدخل في القضية، مما اضطر ساموري الذي لا يملك آنذاك القوة الكافية – ثلاثمائة بندقية فقط – أن يبتعد باحتراس وحكمة من سنانكورو نحو ضواحي بيساندوغو التي أنشأ بها مقره الجديد بعد أن عقد حلفا مع سكانها وزعمائها، غير أن نانتيني فامادو كوروما قائد الحرب لمنطقة بارانا ماسابادو كان يعتبر المدينة والمناطق المجاورة لها جزءا من مناطق نفوذه، ولذلك هاجم مع حلفائه مقر ساموري دون نجاح، فهجومه تحول إلى هزيمة نكراء له ولحلفائه[2].

إن الانتصار الذي أحرزه ساموري على نانتيني فامادو وحلفائه جعله يحس بقوته أكثر، وزادت ثقته في نفسه وجنوده الذين ارتفعت معنوياتهم، فقرر أن يستغل هذه الفرصة للقضاء على خصمه ساجي كامارا، فراح يحضر جيدا لحصار قرية غبانكو ذات الموقع الاستراتيجي الهام الجاثمة على جبل صعب التسلق والمحاطة بأشجار

---

[1] Yves person : opcit , p 278.
[2] Jean Suret Canale: opcit, pp 215- 216.

شائكة، فأرسل أحد عملائه وهو الشاعر نباما كاندي إلى ساجي كامارا ليمدحه، وبعد أن أدى مهمته بنجاح عاد وبحوزته معلومات ثمينة وتفاصيل مهمة عن القرية.

سمحت المعلومات التي قدمها نياما كاندي لساموري بضرب حصار محكم على القرية، إلا أن مدة الحصار طالت ولم تستسلم القرية، مما جعل ساموري يتحرى الأسباب الكامنة وراء ذلك، فاكتشف خيانة في صفوف جيشه. وبعد أن طهر قواته من الخونة، تمكن من الاستيلاء على القرية وقلعتها والقضاء على خصمه العنيد كامارا، وبعد تسعة أشهر كاملة من الانتظار نجح ساموري[1].

- **حملة ساموري ضد البيريت**

كان ساموري يلجأ إلى بعض التمثيليات البارعة في كثير من أعماله التي يضيف كل منها جديدا إلى مملكته النامية، وبفضل دبلوماسيته الغنية بالخيال والتي لا تخلو عند اللزوم من ضربات قوية تمكن أن يوسع إمبراطوريته[2]، حيث استطاع ساموري أن يصبح سيدا على المنطقة الممتدة من جوالا في الشرق إلى نياندان في الغرب، مع امتلاكه قلعتين ومركزين استراتيجيين هامين هما: سنانكورو و بيساندوغو. وقبل أن يتفرغ لحرب البيريت القريبين من سنانكورو، بدأ في تحسين علاقاته مع جيرانه السيسي بإرسال منذ سنة 1863م ومع مطلع كل عام جديد نصف الغنيمة إلى صوري بيراما أو (ابراهيما) حتى يأمن جانبه أو ربما كتمهيد لوراثته والاستيلاء على ممتلكاته[3].

بعدما أقام ساموري صلحا مع السيسي وأمن جبهتهم، بدأ وتفرغ سنة 1864م بحربه ضد البيريت بعد غارات شنها رجاله على مناطق وقرى غاندوا الغربية وخلف نهر الميلو، ثم جاءته الفرصة المناسبة للقضاء على نفوذهم عندما طلب منه صوري بيراما الاشتراك معه في حلف ضدهم، فقبل ساموري إلا أنه تصرف كقوة مستقلة، بحيث أنه أثناء الحصار لم

---

[1] Jean Suret Canale: opcit, p 116.

[2] جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص 653.

[3] Yvesperson : opcit, p280 وكذالك أنظر: جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص 653.

يخيم مع حلفائه وخيم لوحده عند مانديارا دوغو، بحجة أنه يقوم بعزل البيريت عن كل مساعدة يمكن أن تصلهم من مانو.

لم يدم الحصار طويلا، واستسلم البيريت خلال شتاء 1864-1865م بعد نفاذ المئونة الغذائية، وخرج زعيمهم ساراسوراي موري مرتديا تنورة نسائية ليركع أمام صوري بيراماالذي احتفظ به كأسير لديه في عاصمته " المدينة ". أما ساموري، فإنه لم ينتظر نهاية الحصار والتحق بسنانكور ولأنه شعر أنه سيكون الهدف المقبل لصوري بيرامابعد قضائه على البيريت، وخاصة بعدما بلغه أثناء الحصار قول زعيم سابادوغو لصوري بيراما: "إنك تتعب في إسقاط عدو وتنسى أن عدوا آخر يتعافى بالقرب منك"[1].

قبل أن يتفرغ ساموري لحملات عسكرية جديدة أرسل رسالة إلى صوري بيرام ايقترح فيها اختيار نهر ديون كحد فاصل بين ممتلكاتها، فقبل صوري بيراما العرض وعقدا اتفاقا بينهما في هذا الشأن، ولتوثيق هذا العقد تقدم ساموري إلى بيراما يطلب يد ابنته الجميلة سيريفو، إلا أن أحفاد صوري بيراما افشلوا هذا المشروع عن طريق مقترحات متعجرفة ومهينة، وهذا ما أدى إلى انقطاع العلاقات بينها خاصة بعد أن أقام حفيداه عبدواللاوي مورلاي بغزو منطقتين تابعتين لساموري على نهر الميلو وهما:دلاغنا نوسيرانكورو[2].

إن إحساس ساموري بعجزه عن مواجهة جيوش بيراما جعله يفضل الانسحاب نهاية عام 1865م نحو منطقة توما بأقليم الغابات، حيث بقي هناك حوالي سنة كاملة قدَّم خلالها يد المساعدة لكامي مانفا زعيم كونكورو في حربه مع جيرانه، ثم قاد حملة عسكرية ضد قرية بوزيي.

استغل ساموري فرصة تواجده بمنطقة توما ليوثق علاقاته وصداقته مع صديقه نياما المقيم في قرية فووما، ثم غادر مقر إقامته باتجاه الشمال نحو المناطق التي انسحب منها

---

[1] Yves person : opcit, p282
[2] Jean Suret Canale: opcit, p 216.

صديقه نياما، وتحصن في مغارات وكهوف سوبيدو. وصلت أخبار تواجده بالمنطقة إلى حامية لنكو التابعة للسيسي التي باغتته في فجر أحد الأيام بهجوم كبير في محاولة منها للتخلص منه. إلا أن عنصر المفاجأة لم يكن له أي أثر، فتحول الهجوم إلى هزيمة شنيعة لحقت أفراد الحامية، ولم ينجو منهم إلا عدد قليل تمكن من الالتحاق " بالمدينة " وإبلاغ صوري بيراما بالحادثة[1].

ب. <u>العودة إلى سنانكورو مجددا ومواصلة نشاطه:</u>

مرة أخرى، يتواجد ساموري بمنطقة سنانكورو بمعنويات مرتفعة واستعداد تام خاصة بعد انتصاراته الأخيرة التي حصل خلالها على مجموعة هامة من الأسرى وكميات كبيرة من الغنائم: تمثلت في بنادق وخيول مكنته من تنظيم نواة جيش الفرسان، فخصه أهل سنانكورو وزعمائها باستقبال حار، ثم شرع في توسيع معسكره السابق على نهر الميلو ليشغله من جديد، وبعد انتهاء الأشغال أقام حفلا كبيرا أبهر به أهله وجيرانه وكل المدعوين. لقد تزامنت هذه الأحداث مع الانقطاع النهائي لعلاقاته مع جاره صوري بيراما، وأصبح يثق في نفسه وجنوده وإمكاناته وقدرته على المواجهة الند للند، فاتخذ لنفسه لقب فاما[2] وأصبح لا يعترف بأي سيادة غير سيادته[3].

وكانت إقامته بسنانكورو فرصة كبيرة لبدء حملته بهدف تعمير ممتلكاته الممتدة بين نهري الميلو و ديو، تخللتها حملة عسكرية قام بها في النصف الأول من عام 1868م على بلدة غاندوا، تلاها حصار بلدة سيدو وختمها بإقامة حفل ديني كبير بمناسبة زواجه من سارانكيني كوناتي. وكرس أيضا ساموري جهوده لتنظيم جيشه استعدادا للحملات المقبلة

---

(1) Yves person : op cit, p 248,286.

(2) لقب "**فاما**" يعني الرجل الذي يحمل السيف أو رجل الحرب أو الرجل الذي يستولي على السلطة، فهذا اللقب هو رمز للقوة والنفوذ. انظر: عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 158. وكذلك: الهام محمد علي الذهني:<u>جهاد الممالك الإسلامية</u>، المرجع السابق، ص 53.

(3) Yves person : opcit p286.

وتوسعاته المرتقبة نحو الشمال. وبفضل هذه المبادرة والمجهودات التي بذلها، استعادت منطقة وادي الميلو ازدهارها، وعاد كل الهاربين والمشتتين إلى منازلهم وقراهم بعد أن أعاد ساموري بناء قريتي ورودغو وتاليكورو، فتوسعت ممتلكاته خلال عشر سنوات لتصل مساحتها إلى مايقارب ستة ألاف وستة مائة كيلومترا (6600 كم^2)، ضمت ما يقارب 36 ألف ساكن[1].

ج. **التوجه نحو الشمال 1870-1871 م**

اختلفت وجهة ساموري هذه المرة واختار الشمال، وبالتحديد قرية كوناتي الواقعة في ناموسانا، فوضع خطة للوصول والاستيلاء عليها، فاستغل ساموري فرصة وجود أنصار له ومؤيدين في المنطقة فتقدم نحوها بصفة الحماية والدفاع وليس الغزو، وعند وصوله أقام معسكره على جبل تنتيديلا، ودخل في مفاوضات مع زعيمها فانسوكابا الذي وافق على فتح أبواب القرية لساموري رغم اعتراض بعض أعيانها. وبعد هذا الانتصار الباهر، أقام حفلا كبيرا تناول خلاله الجميع الطعام مُظهرين ومُعبرين عن إعجابهم بقوة ساموري. وبعد هذا الانتصار، واصل ساموري إخضاع القرى المجاورة وقام أيضا بتجنيد بعض من شبابها لدعم وحداته، وبفعل خبرته ومهارته استولى ساموري على منطقة ناموسانا وأصبح سيدا فعليا عليها وضم مقاتليها إلى جيشه مما زاده قوة[2].

ازداد حماس ساموري وارتفعت معنوياته أكثر فأكثر خاصة بعد إحرازه لعدة انتصارات، وكذلك جيشه أصبح أكثر قوة بفضل المتطوعين والمجندين الجدد، وهو ما أتاح له فرصة الانطلاق وبقوة في توسعاته على حساب الوثنيين. وقد كان هدفه هذه المرة هو عدو لدود وهو المسمى فامادو نانتيني، ومن أجل الوصول إليه كان على ساموري تأمين الطريق نحو شرق الميلو مسيطرا على إقليم بيساندوا والذي يضم خمس مناطق. وبحكم معرفة ساموري

(1) Yves person : opcit, pp 288-293.
(2)Ibid : pp 295-296.

لهذا البلد معرفة جيدة، فقد تمكن في نهاية 1871 من ضم المناطق الخمسة إليه الواحدة تلو الأخرى. وبعد عبوره نهر الميلو في بداية موسم الجفاف، ضرب حصارا محكما على بلدة مافار التي سقطت بين يديه بعد مدة قصيرة. ثم جاء قرى أخرى كدانغالا ومانيموسو بانانكي و بانانكو، التي سقطت هي الأخرى خلال هجوم كاسح. وتجنبا لما آل إليه مصير القرى السابقة، فإن زعماء وسكان قرى تانديكا وبافيلا ولاندو موربيابا وغيرها قد استسلموا دون قتال، وهذا ما سهل مهمة ساموري. ولقد انضم إليه زعماء آخرين منهم الزعيم موري فيلاني كيرا زعيم قرية نافادي[1].

د. 1874 م القضاء على نانتيني فامادو:

يتواجد ساموري في قرية نارينا التي رغم كل الاحتياطات التي اتخذتها لمنع ساموري للوصول إليها إلا أنها فشلت في منعه. وقد وصل إليها ووجه فرقته العسكرية نحوها، لكن قوات نانتيني فامادو وحليفه أديغبي باغتته بهجوم من الجنوب عوضا عن الشمال وهو ما كان يتوقعه ساموري، فاضطر هذا الأخير إلى الانسحاب والدخول إلى سنانكورو بعد أن فقد بعضا من جنوده كأسرى. وبعد أن أعاد تنظيم قواته من جديد، قرر ساموري رد الاعتبار لنفسه من خلال مجموعة هجومات عسكرية باشرها بالانتقام من سكان قرية سابادوغو الذين ألحق بهم هزيمة كبرى وغنم منهم عددا من الأسلحة وأسر زوجة زعيمهم مانغبي سارا، ثم حرر أسرى حادثة نارينا. وبعد هذا الانتصار الباهر انتقل ساموري إلى قرية موريبايا، وهناك جاءته وفود عدة قبائل وقرى منها: وفد كورانكو ووفد يضم بعض فصائل قبائل كيسي الشرقية ووفد اورو بيكور وغيرها، أعلنوا جميعا ولائهم لساموري واجتمعوا وتناولوا الطعام معا[2].

---

[1] Yves person : opcit,pp 297-298.

[2] جوزريف كي زيربو: المرجع السابق، ص 653 ، وكذلك أنظر: Yves person : opcit, pp 297-298.

رحل ساموري من قرية موريبايا إلى العاصمة الجديدة بيساندوغو التي أقام بها حفلا كبيرا تخليدا لانتصاراته الأخيرة ، اكتسب خلال هذا الحفل أنصارا وحلفاء جُدد، على رأسهم زعيم ديتول ووكانكان. بعد نهاية الاحتفال جمع ساموري قواته، وانطلق بها نحو بلدة تيري التي تحصن بها فيريكابا كونغبانا أحد إخوة نانتيني فامادو وقضى عليه. ثم انتقل إلى مركز فولاالذي تحصنت به القوات الرئيسية لخصمه فامادو، فحاصرها عدة أيام قبل أن يشن عليها هجوما كاسحا انتهى بهزيمتها، في حين تمكن فامادو من الإفلات والهرب، إلا أن مجموعة من فرسان ساموري ويقودها كل من كيمي بريما و مانغبي موري تمكنت من اللحاق به وأسره عند مستنقع كوبالي على بعد كيلومترين من بيساندوغو، حيث أعدم بعد محاكمة علنية، ويعتبر فعل أديغبي هذا خيانة لحليفه نانتيني[1] .

ما لبث أديغبي نفسه أن سقط بعد القضاء على نانتيني بقليل، وقد كان ذلك في معركته ضد جيش بينيتو مامادو أثناء حصار سيراتوغو (مدينة الواسولو). وعندما بلغ ساموري النبأ أخذ يصرخ: "لقد مات أديغبي، لقد سقطت القلنسوة الوحيدة التي يتزين بها رأس الواسولو وعلي أنا أن التقطها وأتوج بها رأسي". ولم يعد له الآن منافسين باستثناء الحيوي ساغاديغي، الذي تمكن بسبب ضعف السيسي من أن يستولي على كونيان العليا إلى كانكان في الشمال[2].

لقد تحركت قاعدة ملكه الجغرافية مع الزمن إلى سنانكورو في سهل ميلوفي بادئ الأمر، وبما أنه كان مهتما بالتمارين العسكرية فقد نادى:"هيا بنا إلى سنانكورو حيث الأرض المسطحة"، لكن ما لبث أن تراجع بسبب ارتباطاته العائلية واستقر في بيساندوغو على طريق المواصلات بين بلاد توما وكانكان[3]، وهو ما سمح لساموري أن يقضي شتاء سنة 1974م

---

[1] جوزريف كي زيربو: المرجع السابق ص 653 ،وكذلك أنظر: Yves person : opcit pp 301-302

[2] نفسه: ص 653.

[3] نفسه: ص 654.

في عاصمته مطمئن البال معتزا بنفسه وممتلكاته التي توسعت مساحتها إلى أكثر من عشرين ألف كيلومتر مربع، وبرعاياه الذين تضاعف عددهم[1].

هـ. السنوات العظام 1875-1881

▪ نجدة كانكان:

بعد أن وصلت أخبار ساموري وأعماله الباهرة إلى كانكان، حيث أصبح سندا لكل مسلمي المنطقة ضد خصومهم الوثنيين، أرسلت منطقة كانكان وفدا عنهم يطلب مساعدتهم لإخضاع الحيويين سكان مدينة سانكاران، وعقدت بينها وبينه معاهدة على أساس من الشريعة الإسلامية عام 1875 رغم أن الطرفين لم يكونا على مذهب واحد، واتفقا على أن تكون غنائم الغزو من حصة الكابا سكان كانكان بينما تبقى الأراضي المفتوحة من حصة الفاتح. وهكذا شن ساموري حملة شديدة أحرز فيها انتصارات عديدة انتهت بالظفر، ثم عامل الكوندي الذين استسلموا معاملة متسامحة ليبعدهم عن الكابا وكانكان وليسهل له أن يأخذ الشباب منهم جنودا في جيشه، ثم استولى على كوروسا عام 1878 م، ونفذ إلى باليا التي أمنت له السيطرة على طريق البحر الذي يجتاز فوتاجالون[2].

كانكان التي لم تطلب كل ذلك من ساموري بدأ يساورها القلق من انتصاراته، فأخذت تحرض عليه أغيب و دينغراي لتقف في وجهه، إلا أن أغيبو التي وصلتها أخبار قوة جيش ساموري اكتفت بالإسلام وخضعت له وقدمت له جزية من الذهب[3].

▪ من كوروسا إلى اليوري 1878 م

يواصل ساموري فتوحاته، فرغم تمكنه من إخضاع منطقة كوروسا وما جاورها عام 1878، إلا أنه مزال يسير على رأس قواته نحو مناطق الضفة اليسرى للنيجر واستولى على

---

(1) Yves person : opcit p303.

(2) جوزريف كي زيربو: المرجع السابق ص 654.

(3) نفسه: ص 654.

قرى ديوما وبلاتو وغيرها. ثم انتقل إلى الضفة اليمنى في منطقة بافيلي، واختار مدينة داميسوكور كعاصمة لمقاطعات الشمال، وقام بنشر عدد كبير من عملائه للتعريف بقضيته وكان على رأسهم أنسومان كوياتي، وأحرز هؤلاء نجاحا باهرا، فازداد عدد المناصرين والمؤيدين لقضيته من أهالي وزعماء المنطقة، مما مكنه من إحكام سيطرته وبسط نفوذه على إحدى أهم الأقاليم الغنية بالذهب والتي اشتهرت "ببلاد اليوري"[1].

غادر ساموري بلاد اليوري في مطلع سنة 1879م نحو كانكان، وفي طريقه استولى على بلدة ساكودوغو المهمة، ثم توقف بقرية سانييبا حيث قضى بها شتاء عام 1879م، واستغل فرصة تواجده بالقرية ليحسن ويوطد علاقاته بزعيم فوتاديالو، واستقبل أيضا الوفد الذي أرسله صوري بيراما ووقع معه اتفاقية حسن الجوار وطلب منه السماح لتجاره ورعاياه بشراء الأغنام من أسواقهم والذهاب بحرية إلى سيراليون. وتجدر الإشارة إلى أن بعثة بريطانية مكونة من المترجمين ساتوكو ماديوم امادواكا اتصلت به في أوت 1879م بقرية سانييبا، وسلمته رسالة من حاكم مستعمرة سيراليون السيد روي[2].

- **1879 سقوط دولة السيسي:**

قام صوري بيراما بنقض اتفاقية حسن الجوار المبرمة بينه وبين ساموري منذ عدة أشهر، حيث قام بغزو قواته والاستيلاء على أراضي تابعة له بما فيها مدينة سانكاران التي استولى عليها منذ حوالي سنة. وعليه، عاد ساموري في نوفمبر 1879 م إلى بيساندوغو ليبدأ تحضير حملته الكبرى لمعاقبته والقضاء على دولته، ، فقام بحشد الرأي العام للديولا بإعلانه عن عزمه على توفير الحماية للتجارة والطرق التجارية ولكل الذين وقفوا ويقفون إلى جانبه ويساعدونه على إتمام بناء إمبراطوريته. ثم قام بين ديسمبر 1879 وجانفي 1880 م باتخاذ سلسلة من الإجراءات الاحتياطية منها:

---

[1]Yves person : opcit p p328 - 327
[2]Ibid: p330.

أولا: أعطى الأوامر لقواته لتدمير مراكب حامية نهر نيادا التابعة للسيسي وتوزيع حاميات صغيرة على نهر الميلو من أجل قطع الطريق على قوات السيسي بقيادة مورلاي.

ثانيا: أرسل ابن عمه سيرافانا امارا لإبلاغ صوري بيراما بمحتوى ومجموع الإجراءات المتخذة.

ثالثا: كثف من حملاته الدعائية بين صفوف السكان الخاضعين لصوري بيراما بغية تحويلهم عنه[1].

بعد إنهاء تحضيراته، أصدر ساموري أوامره لقائدي جيشه كيمي بريما ومانغبي موري بالتحرك غربا وعبور نهري الميلو ونيادا عند جسري كاسووبانكوني على رأس فرقتين كبيرتين. ومباشرة بعد عبورهما لنهر نيادا،تمكنت إحدى الفرقتين من مباغتة حامية النهر، وأجبرتها على الاستسلام دون مقاومة، في حين قامت الفرقة الأخرى بمباغتة حامية سينانكورو المكلفة بحراسة عائلات الزعماء وممتلكاتهم وغنائمهم وأجبرتها على الاستسلام[2].

سارعت قوات السيسي بقيادة مورلاي الشاب الذي استفاد من ابتعاد ساموري نحو الشمال ليحتل سانكاران و اولاريدو، وانتهى بأن التقى بفودي درامي الذي كان قد استدعاه، وعند ذلك قاومه حيويو كورانكو، فقاده هدف القضاء عليهم وإغراء الاستيلاء على الطريق الجنوبي الموصل إلى البحر إلى الابتعاد عن قواعده بعدا خطرا، وكان هذا ما ينتظره ساموري. وبعد أن وجه للسيسي عدة إنذارات شديدة اللهجة، انقض عليهم انقضاض الصاعقة في معسكر سينانكورو الضعيف التحصين. وعندما عاد مورلاي بسرعة من الجنوب ليواجه خصمه، كان مثقلا بالغنائم التي بقيت في مؤخرة جيشه والتي أفسدت المقاتلين من السيسي وصرفتهم عن القتال ثم آخذو يفرون أفواجا، واضطر مورلاي إلى

---

[1] جوزريف كي زيربو: المرجع السابق ص 655-656، وكذلك أنظر: Yvesperson : opcit, p p327-328

[2] Yves person : opcit, p338.

الاستسلام مع جيشه الذي كان يعد أقوى جيش في المنطقة عام 1880 م. وظهر ساموري وكأنه وريث الدعوة إلى الوحدة الإسلامية الذي أخذ على عاتقه أن يقوم بالإصلاح الذي تتطلبه مجريات الأحداث[1].

في السنة نفسها قام صوري بيراما الشيخ بعد أن فقد القسم الأكبر من قواته على إثر هزيمة مورلاي، راح يتقرب من الزعيم الحيوي ساغاديغي للتخلص من ساموري، وتعاونا على مباغتة أحد جيوشه وذبح من وقع بين أيديهم من مقاتليه.لكن هذا النصر المؤقت لقي عقابا شديدا، فقد أجبر السيسي الشيخ (أيمور يبيراما) أن يستسلم في دوروكورو بعد أن تخلى عنه حلفاؤه الخائفون من جيش ساموري الذي لا يقاوم، وقُتل مستشاروه، أما هو فقد عفا عنه ساموري احتراما لذكريات الماضي المشترك، لكنه اجتاح المدينة واستولى على كل ما يملكه السيسي حتى أقنان الأرض والدقيق[2].

- **سقوط منطقة كانكان**

قام ساموري بتكليف كيمي بريما بالسير على رأس قوات كبيرة نحو مدينة كانكان لمعاقبة زعمائها الذين لم يلتزموا بأحد بنود الحلف المبرم بينهما برفضهم تقديم المساعدة المطلوبة منهم خلال حربه مع السيسي. وفور وصوله، قام كيمي بريما في أوائل جويلية بضرب حصار محكم حول المدينة، واتخذ في نفس الوقت عدة إجراءات لمنع أي تنسيق بين المجموعتين المحاصرتين. فالمجموعة الأولى بقيادة كاراموغوموري تحصنت داخل المدينة، أي كانكان، أما المجموعة الثانية بقيادة داي كابا فتحصنت بكارفامورييا بغرض مفاجأة المهاجمين من الخلف[3]. وللفصل بين التجمعين ومنعهما من التنسيق فيما بينهما، أقام بريما مجموعة مراكز ثانوية شمال وغرب المدينة لعزلها تماما عن أية مساعدة خارجية، ووضع

---

[1] جوزريف كي زيربو: المرجع السابق ص 655.

[2] نفسه: ص 656.

[3] A Le chatelier : L'islam dans l'Afrique occidentale, steinhell éditeur, Paris, 1899, p 226.

حامية عند جسور الميلو لإحكام الحصار. نجحت الخطة بعد تسعة أشهر باستسلام المجموعة الأولى بقيادة كاراموغو موري في شتاء 1881، أما داي كابا قائد المجموعة الثانية فقد تمكن من الانسحاب والفرار شرقا مع بعض أتباعه، ولجأ إلى الشيخ أحمد بسيغو[1].

وصل ساموري خبر سقوط كانكان الذي كان ينتظره بفارغ الصبر فأسرع لزيارتها، وهناك أمر كيمي بريما بمنع النهب ومعاملة أهلها معاملة حسنة، واكتفى بإبعاد بعض زعمائها وشرفائها إلى كونيا. أما كارامغاموري، فقد فرض عليه الإقامة الجبرية بسيفندو في منطقة غاندو. ثم شرع ساموري في تنظيم ومراقبة خطوط المواصلات مع المراكز الساحلية، وخاصة مع سيراليون لضمان وصول الإمدادات من الأسلحة والذخيرة، فعين عليها أمهر وأكبر قادته منهم: كيسي كابا زعيم قرية كسيدوغو، الذي كلفه بحماية خط التموين بالأسلحة القادمة من سيراليون عبر غبيريدو، أما كونكاتا موري فقد عينه ممثلا له في منطقة فارانا الهامة، وعين ساران مامادي كابا مقيما في بانكو وكلفه بمراقبة المناطق الواقعة بين كوروساودايولا، كما قام ساموري بتعيين بيلالي كوروما ممثلا له في منطقة هيريماكونو، أما الجنرال لانكام انفالي كامارا فكلفه بالإشراف على منطقة كابايا، وأخيرا عين الجنرال دييليما مادي للإشراف على منطقة كودايا[2].

أصبح ساموري أكبر قائد لأكبر إمبراطورية إسلامية عرفها شعب المالنكي في الجنوب، ولصيانة وحدة إمبراطوريته الفتية ومواجهة أعدائه من الغزاة الأوروبيين ومن خصومه الوثنيين، أصدر مرسوما إمبراطوريا يقر فيه الدين الإسلامي كدين رسمي للدولة، وأعلن أنه سيواصل جهاده لنشر الدين الإسلامي كدين رسمي للدولة الإسلامية التي كان

---

[1] Yves person : opcit, p 340.
[2] A Le chatelier :opcit , pp 226-227 et Yves person : opcit, p 341.

يرى فيها أفضل السبيل والوسيلة لحكم هذه الأقاليم الشاسعة، وإخراج شعوبها من براثين التخلف ومواجهة الغزو الأوروبي وتطبيق الشريعة الإسلامية وتعميمها في شتى الميادين[1].

- **استيلاء ساموري على كينيرا 1881-1882 م**

بدا كل شيء مسموحا به لساموري الذي صار بإمكانه أن يعتبر نفسه متفوقا على أقوى جيرانه من أمثال فوتاجالون أوسيغو[2]. كما قد فتح انتصار كانكان أفاقا واسعة أمامه لتوسيع ممتلكاته في أكبر جزء من حوض النيجر، ووجد الطريق أمامه مفتوحا نحو الجنوب والشرق. ولتحقيق هذا الغرض، غادر بيساندوغو في منتصف سنة 1881، وهناك استدعى زعماء المنطقة لتناول الديغي، وتحدث في خلافاتهم محاولا معالجة ما يمكن علاجه وأعطاهم نصائح مصمما على ضرورة سيادة الأمن والسلم في المنطقة، وقام بتجنيد مجموعة من شبابهم في جيشه وذلك كضمان على ولائهم الدائم وانصياعهم لأوامره. وخلال إقامته في غبيليبا، زارته عدة وفود أعلنت مساندتها لقضيته وانضمت إليه منها: وفد منطقة أودييني بقيادة زعيمها أمادو الذي رحب به ساموري وأكرمه. وقد عبر ساموري عن ارتياحه لزيارة أمادو، لأن انضمام أهالي وزعماء منطقة أودييني سيفتح له مجال واسع لتحقيق طموحاته التوسعية نحو الشرق[3].

في عام 1881، وفي نهاية شهر أغسطس، غادر ساموري مكانه متجها نحو كينيرا[4]، وهي إحدى الأسواق الاقتصادية المهمة للعبيد والملح والكولا على الضفة اليمنى للنيجر، وكان ساموري قد أرسل إلى زعمائها وأهلها مبعوثين عنه يطلب منهم السماح له بمراقبة هذه السوق، ويدعوهم لاعتناق الإسلام. وكانت دعوته قد تزامنت مع انطلاق زحف

---

[1] A Le chatelier :opcit , pp226-227.

[2] جوزريف كي زيربو: المرجع السابق ص 656

[3] ALechatelier :opcit, pp227-228.

[4] **كينيرا**: هي قرية ذات موقع استراتيجي وأهمية اقتصادية كبيرة، وقد ارتبطت بعلاقات واسعة مع المراكز الفرنسية بالسنغال، ولذلك فإن الفرنسيين حرضوها على مقاومة ساموري. انظر في ذلك: Yves person :opcit , p 348

الفرنسيين للسيطرة على هذه القرية الإستراتيجية، بحيث أرسلوا إليه في منتصف أوت 1881م مبعوثا عنهم وهو الملازم السنغالي "ألاكاميسا" يطلبون منه العدول عن مهاجمتها والابتعاد عنها، إلا أن ساموري رفض هذا الطلب واستأنف طريقه نحو الشمال في سبتمبر 1881 م باتجاه كينيرا[1].

في نهاية نوفمبر 1881 م، وصل ساموري إلى مشارف القرية التي حاصرها وأحاطها في نفس الوقت بثمانية معسكرات مع تنظيم دوريات للحراسة الليلية. وبعد عدة أسابيع من الصمود، أصبح زعماؤها وسكانها في وضعية ميئوس منها بعد نفاذ المخزون من المواد الغذائية، وتأخر وصول نجدة الفرنسيين، وفي نفس الوقت تزايدت حالات الفرار نحو معسكر ساموري، فتمكن ساموري في أول هجوم له يوم 21 فيفري 1882 من الاستيلاء على القرية، ثم قام بإعدام عدد من زعمائها المتعاونين مع الفرنسيين، ورحّل سكانها إلى مناطق آمنة تابعة له وتحت سلطته[2].

- **فشل ساموري في ضم باماكو 1882 -1883 م**

قرر ساموري التوجه إلى باماكو وذلك بعد سقوط كينيرا، وقد كان تحالفه مع مامبي كيتا يؤمن له السيطرة على النيجر، وقد شدد قبضته على الواسولو ليحمي مؤخرته، وكلف أخاه كيمي بريما أن يقضي على المعارضين من الماندينغ ويحتل باماكو التي كانت تتلاقى عند موقعها على النهر كل الطرق الآتية من الجنوب بسبب اضطرارها إلى تجنب مرتفعات الماندينغ العسيرة.

وكانت سلطة خلفاء الحاج عمر الواهية قد جعلت الأمان مفقودا على الطرق، وعندما بدأ نجم ساموري بالصعود، بدا وكأنه أصبح المسؤول عن أمان طرق الجنوب، فانظم إليه تجار الديولا الذين يقطنون باماكو وخاصة الأخوة الثلاث توري، على أمل أن يكون لهم

---

(1) A Le chatelier :opcit, p228.

(2) Ibid : p 228 .وكذلك 656 جوزريف كي زيربو، المرجع السابق ص

الصدارة في المدينة، ولكن العقيد بورنيس ديسبوردس سبقهم واحتل باماكو في 01 فيفري 1883[1].

قام العقيد ديسبوردس بوضع الحجر الأساس للقلعة الجديدة ورفع العلم الفرنسي عليها وتحيته بإطلاق إحدى عشر طلقة مدفعية، وبينما انشغل ببناء قلعة باماكو، قامت فرقة من فرسان ساموري بقيادة فابو (كيمي بريما) بالتوغل في منطقة البيليدوغو الصغير وخربت الخط التيليغرافي وقطعت التموين عن الفرنسيين واستولت على قطيع من الثيران[2]. بالرغم من ذلك، فإن كيمي بريما قد فاجأته الأحداث ولم يتمكن من استعادة باماكو وقد تشتت معسكره، وأعدم الفرنسيون اثنين من الإخوة توري كانوا قد أخذوهما رهائن، أما ساموري فقد قرر أن يتوجه نحو الجنوب لينتقم من خصمه ساغاديبي قبل أن يعود ليثبت حقوقه في أعلى النيجر. وكان ساغاديبي قد تحصن جيدا في كتلة غبانكوندو الجبلية، ومن هناك مد سيطرته على مجموعات التوماو الغيرزي وعلى مواقع الغيبي المتعرجة، ولم يتمكن ساموري من تسلق سفوح الكتلة الجبلية الوعرة للاستيلاء على عش النسر الذي نجح ساغاديبي بالاحتماء به إلا عن طريق الخيانة الداخلية، وما كاد يقع بين يدي ساموري حتى قطع رأسه، ولم يبق له من بعده أي خصم من وزنه، إذ عرفنا أن التوري من سكان أوديني قد أصبحوا حلفاء ساموري[3].

وهكذا تحول ساموري بأنظاره إلى بلاد النيجر ومنها بلاد الموسي التي لم يكن يفصله عنها إلا بلاد البامبارا التي كانت مشتتة من الناحية السياسية[4]. أما بالنسبة للقوات الفرنسية التي سبقته لاحتلال باماكو فهو لم ينسها، حيث هاجمها في الفاتح من أفريل 1883، وهدّد

---

[1] جوزريف كي زيربو: المرجع السابق، ص 657. وكذلك: A le chatelier : opcit, p 229. وكذلك أنظر:
Maurice Delafosse : Haut- Sénégal -Niger (Saudan Français), Première série,Tome 1 éditeur emilelarosé, Paris, 1912, p 344.
(2 Maurice Delafosse:opcit, p 344.

[3] جوزريف كي زيربو: المرجع السابق، ص 657.

[4] نفسه: ص 257.

استقرارها في المنطقة. ولقد دارت بينهما معركة نارية عند خليج أوباكو تكبدت خلالها القوات الفرنسية خسائر جسيمة في الأرواح بلغت ثلاثة وعشرين جنديا بين قتيل وجريح، مما اضطرهم للتراجع والانسحاب والتحصن في قلعة باماكو. صحيح أنهم احتلوا المنطقة ونجحوا في إبعاد ساموري عنها وحرمانه من احتلالها وضمها إلى أملاكه، إلا أنهم تكبدوا خسائر كبيرة مادية وبشرية، فساموري لم يكن القائد السهل، ورغم قوتهم العسكرية المتفوقة كما ونوعا، إلا أن ذكاء ساموري لعب دورا وحرمهم فرحة الانتصار [1].

[1] Maurice Delafosse :opcit, p 344.

الفصـل الرابـع:

الحـــــركـــات الجهاديـــة فـــي غـرب إفريقيا ومقاومة سامـوري تـوري1885م-1900م

تمهيد:

أصبحت منطقة غرب إفريقيا في النصف الثاني من القرن 19م تعج بالحركات الجهادية، أبرزها حركة ساموري توري وحركة الحاج عمر الفوتي.

المبحث الأول: الحركات الجهادية في غرب افريقيا

1. حركة الحاج عمر الفوتي

أ. علاقة الحاج عمر بالفرنسيين 1854-1864م

يعتبر الحاج عمر الفوتي من أشهر زعماء الحركة الجهادية بعد عثمان دان فوديو، فقد استطاع بعد وفاته بناء إمبراطورية كبيرة وهي امبراطورية التكرور، التي امتدت في أعالي السنغال والنيجر[1].

تميزت علاقة الحاج عمر بالفرنسيين في البداية بتعايش حذر،حيث كان يعمل بمختلف الوسائل لتجنب مواجهة القوات الفرنسية. وهو يسعى لبناء دولته، أدرك الحاج عمر مبكرا العواقب الوخيمة التي ستصيبه نتيجة مغامرة التصادم مع الاحتلال الفرنسي المدجج بمختلف الأسلحة والمعتمد على جيش يتميز بقدرة قتالية كبيرة، كما تخوف الحاج عمر كثيرا من تطور ظاهرة الولاءات ومساندة زعماء قبائل فوتا وبامبو كوبوندر للاحتلال الفرنسي، وفضل عدم فتح عدة جبهات في وقت واحد وبقي متفرغا لمواجهته ضد الوثنيين[2].

في نفس الوقت، لم تكن الحامية الفرنسية سان لويس ترغب في مواجهة مفتوحة مع الحاج عمر، لأنه يملك شعبية واسعة ويمكن أن يقلب سكان المنطقة ضدها لأنها مسيحية ومستعمرة. ولم يُظهر الحاج عمر في البداية تهديدا للمصالح الفرنسية بشكل مباشر في أعالي نهر السنغال، كما كانت سلطة سان لويس تعمل بمختلف الوسائل لربط علاقات ودية

---

[1] الهام محمد علي الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص48.

[2] محمد بن شوش: "مقاومة الحاج عمر 1840م-1864م"، المرجع السابق، ص 173.

مع الحاج عمر الذي يريد السلام مع الفرنسيين، ويكون ذلك ملائما لازدهار التجارة الفرنسية بأعالي النيجر، ويحقق رغبة وزير البحرية بسبب الظروف الإقتصادية الصعبة، وعدم استعداد باريس لدعم مستعمرة السنغال بما يكفي من الاعتمادات بسبب أوضاع ومخلفات ثورات 1848م التي عاشتها فرنسا، بالإضافة إلى آثار الحرب القارية في أوروبا. كانت سلطة الاحتلال تعتقد بأن قوات الحاج عمر الجهادية يمكن أن تقدم خدمة غير مباشرة للفرنسيين، وتعرقل توغل النفوذ البريطاني عبر نهر غامبيا في اتجاه أعالي نهر السنغال والنيجر، واقتنعت بأن حركة الحاج عمر مهتمة بإخضاع الشعوب الوثنية ونشر الإسلام والطريقة التيجانية شرق نهر السنغال[1].

وصل الفرنسيون إلى السنغال بقيادة فيدهرب، واختاروا النهر محورا لتوغلهم باتجاه النيجر، وأقاموا عليه كثيرا من التحصينات كان من بينها المدينة عاصمة مملكة خاسو المسلمة.أصبح فيدهرب حاكما على السنغال عام 1854م، فقام يُحي المراكز التجارية الفرنسية القديمة، ويطرد المغاربة إلى شمال نهر السنغال، ويثبت أقدامه بقوة فوق القارة الإفريقية ببنائه دكار عام1857م[2].

لقد تعايش السنغاليون نوعا ما مع سياسة فرنسا السابقة التي تميزت بالتهدئة والسلام، وأحيانا تكون مناوشات بسيطة دون تورط فرنسا في عملية غزو واسع، لأنها كانت تريد استغلال المنطقة اقتصاديا وتظهر بأنها تعمل على تطويرها دون احتلالها، ولكن سرعان ما تغيرت هذه السياسة بمجيء فيد هرب إلى المنطقة. ولتحقيق هذه السياسة، اعتمد على تنظيم الجيش وتطوير عائدات التجارة والقيام ببعض المشاريع مثل فصل أقاليم فوتاتور

[1] محمد بن شوش:"مقاومة الحاج عمر 1840م-1864م"، المرجع السابق، ص ص 173-174.

[2] جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص641.

المتحالفة لمنع الحاج عمر من أن يعلن الجهاد انطلاقا من موطنه فوتا أي منطقة السنغال من فردغته غربا إلى باكل شرقا[1].

أسست فرنسا مجموعة من الحصون والمراكز العسكرية في النقاط الإستراتيجية المهمة في أعالي السنغال للرد على الهجمات المنتظرة من طرف الحاج عمر. وقد كانت هذه الحصون عبارة سلسلة من الحواجز، ومن أهم هذه النقاط حصن مدينة ساندييو، هدفت إلى بث الأفكار والتأثيرات السياسية من جهة ومراقبة النشاط التجاري وتحركات الحاج عمر من جهة أخرى. ولأن نشاط الحاج عمر وازدياد نفوذه في المنطقة كان يشكل دائما مانعا ضد تحقيق طموحات فيد هرب التوسعية، صمم هذا الأخير على فتح جبهة ضد الحاج عمر للحد من طموحاته[2].

كان الحاج عمر قد أرسل رسالة إلى السكان المسلمين في سانت لويس يطلب منهم شن حرب ضد حكامهم الوثنيين والمسيحيين، ووعدهم بأن يحارب الفرنسيين حتى يطلبوا منه السلام وقال:"إن الحرب ضد الوثنيين يجب أن تستمر حتى يوافقوا على دفع الجزية"، ووعد أنه لن يسمح للوثنيين بإقامة أية منشآت تجارية على الأراضي الخاضعة له، كما يمنع سفنهم الحربية والتجارية من المرور في مناطقه[3].

قاد فيد هرب حملة عسكرية في 23 ماي من سنة 1854م ضد جلمت عاصمة الإقليم الغربي لبلاد فوتاتور، وذلك بعد أن استنفذ كل الوسائل السلمية لإقناع الإمام سعد بن بكركن لقبول الحماية الفرنسية. وتكونت الحملة من ألف وثمانمائة جندي مسلحين بعتاد حربي كبير، وحاصرت عاصمة الإقليم جلمت التي كانت محصنة تحصينا جيدا. خافت فرنسا من الهزيمة وعدم القدرة على إسقاط المدينة التي استمرت تقاوم الاحتلال مدة أربعين

---

[1] محمد بن شوش: المرجع السابق، ص 174.

[2] حسين جاجوا: حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي، المرجع السابق، ص 207.

[3] Nazi Boni : Histoire synthétique de l'Afrique résistance , Achevé d'imprimer présence africaine, Paris, 1971, pp 104-105 .

سنة، فتم اللجوء إلى أبشع الوسائل، فاستخدمت المدافع بكثافة كبيرة حتى سقطت المدينة، فهللت فرنسا بانتصارها في معركة جلمت كثيرا[1].

قام الاحتلال بعد ذلك بعقد سلسلة من المعاهدات التجارية مع أقاليم فوتا، وأصبح يتنقل من إقليم لآخر ويتصل بالأمراء الأعيان ويمدهم بالدعم المادي والمعنوي مقابل استمرار ولائهم. وقد تزامن الدخول الفرنسي إلى المنطقة باشتداد التطاحن والتنافس للفوز بمنصب الإمامة، واغتنم الاحتلال الفرصة، فأنشأ المراكز العسكرية والإدارية وشدد المراقبة والتجسس للتعرف على أتباع الحاج عمر والتنكيل بهم[2].

ب. المواجهات العمرية الفرنسية:

- **سنة 1855م:**

كانت مواجهة الحاج عمر مع الفرنسيين في هذه الفترة غالبا مرتبطة بالأقاليم الوثنية التي كان يسعى لإخضاعها، ولقد بدأت هذه المرحلة بإعلان الحاج عمر هجومه على مجموع الوكالات التجارية والسيطرة على مختلف بضائعها في 1855م في إقليم خاصو الذي كان حليفا للفرنسيين والخاضع لحمايتهم، والقيام بعد ذلك بالهجوم على كولانا والتي كانت عملية للاحتلال[3].

اهتم الحاج عمر بإخضاع الوثنيين في كارتا، وكلف جيشه بالهجوم على سينودييو وباكل في شهر فيفري 1855م، أي في الفصل الجاف ونقص مياه السنغال وصعوبة تنقل السفن الفرنسية بجنودها لحماية حصونها العسكرية. وكان الهدف هو السيطرة على المنطقة وعرقلة نشاط التجارة الفرنسية التي توسع انتشارها في السوق بعد مسألة فوتاتور وسهولة تنقل الفرنسيين إلى أعالي السنغال. تمكن المهاجمون من أسر واعتقال جيراردو حاكم

---

[1] محمد بن شوش: "مقاومة الحاج عمر 1840م-1864م"، المرجع السابق، ص ص 174-175.

[2] نفسه: ص175.

[3] Maurice Delafosse : opcit, pp 810-811 .

سينوديبو، وأطلق سراحه بعد دفع فدية خمسة وأربعين قطعة غينية، كما قاموا بإغراق سفينة فرنسية بمياه نهر السنغال واعتقلوا بعض ركابها[1].

أعلن الحاكم العام فيدهرب عن سياسة الأرض المحروقة لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية وحتى نفسية، وكانت الانطلاقة في بداية شهر مارس 1855م، بقيام فرقة من السبايس وفرقة من حامية باكل بالهجوم على قرية مارسا وأودوبا بحجة إيواء أنصار الحاج عمر، وكانت النتيجة قتل إثنى عشر وجرح خمسة وعشرين مسلما، وتم حجز ماشيتهم المتكونة من البقر والمعز والحمير، ليكون ذلك شكلا آخر من العقوبة بترهيب كل من تسول له نفسه التعاطف مع الحاج عمر وأنصاره. كما قام الإحتلال بحرق أربعة قرى تقع على ضفتي نهر السنغال بحجة الخيانة ومساندة الحركة العمرية الجهادية.

حاول الحاج عمر رفع معنويات أنصاره، فأمر جيشه بهجوم ثان على المصالح الفرنسية في 26 أفريل 1855، وتمت السيطرة على مؤن وقطعان الماشية والتي كانت ملكا لبعض السكان في مدينة سان لويس والمؤيدين للاحتلال. أما فرنسا، فقد انتظرت شهر جويلية 1855م للرد على مقاومة الحاج عمر بقوة في الفصل المطير وارتفاع منسوب مياه نهر السنغال وقدرة السفن على الملاحة في اتجاه أعالي النهر. وتوجهت حملة عسكرية في 29 جويلية إلى أعالي نهر السنغال، وقامت بحرق معظم القرى المؤيدة لمقاومة الحاج عمر، ووضع فيدهرب استراتيجية جديدة للتوسع، وبدأ بالتعاون والتحالف مع الإنجليز لمحاصرة المقاومة والقضاء عليها[2].

قام فيدهرب بعد ذلك بعقد اتفاقية مع زعماء مدينة باكل وضواحيها، وأعلن أن هذه المدينة خاضعة للحماية الفرنسية. وأعلن أنصار الحاج عمر الحرب على القوات

---

[1] محمد بن شوش: "مقاومة الحاج عمر(1840م-1864م)"، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد الخامس، الجزائر، نوفمبر 2016، ص ص 16-17.

[2] نفسه: ص ص 17-18.

الفرنسية،في معركة منايل بالقرب من باكل 12 أوت 1855م، وهُزم الاحتلال وكان الانتقام من الأبرياء العزل بحرق قراهم وممتلكاتهم. وصمم الحاج عمر على السيطرة على المنطقة وكلف جيشه بالهجوم على باكل، فانهار الاقتصاد الفرنسي في أعالي السنغال، وكان على الاحتلال العمل لإبعاد الخطر المتزايد وتأمين المنطقة.

تمكن فيدهرب من إمضاء معاهدة صداقة وتعاون مع سامبالا ودعمه بقوات عسكرية أدت إلى تراجع قوات الحاج عمر التي كانت مرابطة بالمنطقة.وقد قامت سلطة الاحتلال أثناء هذه الفترة بنشاط مميز، حيث كافأت كل سنغالي أظهر الود والتعاون مع الفرنسيين وعارض التيجانيين، كما قامت بقتل وحرق جثث بعض التجانيين لزرع الرعب وإحكام السيطرة الفرنسية على أعالي نهر السنغال[1].

- **ما بين 1856م-1857م:**

ردا على الاستفزازات والاعتداءات، قامت عناصر من جيش الحاج عمر بالهجوم على المراكز التجارية الفرنسية للانتقام، وهزمتها في معركة مارسا يوم 30 يناير 1856م. وقد ساعدهم في هذا الانتصار بعض العناصر الموريتانية وانضمام عدد من السكان المحلين إليهم في بوندوا المتضررين من الضربات الفرنسية المتكررة، بعد أن أرسلوا إلى باكل ممثلين عنهم في 18 فيفري. غير أن رد الفرنسيين على هذه الهزيمة جاء عنيفا، باعتبار الخسائر الجسيمة التي ألحقتها بالعدو في الأرواح ورؤوس الماشية وتدمير المنازل.

ولعل أخبار هذه الانتكاسات وعدم إحراز الجيش لانتصارات ترهب العدو المسيحي، هي التي جعلت الحاج عمر يغادر كارطا ويتجه صوب خاسو على الضفة الجنوبية لنهر

[1] محمد بن شوش:"مقاومة الحاج عمر (1840م-1864م)"، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، المرجع السابق، ص ص 177-178.

السنغال، حيث توجد المدينة التي تحتضن بها قوات سان لويس، ليشرف بنفسه على سير العمليات العسكرية ضد الفرنسيين قبل فوات الأوان[1].

لعل علاقة الحاج عمر بالفرنسيين لم تكن بذلك السوء إلى غاية 1857م، عندما أرسل لهم يطلب منهم تزويده بالأسلحة الحديثة ولكنهم رفضوا ذلك خوفا من تزايد قوته العسكرية، وفي الوقت نفسه عملهم على تسليح البامبارا[2]. ولذلك تغير موقفه من الفرنسيين على حد تعبيره، وكتب إلى فيدهرب بأنه لا يريد إقامة أية منشآت فرنسية في أرضه، كما أنه يعارض إرسال أي سفينة حربية فرنسية. والواقع أن طلب الحاج عمر للجزية من الفرنسيين راجع إلى اقتناعه خلال هذه الفترة بقدرته العسكرية وإمكانية هزيمتهم، وذلك يرجع إلى أن فيدهرب ركز جهوده خلال هذه الفترة نحو المناطق الشمالية من السنغال لإخضاع الموريتانيين ومنعهم من الإغارة على المستعمر[3].

نتيجة لتحالف الفرنسيين مع البامبارا، قام الحاج عمر بطرد التجار الفرنسيين العاملين في المنطقة الواقعة من باكل إلى بودور في أعالي السنغال، كما هاجم سمبالا حاكم خاسو لترحيبه بالفرنسيين في أرضه واضطره للفرار إلى الميدان[4].

مواجهة أبريل 1857م:

هاجم الحاج عمر قلعة مدين والتي كانت تحكم من قبل القائد بول هول Paul Holle، وكان ذلك أثناء عودة الحاج عمر من كارطا. واستعدادا لهذه المواجهة، نزل الحاج

---

[1] عبد الله عيسى عيسى: الاستعمار الفرنسي للسنغال(1854م-1865م) وموقف القوى الإسلامية منه، ط 01، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، مصر، 2017م، ص ص 130-131.

[2] **البامبارا** : جماعة من الماندينغ تقيم في حوض نهر النيجر الأعلى، خضعت لمملكة مالي، ثم لإمبراطورية الصنغاي، ثم أسس إمارة في مدينة سيغو وخضعت لإمارة توميكتو، وأخيرا خضعت لسلطات الحاج عمر، أنظر: اسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر: المرجع السابق، ص 208.

[3] محمد الهام علي الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص ص 91-92.

[4] نفسه: ص 92.

عمر بـ كوندا(Kunda)الواقعة جنوب مدينة مدين (Médine) في منتصف شهر أفريل، وبها استقرت قيادته العليا، وعسكر جيشه الذي بلغ تعداده قرابة 150 ألف مجاهد حسب بعض المصادر. وفي 19 أفريل، توجه جيش الحاج عمر نحو مدينة مدين ليلا، وفي صباح اليوم الموالي كان الحاج عمر وجها لوجه مع عدوه المحصن داخل أصواره، ودارت بين الطرفين معركة ضارية دامت ستة ساعات، تمكن خلالها الحاج عمر من فرض حصار على مدينة مدين (Médine) التي كان يدافع عنها بول هول، وكادت المدينة أن تسقط بيد المجاهدين حيث رفعت الراية الإسلامية، غير أنهم مع مرور الوقت استطاعت القوات الفرنسية أن تحسم الوقت لصالحها بإحداث معركة فضيعة في صفوف المجاهدين، اضطر على إثرها الحاج عمر للانسحاب مع بقية جنوده[1].

وقد أظهر حصار عمر لحصن مدين مدى قوته وعدم تقبله لإنشاء حصون فرنسية في المنطقة. وفي عام 1858م، اتجه الحاج عمر إلى بامبوك وذلك للسيطرة على مناجمها الغنية بالذهب[2]،ومنها إلى فوتاتور. وفي ماي 1858م، تحركت قواته إلى بلاد المالكي بقيادة ألفا عثمان تجاه برجو، أين أسس حصنا عسكريا ضخما لمراقبة المنافذ الرئيسية المؤدية إلى بلاد الماندينغ المشرفة على نهر النيجر[3].

وقد كان الهدف من زيارة الحاج عمر إلى مسقط رأسه فوتاتور،هو جمع الأتباع وإرسالهم إلى تعمير المناطق التي فتحها، وكذلك استمالة حكام المنطقة وإقناعهم بمحاربة الفرنسيين، إضافة إلى تزويد جيشه بالمؤن[4].

وأثناء زيارة الحاج عمر هذه، أقام بقرية بوسيا مدة حوالي خمسة أشهر، جمع فيها المهاجرين الذين يسكنون المناطق التي فتحها. وخلال رجوعه من بلاد الفوتة، وفي طريقه

---

(1) عبد الله عيسى عيسى: المرجع السابق، ص ص 131-132.

(2) الهام محمد علي الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 93.

(3)Yves Saint Martin : opcit, p 89 .

(4).Maurice Delafasse : opcit, p 314.

هاجم قلعة ومركز قيمو، واصطدم بالفرنسيين في هذين الحصنين ما بين 13-16 أفريل 1859م[1].

لما أحس الحاج عمر بفشله أمام القوات الفرنسية، سار نحو بلاد النيجر لاستكمال بناء إمبراطوريته، وبذلك أصبح نهر السنغال هو الخط الفاصل بين مناطق نفوذ الحاج عمر ومنطقة النفوذ الفرنسي[2].

يعتبر انسحاب الحاج عمر إلى شرق السنغال بعد فشله في مواجهة القوات الفرنسية بمثابة انتصار لهذه الأخيرة، وبسبب ذلك أعلن الجنرال فيدهرب منفذا للوجود الفرنسي في السودان الغربي[3].

بعدها توجهت أنظار الحاج عمر إلى إقامة دولة إسلامية في منطقة النيجر، وصرح بإيقاف نشاطه الحربي ضد الفرنسيين بشرط أن لا يهاجموه، لذلك بدأت الهدنة بين الحاج عمر وحاكم باكل الضابط كورني (korni) في أواخر 1859، وقد قبل الطرفين الفكرة، وبذلك قام فيد هرب بتحضير المشروع الذي قدمه بواسطة كورني إلى رجل الحاج عمر تيرنو موسى في 18 أوت 1860م، وقد قبل الحاج عمر بهذه الهدنة بسبب عدم التكافؤ بينه وبين القوات الفرنسية وكذلك للتفرغ لتوسعاته في بلاد النيجر، أما بالنسبة للجانب الفرنسي فقد أراد فيدهرب إبعاد الحاج عمر عن المنطقة والنشاط التجاري[4].

وقد تضمنت هذه المعاهدة التي عقدت بين الحاج عمر والفرنسيين سبعة بنود نذكرها:

❖ **البند الأول:** الحد الفاصل بين مناطق نفوذ الحاج عمر والبلدان الخاضعة لحماية فرنسا هو نهر البافينك (Bafing) المجرى الأعلى لنهر السنغال من

---

[1] Yves Saint Martin :L'empire toucouleur et la France, opcit, p .
[2] Ibid : p 90.
[3] حسين جاجوا: المرجع السابق، ص 212.
[4] Yves Saint Martin :L'empire toucouleur et la Franc,opcit, p90 .

بافولابي(Bafulabé) حتى مدين، فما يوجد على يسار هذا النهر حتى المحيط الأطلسي تابع إلى شمال مدين ويدخل في ملكية فرنسا، رغم وجوده على يمين النهر.

- ❖ **البند الثاني:** تم تحديد أسماء الأقاليم التي تدخل ضمن ممتلكات الحاج عمر شرق الحدود المشار إليها في البند السابق.
- ❖ **البند الثالث:** لا يسمح للحاج عمر ببناء أي تحصينات أو أي قرى حربية في بلاد خولو(Khoulou) ولا في مدينة كاناماخونو(Khounou Kanama) القريبتان من مدين.
- ❖ **البند الرابع:** يتوجب على الحاج عمر رد السلع التي استولى عليها في مدين.
- ❖ **البند الخامس:** توقف كل أعمال الغزو والنهب من هذا الطرف أو ذاك.
- ❖ **البند السادس:** ضمان حرية التجارة بين البلدين وسنبيع للحاج عمر كل ما يطلبه منا.
- ❖ **البند السابع:** كل بلد يحتفظ برعاياه وأسراه كما يرى، ولا يلزم أي طرف برد الرعايا والأسرى الفارين من بلد لآخر. هذا الشرط ضروري، لأنه بدونه سنمضي كل وقتنا في الصراع حول الفارين[1].

وتجدر الإشارة إلى أن الفرنسيين قاموا بموجب هذه المعاهدة بتزويد الحاج عمر بكل ما يحتاجه من الأسلحة والذخيرة لمتابعة جهاده ضد الوثنيين، ولم يكن ذلك إلا لرغبة فرنسا في إبعاد المنافسة البريطانية في هذا المجال[2].

بعد مرور سنة على احتلال مدينة تمبكتو، اتصل أعيان ماسينا بزعماء البامبارا الذين اتصلوا بدورهم بالشيخ محمد البكاي وذلك لعقد تحالف ضد الحاج عمر. ولما عقدوا هذا التحالف، قاموا في الأول بمراسلة الحاج عمر ومطالبته بالتراجع عن احتلال تمبكتو

---

[1] Yves Saint Martin:L'empire toucouleur et la France,opcit, p102 .

[2] حسين جاجوا: المرجع السابق، ص 216.

وماسينا، لكنه رفض وقام بمواجهتهم قرب العاصمة (حمد الله)، وأسفرت هذه المعركة عن انهزام جيش الحاج عمر وقتل معظم أفراد جيشه[1].

قام هذا الزحف الثلاثي بالزحف نحو حمد الله وضربوا عليها حصارا دام تسعة أشهر. ولما اشتد الحصار على سكان حمد الله،لجأ الحاج عمر إلى حيلة تتمثل في تسلل ابن أخيه أحمد التيجاني رفقة بعضا من جنوده من إحدى ثغور حصن المدينة حاملين معهم كميات من الذهب لتجنيد قوة عسكرية تساعدهم لفك الحصار. وقد خرج أحمد التيجاني في 20 جانفي 1864م، إلى أن وصل إلى المناطق البعيدة عن نفوذ الثائرين المحاصرين لمدينة حمد الله، وأخذ يبحث عن القبائل التي تقبل الوقوف معه والتحالف مع الجيش العمري المرابط في سيغو بقيادة أحمد عمر الفوتي[2].

تأخر أحمد التيجاني في العودة مما اضطر الحاج عمر إلى التسلل رفقة ابنه ومجموعة من جنوده من المدينة واللجوء إلى مدينة ديغونبيري، إلا أن قوات التحالف تفطنت له وتبعت آثاره وحاصرته في المغارة التي هرب إليها في باندیا غارا، وقاموا بإشعال النار على مدخل المغارة الذي امتلأ بالدخان، مما أدى إلى استشهاد الشيخ عمر الفوتي مختنقا ومعه ثلاثة عشرة آخرون من بينهم أبنائه مكي ومالي وهادي، ودفن في مكان مجهول في يوم 10 فيفري 1864م[3].

2. مواصلة الجهاد بقيادة أحمدو شيخو[4]:

لقد أحدثت وفاة الحاج عمر مشكلات كثيرة للإمبراطورية الإسلامية، ذلك لأن وحدتها تقوم على أساس قيادته السياسية والدينية وإصراره على النضال والجهاد اللذان غرسهما في نفوس أتباعه، وقد ترك الحاج عمر بعد وفاته مسؤولية دولته الإسلامية لأولاده من بعده.

---

(1) عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص ص 207-208.

(2)Yves Saint Martin : L'empire toucouleur et la France,opcit, p 124.

(3)Joseph Ki zerbo : opcit, p370.

(4)أنظر: الملحق رقم 07، ص201.

أ. **المشاكل التي واجهت أحمدو بعد وفاة والده:**

كان الحاج عمر قد أحس بالخطر الذي يهدد إمبراطورية الفرنسيين من جهة الغرب والممالك الوثنية من جهة الشرق، لذلك عين ابنه أحمدو نائبا له في إمارة سيغو، وطلب من إخوته القسم له بالطاعة والولاء، وكان هذا التعيين سنة 1862م. وقد كرر الحاج عمر هذا التعيين بحمد الله سنة 1963م، عندما استدعى كل أبنائه لإعلان البيعة له[1].

بعد وفاة الحاج عمر، كان لا بد لأحمدو من تدعيم سيطرته على الأراضي التي كانت تحت سيطرت والده، كما كان عليه الوقوف ضد الزحف الفرنسي على أراضيه[2].

وقد انقسمت البلاد الخاضعة لنفوذ أحمدو إلى أربع مجموعات:

- **الأولى:** تشمل سيغو واتخذها أحمدو عاصمة لدولته، والقرى الواقعة على الضفة اليسرى لنهر النيجر مثل نيامينا وتوبا و بانمبا.
- **الثانية:** يحدها من الشمال الغربي على حدود موريتانيا الضفة اليمنى لنهر السنغال الأوسط. وهنا نجد منطقتين مهمتين هما: اليورو التي حكمها شقيق أحمدو مونتاجا،و كوناكري التي حكمها شقيقه باسيرو.
- **الثالثة:** تتكون من الأراضي الواقعة جنوب أعالي السنغال، والأراضي الواقعة شمال فوتاجالون ودانغيراي.
- **الرابعة:** تشمل دانغيراي في أعالي نهر النيجر، والتي استقر بها شقيق أحمدو أجيبو[3].

تميزت خلافة أحمدو بنوع من الاستقرار في البداية إذ لم يحدث فيها أي مشاكل وخاصة التي تتعلق بالوراثة، إلا أن هذا الحال لم يدم طويلا، إذ سرعان ما بدأت المشاكل

---

[1] عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 78.

[2] الهام محمد علي الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 131.

[3] نفسه: ص ص 131-132.

الخاصة بالحكم تظهر بينه وبين إخوته. إضافة إلى دخوله في مواجهات ضد البامبارا المنتفضين ضده، لرفضهم سيطرة الدولة الإسلامية عليهم، وكذلك تطلع الفرنسيين إلى مناطق نفوذه[1].

وقد واجه أحمدو منافسة شديدة من قبل البامبارا الذين لم يستطيع الحاج عمر إخضاعهم كليا أثناء توسعاته، مما أدى إلى ضعف انتشار الإسلام وتجذره بينهم، لذلك كانت هذه المنطقة في حالة دائمة من الثورة والعصيان ضد التواجد الإسلامي في أراضيهم، وكان كل ذلك بتغذية الفرنسيين[2].وقد كانت بين أحمدو وقبائل البامبارا عدة مواجهات منها التي حدثت في جانفي 1865م، حيث جهز جيشا بقيادة "تيرنو ألسان" وأجهز على فرقة البامبارا المتمركزة في سيغو وشتت جمعها[3].

وفي أواخر جانفي 1865م، حدثت معركة في منطقة "توقو" انتصر فيها الشيخ أحمدو، مما جعل جنود البامبارا يفرون إلى إحدى الهضاب الواقعة خلف "توقو". كما وجه حملة أخرى إلى ساساندينغ في جوبلية 1865م، وحاصر المدينة 72 يوما، غير أنه لم يستطيع الاستيلاء عليها[4].

وهكذا توالت ثورات قبائل البامبارا ضد أحمدو طوال فترة حكمه والذي حاول إخمادها في كل مرة. كما واجه أحمدوا خلافات عائلية خلال فترة حكمه، كالخلاف الذي حدث بينه وبين ابن عمه والذي تطور إلى انشقاق عندما حاول ابن عمه الاستقلال بحكم ماسينا وتوسيع نفوذه في أراضيها، حيث قام بنقل عاصمته من ماسينا إلى بانديا‌غارا وعمل على نشر التيجانية في المناطق التي أخضعها لحكمه، دون الرجوع إلى ابن عمه أحمدو، الذي

---

[1]Yves Saint Martin : L'empire toucouleur et la France, opcit, pp 125-126 .
[2]Ibid : pp 125-126 .
[3]Ibid : p 126 .

[4] حسين جاجوا: المرجع السابق، ص 265.

يعتبر الوريث الشرعي لأبيه، مما جعل فرنسا تحاول استغلال هذا الخلاف والسعي إلى عقد بعض المعاهدات التجارية مع التيجاني الذي رفض التعامل مع الكفار[1].

إلى جانب خلافات أحمدو مع إخوته خاصة المتمركزين في الأقاليم البعيدة عن السلطة المركزية، والتي بدأت على شكل عصيان وتمرد بسبب رفضهم كل الحكام الذين عينهم والدهم الحاج عمر، ومن بعده ابنه أحمدو الذي لم يتقبلوا خلافته لأنهم يرون أحقيتهم في الحكم بعد وفاة أبيهم[2].

ب. موقف أحمدو وعلاقته بالفرنسيين قبل 1884م:

خلف أحمدو والده الحاج عمر الذي عهد إليه قبل وفاته بإدارة مملكة البامبارا في سيغو عام1862م، ولقبه خليفة التيجانية في السودان. وبعد وفاة الحاج عمر، كان لابد لأحمدو من تدعيم سيطرته على الأراضي التي استولى عليها والده، كما كان عليه النضال ضد الزحف الفرنسي على أراضيه. ولقد لقب أحمدو بأمير المؤمنين، فأضفى عليه هذا اللقب مكانة دينية بين التوكولور[3].

تكلمنا فيما سبق عن المشاكل التي واجهت أحمدو في بداية عهد الخلافة، وكيف حاول بكل جهوده مواجهة أعدائه وبسط نفوذه على الأراضي التابعة له، إلا أننا نرى أن دولة أحمدو لم تكن بالمستوى الذي كانت عليه دولة أبيه الحاج عمر.

كانت الأسباب الرئيسية لضعف دولته هو الثورات المتكررة، البامبارا من جهة والزحف الفرنسي المستمر على أراضيها، مما أدى به إلى الاصطدام بالفرنسيين رغم كل المساعي لعقد معاهدات سلمية، إلا أنها كانت بمثابة حلول مؤقتة لكسب الوقت.

---

[1] فيج جي دي: المرجع السابق، ص 300.

[2] حسين جاجوا: المرجع السابق، ص 265.

[3] إلهام محمد علي الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 131.

لقد حاول أحمدو مواجهة النفوذ الفرنسي في المنطقة، وقام بإنشاء حصون ومراكز استراتيجية في كل من نيورو وديالا.استطاعت هذه الحصون الصمود أمام المد الفرنسي على أراضي الإمبراطورية العمرية، ويرجع لها الفضل في تأجيل الغزو الفرنسي للمنطقة قدر الإمكان[1].

وإذا حاولنا دراسة العلاقات التي جمعت بين أحمدو والفرنسيين طيلة فترة حكمه، نجد أنها تنقسم إلى فترتين. الأولى ما بين 1864م-1878م، والتي اتسمت بعدة محاولات للاتفاق السلمي بين الطرفين، وكان لكل طرف أسبابه في هذه المساعي، فمن الطرف الفرنسي نجد أن الفرنسيين أرادوا مد تجارتهم إلى منطقة السودان الغربي، أما من ناحية أحمدو، فأراد أن يكمل نشر الإسلام بين الوثنيين والقضاء على البامبارا.

مما يجدر ذكره أن المساعي الفرنسية ابتدأت مع أحمدو قبل وفاة والده، حيث اتصلوا به من خلال مبعوثيهم ماج Mage وكونتانQuintin، والتي كانت عبارة عن تكملة للمعاهدة التي وقعوها مع الحاج عمر[2].

استمرت المفاوضات بين الطرفين إلى أن تم توقيع معاهدة عرفت بمعاهدة "ماج" في 26 فيفري 1866م، وقد تضمنت هذه المعاهدة سبعة بنود نذكر أهمها:

البند الثاني: يسمح لرعايا والي السنغال بالمرور بكل حرية في كل البلدان التي يحكمها أحمدو، وفي كل تلك التي يمكن أن يحكمها لاحقا، وستضمن لهم هناك الحماية بصفتهم تجارا أو مبعوثين أو للاطلاع فقط.

البند الخامس: وعد حاكم السنغال بفتح الطريق المؤدية من فوتا إلى بلدان أحمدو والسماح بالمرور عبرها بحرية للرجال والنساء دون أن يستطيع أي حاكم إيقافهم.

---

[1] الهام محمد علي الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 133.

[2] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: المرجع السابق، ص 80

البند السادس: السماح لرجال أحمدو المبعوثين إلى سان لويس بأن يشتروا منها كل ما هم بحاجة إليه، ويتلقون في الطريق الحماية ضد كل من أراد بهم سوء[1].

ولكن هذه الاتفاقية لم تحقق الهدف المرجو منها، لأن الفرنسيين أخلوا بالبند السابع بخصوص بعض المدافع المتفق عليها لأحمدو، وهذا ما نستشفه من الرسالة التي بعثها أحمدو إلى الحاكم العام بيني لابراد يوضح فيها أن المدافع التي أرسلت لم تكن المتفق عليها[2].

ومع ذلك عاود أحمدو التقرب من الفرنسيين بعد الفترة التي قضاها في مقاطعة نيورو ما بين 1870م-1878م لإخماد بعض الثورات من البامبارا من جهة وأخوته من جهة أخرى. وكان هدف أحمدو من متابعة سياسة التفاوض مع الفرنسيين هو ضمان جانبهم لأنه قرر الاستقرار في مناطق التمرد إلى أن يفرض سلطته الكاملة عليها[3]. وبالفعل أرسل أحمدو أحد أعوانه المدعو تامبو بوكاري إلى الحاكم العام آنذاك فاليرValiere في شهر أفريل 1874م لإحياء اتفاقية 1866م وتسليمه المدافع، لكن الحاكم العام رفض طلبه خوفا من استعماله ضد الفرنسيين، وفي المقابل اقترح عليه مشروعا جديدا للتفاوض، إلا أن مبعوث الشيخ أحمدو قتل في طريقه إلى سيغو قبل أن يبلغ هذا المشروع. وتوالت مساعي أحمدو الذي بعث رسولا وهو سيدو كاتا والذي توفي في باكل[4].

ومع مجيء باريير دي ليزلbariere de l'isle، تغيرت السياسة الفرنسية اتجاه أحمدو لرغبة فرنسا الضم السريع لغربإفريقيا. وقام دي ليزل بتنظيم المحميات الفرنسية القريبة من

---

(1)Yves Saint Martin:L'empire toucouleur et la France,opcit, pp 130-131 .

(2) الهام محمد علي الذهني:جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 133.

(3)Yves Saint Martin: L'empire toucouleur et la France,opcit, pp 125-126 .

(4) عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: المرجع السابق، ص 81.

نفوذ أحمدو لمواجهة هذا الأخير، وسعى إلى الاتصال بكل الزعماء المعادين له، وحرص على إمضاء معاهدات معهم لتسهيل مواجهة أحمدو[1].

وفي هذه الفترة التي اتسمت بعودة التوتر بين الفرنسيين والشيخ أحمدو، حاولت بريطانيا الربط بين المناطق الخاضعة لها من جهة والمناطق الخاضعة لأحمدو من جهة أخرى، فقد قام الحاكم العام البريطاني بمراسلة أحمدو في أواخر 1874م وزيارة سيغو واقتراح مجموعة من المشاريع التجارية، كما اقترح تحالف بينهم وبين أحمدو وبعثوا له الهدايا في 1878م، إلا أن كل هذه المساعي فشلت في ربط أي علاقات تجارية بين الطرفين[2].

ورغم فشل بريطانيا في مساعيها، إلا أن فرنسا تخوفت منها خاصة بعد شروع بريطانيا في حفر قناة بحرية تربط ساحل العاج بتمبوكتو، الشيء الذي جعل فرنسا تسارع في مد نفوذها في منطقة النيجر وما حولها ابتداء من 1880م، وانشغلوا بإقامة المراكز والحصون في منطقة النيجر الأولى، لتعزيز نفوذهم في المنطقة إلى جانب اتصالهم بقبائل البامبارا ومحاولة تحريضهم ضد أحمدو[3].

إلا أن رغبة فرنسا في عقد معاهدة مع الشيخ أحمدو ظلت مستمرة، وذلك من خلال توقيع اتفاقية في 03 نوفمبر 1880م سميت باتفاقية نانجو برئاسة غاليني، لكن أحمدو اعتبرها مجرد مشروع أولي يحتاج إلى بعض التعديلات نظرا لتخوفه من بنودها القاضية بالسماح للفرنسيين بالملاحة والتجارة وبناء المنشآت على طول نهر النيجر[4].

وبمجيء غوستاف بورني دي بورد القائد الأعلى لمنطقة النيجر، قام هذا الأخير بشن حملات عسكرية على المنطقة لإقامة حصون ومراكز عسكرية، ومنها الحملة التي وجهها

---

[1] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: ص ص81-82

[2] الهام محمد علي الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 134.

[3] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: المرجع السابق، ص 83.

[4] الهام محمد علي الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 134.

إلى حصن مارجولا التابع لحماية أحمدو وحاصروه وتوغلوا في منطقة البوري وسنكران، وما تبعها من حملات أتاحت لهم فرصة التوغل أكثر في المنطقة، ونتج عن كل هذه الأعمال التي قام بها دي بورد تضرر أحمدو جراء قطع طرق المواصلات بين باماكو وسيغو القريبة من باماكو (الحصن الفرنسي) إلى نيورو نظرا لسوء العلاقة بينه وبين الفرنسيين خاصة بعد مؤتمر برلين 1884م-1885م، الذي جعل فرنسا تنتهج سياسة إخضاع إفريقيا بالقوة العسكرية مما أدى إلى حدوث الصدام بين الطرفين[1].

ج. علاقة أحمدو بالفرنسيين بعد 1884م

تحدثنا فيم سبق عن الفترة الأولى من العلاقات الفرنسية التكرورية، أما في الفترة الثانية بعد 1884، فقد اشتد حذر أحمدو من الفرنسيين بعد تأسيسهم لعدة حصون في أراضيه، وحاولوا الاتصال بزعماء المناطق التابعة له. وكرد فعل منه هاجم القوافل التجارية الممونة للحصون والمراكز العسكرية التابعة لفرنسا. وفي المقابل، قامت هي بمنع أي تزويد لأحمدو سواء بالأسلحة والذخيرة[2].

والجدير بالذكر أن فرنسا في تلك الفترة كانت تواجه حركات جهادية أخرى بقيادة زعماء آخرين في المنطقة كحركة ساموري توري والشيخ محمد الأمين اللذان سنتطرق إلى حركاتهم الجهادية لاحقا،مما اضطرها إلى تهدئة الوضع بينها وبين أحمدو وسعيها إلى إبرام اتفاقية معه. وهذا ما حصل فعلا في المعاهدة التي عقدت في ماي 1887م، وسميت معاهدة غوري[3].

---

[1] إلهام محمد الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 139.

[2] نفسه: ص 139.

[3] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: المرجع السابق، ص 85.

وتضمنت هذه الاتفاقية المواد التالية:

- **المادة الأولى:** يتصرف الحاكم الأعلى للسودان الفرنسي باسم الحكومة الفرنسية مع السلطان أحمدو، بعد اقتناعها على أن غنى وازدهار الأراضي السودانية الشاسعة يتوقف على إخماد الحروب المفجعة السائدة بها. ويلتزم كل طرف بالمحافظة على السلم والصداقة الضروريتين للنمو الاقتصادي في بلاد السودان الغربي.
- **المادة الثانية:** اقتنع السلطان أحمدو بعظمة وعدالة فرنسا، ولذلك قبل التعامل مع حكومتها عبر كل الأراضي التابعة للنفوذ، ويلتزم الحاكم العام الفرنسي من جهته بعدم محاربة السلطان أحمدو، وأن لا يقيم أي حصن أو مؤسسة عسكرية في المناطق التي يتواجد بها الممثلون الرسميون للسلطان أحمدو.
- **المادة الثالثة:** يلتزم كل من الحاكم العام والسلطان أحمدو بحماية التجارة في المنطقة بكل قواهما، وأن يتخذ كل الإجراءات الضرورية لتوسيع العلاقات التجارية ما بين بلديهما.
- **المادة الرابعة:** السماح بحرية التنقل لكل راعيا أحمدو في الأراضي السودانية التابعة للحكم الفرنسي.
- **المادة الخامسة:** يلتزم السلطان أحمدو من جهته بحرية تنقل التجار والمسافرين الفرنسيين، وحق ممارسة نشاطهم عبر الأراضي التابعة لنفوذه من دون عراقيل[1].

وجدير بالذكر أن غالييني[2] نشر رأيه عن معاهدة غوري في كتاب عام 1891م، تحدث فيه على سياسة التوسع العسكري، فقد ذكر أن معاهدة غوري أتاحت لفرنسا وضع

---

[1] حسين جاجوا: المرجع السابق، ص ص 335-336.

[2] **غالييني Gallinée**: من مواليد 24 أفريل 1849م بسانت بيت بأعلى غارون، تخرج من مدرسة سانت بيير العسكرية سنة 1870م، برتبة ملازم في سلاح مشاة البحرية، أرسل إلى السنغال في عام 1876م، فشارك في عدة حملات عسكرية، عين حاكما لباريس أثناء الحرب العالمية الأولى، ووزيرا للحربية سنة 1915م، توفي بفرساي سنة 1916. أنظر:
Michel Mourre : Dictionnaire encyclopédique d'histoire T3, Bordas, Paris, 1978, p 1940.

دولة أحمدو تحت الحماية الفرنسية، وبذلك امتدت السيطرة الفرنسية من السنغال حتى النيجر. وذكر غالييني بأن أحمدو لا يشكل في نظره خطرا على الفرنسيين بل على العكس، فقد تعاون معهم حتى تم إلقاء القبض على سويبو Soybou ابن محمد لامين. وكتب غالييني بأنه عندما زار السودان للمرة الأولى 1880م-1881م، كان يعتقد بأن التوكولور يمثلون عقبة أمام التقدم الفرنسي. ولكن في عام 1886م،وحينما عاد كقائد عسكري وجد بأنه من الممكن الاستفادة منهم في تطوير التجارة. كما سجل إعجابه بديانتهم أي الدين الإسلامي الذي يحثهم على التطور والرقي، وأكد بأن القضاء على التوكولور سيؤدي إلى تدمير التجارة الفرنسية. كما عارض فكرة إقامة خطوط حديدية في أعالي السنغال، وأكد بأنه من الناحية الاقتصادية لن تجني فرنسا فوائد من السودان لأن المناطق الداخلية ليست على درجة كبيرة من الثراء[1].

ويمكن القول أن تعيين غالييني في السودان الفرنسي حقق لفرنسا فوائد كثيرة، فقد تمكن من توقيع معاهدة بيساندوغو مع ساموري ومعاهدة غوري مع أحمدو، كما قبل أجيبو شقيق أحمدو في دينجويري وضع أراضيه تحت السيطرة الفرنسية، كما نجح في التخلص من محمد لامين نهائيا بفضل جهود الكابتن فورتي، واستطاع مد النفوذ الفرنسي من أعالي النيجر وامتدت الإدارة الفرنسية في السودان.

وقد أديرت هذه الممتلكات إدارة مباشرة، ولذلك قسمت إلى عدة مراكز إدارية يتولى إدارتها ضباط يخضعون للقائد الأعلى في السودان، وتتمثل هذه المراكز هي: باكل، ميدين، بافولابي، كيتا، باماكو، سيجيري، وتم اتخاذ كايس مركزا للعمليات العسكرية[2].

---

[1] الهام محمد علي الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 141.

[2] نفسه: ص ص141- 142.

د. أرشيناد والقضاء على الإمبراطورية العمرية:

قرر الفرنسيون القضاء على إمبراطورية أحمدو خاصة بعد قضائهم على الحركات الجهادية الأخرى وفشلهم في كسب أحمدو كحليف لهم في المنطقة، فهاجموا حصن الكونديان التابع له وخرقوا المعاهدة، وكان ذلك بقيادة لويس أرشيناد خليفة غاليني كقائد أعلى للسودان الغربي الفرنسي في الفترة ما بين 1888 و1890، وتم الاستيلاء على القلعة بعد قصف دام ثمانية ساعات. وكان هذا الهجوم بمثابة أولى الهجمات لتحطيم الإمبراطورية العمرية[1].

وتتلخص سياسة أرشيناد[2] في اقتناعه بضرورة القضاء على أحمدو، وهو بذلك لا يشارك غاليني في الاعتقاد بالإبقاء على العلاقات الودية مع التوكولور. وعلى الرغم من تحذيرات حاكم السنغال بعدم استخدام القوة، إلا أن أرشيناد كان قد عقد العزم على تدمير إمبراطورية التوكولور[3].

بالنسبة للشيخ أحمدو، فقد ساءت علاقته مع الفرنسيين كثيرا منذ تعيين أرشيناد على رأس قيادة السودان الغربي، فانتشرت أخبار هجومات فرنسية محتملة على أملاك الشيخ أحمدو، الذي سارع لاتخاذ الإجراءات كتعزيز الحراسة والدوريات في كل محمية من محمياته[4].

---

[1] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق، ص 88.

[2] **أرشيناد Archinad**: من مواليد في 11 فيفري 1850م، تخرج من المدرسة المتعددة التقنيات برتبة ملازم في كتيبة المدفعية الحربية في ماي 1870، شارك في الحرب البروسية – الفرنسية في عام 1870م، انتقل إلى السنغال سنة 1880م، وشارك في الحملات الثلاث التي قادها بورنيس ديسبوريس وفي سنة 1888م، عين على رأس القيادة العليا للسودان، وقاد خمس حملات عسكرية منها ضد ساموري توري. عاد إلى باريس 1893 وبقي فيها حتى وفاته سنة 1932م. أنظر: بن تركية: المرجع السابق، ص72.

[3] الهام محمد على الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 142.

[4] نفسه ، ص 142.

لقد وضع أرشيناد هدفا أساسيا لحملاته يتمثل في القضاء على مقاومة الشيخ أحمدو، خاصة بعد من عودته من فرنسا في نوفمبر 1889 م. ولتحقيق هذا الهدف، جهز فرقة كبيرة تجمعت بكاملها بمركز لونتو بالقرب من المدينة متجهة إلى سيغو للاستيلاء عليها. غادرت الفرقة العسكرية مركز لونتو في مطلع عام 1890 م نحو سيغو، والتي وصلتها بعد مسيرة أربعين يوما. وتمكنت من دخولها بعد انسحاب المدني ابن الشيخ أحمدو منها بعد أن شرعت في قنبلتها ليلا، ثم قامت بأسر عدد من النساء وأحد أبناء الشيخ أحمدو. وبعد استيلائها على سيغو، انطلقت الفرقة العسكرية نحو قلعة وويسبوغو التي وصلتها يوم 25 أفريل 1890م على الساعة الثالثة صباحا، حيث وجدت المدافعين عنها قد أتموا التحصينات اللازمة[1].

في التاسعة صباحا تم انطلاق قصف المدفعية للقلعة الذي استمر إلى الرابعة مساءا، حيث تم فتح عدة ثغرات فيها تسلل منها الجنود المهاجمون الذين التحموا في معركة ضارية مع المدافعين استمرت إلى فجر اليوم الموالي، أظهر خلالها المدافعون صمودا وشجاعة نادرتين ملحقين بالعدو خسائر جسيمة في الأرواح.

كان لسقوط سيغو رسميا على أيدي الفرنسيين يوم 06 أفريل إلى جانب قلعة ووسيبوغو في 25 أفريل 1980 م، كان لها عدة نتائج خطيرة منها بداية ظهور ملامح الزوال للإمبراطورية العمرية[2].

رغم فقدانه لمدينة سيغو وقلعة ووسيبوغو الهامتين، إلا أن الشيخ أحمدو لم يستسلم، وواصل المقاومة بمهاجمته في 31 ماي 1890م القطار الرابط بين بافولابي والمدينة، ثم قام بمحاولة الاستيلاء على قلعة بافولابي. وبعدها أرسل الشيخ أحمدو أحد مساعديه لمعاقبة

---

(1) Exposition Coloniale Internationale de Paris 1931: les armées Française d'autre mer, histoire militaire de l'Afrique occidentale Française, Imprimerie nationale, Paris, 1931, pp 261-265.

(2) حسين جاجوا: المرجع السابق، ص 304.

أهالي قرية ديالا المتعاونين مع الفرنسيين، في نفس الوقت الذي انطلق فيه أرشيناد على رأس فرقته نحو مدينة كونياكري إحدى أهم معاقل الشيخ أحمدو التي وصلها يوم 15 جوان 1890، فاستسلمت له بعد معركة قصيرة. وأوكل أرشيناد حكم المدينة والمناطق المجاورة لها إلى يامادو ملك خاسو، تحت مراقبة حامية فرنسية بقيادة الملازم الأول فالونتان[1].

خسر الشيخ أحمدو الكثير ولم يستطع استرجاع كونياكري رغم المحاولة، لذلك قرر الانتقال إلى عاصمته الجديدة نيورو.

في سنة 1890 م وبالتحديد في شهر أكتوبر، قرر أرشيناد بعد عودته من باريس استئناف عملية مطاردة الشيخ أحمدو للقضاء على مقاومته نهائيا، متمسكا في نفس الوقت ببرنامج عملياته الحربية ضد ساموري زعيم إمبراطورية الماندينجو[2].

استهدف أرشيناد مركز أحمدو الرئيسي في نيورو، وبذلك يكون الفرنسيون قد توغلوا في قلب دولة أحمدو ولم يبق في يديه سوى كارته التي لن تستطيع الصمود طويلا. وقد كون أرشيناد حملة بقيادة الملازم مارشان، اتجهت لتهديد نيورو من الجهات الشرقية. كما عقد اتفاقا مع نتو وهو من زعماء البامبارا القدامى في سيغو، وكلفه بإغلاق الطريق أمام التوكولور. ووضع فرقتين من الجنود الفرنسيين على النيجر خوفا من إقدام ساموري على أي عمل عدائي ضد الفرنسيين[3].

حاول أحمدو الخروج من نيورو لملاقاة القوات الفرنسية، ولكنه لم يقوى على الصمود أمام المدفعية الفرنسية. وفي أول جانفي 1891، وصلت الحملة إلى نيورو فوجدت أن الحصن قد هجر تماما، فتم الاستيلاء عليها. وبعد الاستيلاء على ينيورو، فر أحمدو في

---

(1) Exposition Coloniale Internationale de Paris :opcit, pp 161-165.
(2)Ibid : pp 270.

(3) الهام محمد على الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 145.

اتجاه ماسينا، فأرسل أرشيناد حملة بقيادة مارشاند إلى جنوب نيورو خوفا من مهاجمة أحمدو للمدينة.

أخذ أحمدو يستعد لمواجهة الفرنسيين، أما أرشيناد فقد جمع قوات البامبارا حوله واتصل بأجيبو شقيق أحمدو، ونصبه خليفة في سيغو، ولكن زعماء التوكولور رفضوا الاعتراف بخلافته لتحالفه مع أعدائهم[1].

اتجه أرشيناد إلى ماسينا، حيث وبعد فترة دامت سنة ونصف توقف خلالها الفرنسيون من مطاردة الشيخ أحمدو، استأنفوا مع بداية عام 1893م عملياتهم الحربية بإرسالهم فرقة عسكرية هامة لاحتلال منطقة ماسينا. وفي طريقها استولت على مدينة بانديا‌غارا، معقل الشيخ أحمدو في 29 أفريل بعد مقاومة شديدة.

أمام استخدام الفرنسيين بكثافة لسلاح المدفعية بمختلف عياراتها، ارتفعت خسائر الشيخ أحمدو وتشتت قواته، فاضطر إلى الانسحاب نحو الشرق واللجوء عند سلطان سوكوتو، حيث بقى هناك إلى أن وافته المنية في 19 ديسمبر 1891 م. فقام الفرنسيون بضم من تبقى من أراضيه وممتلكاته لممتلكاتهم، وأوكلوا حكم منطقتي ساساندنغ وسيغو لكل من ماديمبا وبوديان تحت مراقبة النقيب بويكولو. أما أجيبو ملك دانغيراي، فقد استدعي لإمضاء معاهدة تم بموجبها إلحاق أراضيه بالممتلكات الفرنسية مع تثبيته حاكما لها تحت مراقبة المقيم العام الملازم الأول مارينز[2].

وهكذا انتهت الإمبراطورية التيجانية العمرية التي أسسها الحاج عمر بعد صراع طويل مع القبائل الوثنية والمسلمين المتحالفين سواء مع فرنسا أو الوثنيين والاستعمار الفرنسي[3].

---

[1] الهام محمد على الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق ، ص 145.

[2] Yves Saint Martin : opcit, pp 159-163.

[3] الهام محمد على الذهني:جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 137.

رغم سقوط هذه الإمبراطورية، إلا أن أتباع الحاج عمر اكتسبوا شهرة كبيرة، حيث بقيت فرنسا متخوفة من أتباع الطريقة التيجانية ووقفت موقف حذر منهم، لأن الطريقة التيجانية تمثل قوة شعبية قد تثور وتنتفض على فرنسا في أي وقت.

3. حركة محمد لامين[1]:

ظهرت حركة محمد لامين[2] في منطقة سنغمبيا في الفترة التي أعقبت مؤتمر برلين 1884-1885م، أي في الفترة التي بدأت فيها فرنسا في تدعيم سيطرتها على غرب إفريقيا بواسطة القوى العسكرية. وكان هدف لامين من حركته هو تكوين إمبراطوريته من الساراكولي على غرار إمبراطورية التكرور التي أسسها الحاج عمر، وقد امتدت دولة لامين في منطقة سنغمبيا وشملت كل من: بامبوك، وبوندو، وجوى وخاسو، كما شملت إمارات ديافون ووجويد يمكة الواقعة بالقرب من كارته[3].

تلقى لامين تعليما دينيا، فقد كان والده يعمل قاضيا في جونديورو مسقط رأسه، وكانت من أهم المراكز الدينية التي كثر فيها عدد المرابطين. ونظرا لأهميتها توافد عليها عدد كبير من رجال الدين، حتى اعتبرت مدينة مقدسة ولها هيبة خاصة بالنسبة للساراكولي. وقد تلقى لامين تعليمه على يد والده،، ثم تعلم بعد ذلك في عدة مراكز أخرى في كل من سنغمبي اوفوتاتورو[4].

---

(1) أنظر: الملحق رقم 08، ص202.

(2) **محمدو لامين**: اسمه الحقيقي مالامين دمبا ديباسي، هو ابن أحد المرابطين. ولد عام 1840 ببلاد خاسو ر بالقرب من كابيس، درس على يد أبيه وشارك في الغزو ضد بلاد غامون عام 1860م وهناك أسر.وبعد إطلاق سراحه، زار منطقة فوتا، ثم رحل إلى مكة لأداء فريضة الحج ومكث هناك سبع سنوات، وبعد عودته ذاع صيته وازداد عدد أتباعه وعند مروره بمدينة سيغو، أقلق الشيخ أحمدو الذي سجنه مدة ستة سنوات 1879 إلى 1885م. وبعد إطلاق سراحه عاد إلى نشاطه الهادف إلى تكوين إمبراطورية للساراكولي وطرد الأعداء منها. أنظر في ذلك: بن تركية: المرجع السابق، ص67.

(3) الهام محمد علي الذهني:جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 109.

(4) نفسه: ص 109.

في ما بين عامي 1868م و1869م، أدى لامين فريضة الحج ثم عاد إلى بلاده. وأثناء عودته وقع أسيرا في يد قوات احمدو شيخو زعيم التكرور، فمكث لديه حوالي سبع سنوات 1878-1885 م، مما كان له أثر بعد ذلك في توتر العلاقة بين الطرفين. وعندما عاد لامين إلى بلاده، صمم على تكوين إمبراطورية من الساراكولي تحل محل إمبراطورية التكرور، وكان معنى هذا أن لامين عليه مواجهة كل من التكرور والفرنسيين[1].

أما بالنسبة للفرنسيين، فكان لابد من اصطدام معهم وخاصة أن فرنسا بدأت في توسيع نفوذها مدعمة بالحملات العسكرية. ولكن حتى عام 1855م، لم يحدث صدام بين الطرفين، وإنما كل ما حدث هو بعض المناوشات التي سرعان ما كانت تنتهي. وفي عام 1880م، ثار الساراكولي في قرية جوتيوبل وهاجموا بعثة طبوغرافية فرنسية بقيادة سيلنفست[2].

أ. المواجهة بين محمدو لامين والفرنسيين 1885 م:

بدأ الصدام الحقيقي بين محمد لامين والفرنسيين سنة 1885م، عندما بدأ لامين في مراسلة المدن المجاورة وأعلن عن برنامجه الذي تلخص في النقاط التالية:

- إعلان الجهاد والحرب المقدسة.
- تطوير الجيش وتزويده بأحدث الأسلحة.
- تحسين علاقته مع جيرانه، وخاصة حكام فوتاتور و وبوندو الذين دعاهم لامين إلى الدخول في طاعته[3].

في عام 1886 م، أعلن لامين نفسه مهديا في سينيدوبو الواقعة على الضفة اليسرى لنهر الفالمي بالقرب من مدين، وأعلن عن تصميمه إعادة مجد الإسلام في المنطقة. وسرعان ما أعلن لامين ضمه لكل من ديافونو وكارته وبوندو وجويد يمكه، وقد قبلت هذه

---

[1] A le chatelier : opcit, p 216.

[2] Ibid : p 216.

[3] الهام محمد علي الذهني:جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 110.

المناطق الدخول في طاعته وخاصة بعد أن شاع بأن أحمدو شيخو ينوي مهاجمتها. كذلك أرسل ابنه إلى جوري عاصمة ديافوتو التابعة لأحمدو، حيث أعلن نفسه زعيما على المنطقة، محرضا السكان على الثورة ضد أحمدو والفرنسيين[1].

بدأ عداء لامين مع الفرنسيين عام 1886 م، عندما حاصر الحصن الفرنسي في باكل، واستولى على القوى المحيطة به، كما استولى على جوى، فهدد بذلك الوجود الفرنسي في سنغمبيا. ولذلك بدأ الصراع بين الطرفين لمنع لامين من التوغل في المنطقة وإيقاف أطماعه التوسعية، فقد شعر الفرنسيون بتحدي لامين لهم عند حصاره لباكل، فقد دخل بقواته الحصن، ودارت عدة معارك بينه وبين السكان في الطرقات، إلا أنه اضطر إلى التراجع بعد وصول الفرق الفرنسية إلى الحصن.

ويذكرنا حصار محمد ولامين لحصن باكل بذلك الحصار الذي فرضه من قبل الحاج عمر على حصن مدين. وبذلك نرى أن القوى الوطنية لجأت إلى أسلوب محاصرة الحصون الفرنسية في المنطقة كنوع من رد الفعل على التغلغل الفرنسي في المنطقة.

كذلك حاول لامين قطع طريق المواصلات بين باكل وكاييس لمنع وصول الإمدادات الفرنسية إلى الحصن، ولكنه فشل، لأن الملازم غراي وصل إلى باكل وبدأ في شن سلسلة من الهجمات ضد قوات لامين[2].

- **<u>مواجهة 1886 م بين محمدو لامين والفرنسيين</u>**

حدثت مواجهة عنيفة بين لامين والفرنسيين في 14 مارس 1886م، وكانت القوات الفرنسية بزعامة كل من الكابتن جولي والملازم لاتي وتومانيه. وقد لجأ لامين إلى قطع المواصلات بين باكل وماتا ما منع وصول أية نجدات للفرنسيين، كما أنه فاجأهم بالهجوم عليهم لمنعهم من استخدام المدافع التي كانت في حوزتهم، ولجأ رجاله إلى استخدام السهام المسمومة، وبذلك نجح في إلحاق الهزيمة بالفرنسيين في جونديورو، وأدى انتصاره عليهم

---

[1] A le chatelier : opcit, pp 217-2018.

[2] Ibid : pp 117-118.

إلى ارتفاع مكانته فتوافد عليه الأنصار لمبايعته والانضمام إلى قواته، وسرت الحماسة في صفوف الساراكولي. وما زاد من حرج موقف الفرنسيين، أنه في الوقت الذي قطع عليهم لامين وسائل المواصلات، كان من الصعب عليهم إرسال أي قوات من سانت لويس وذلك لانخفاض مستوى المياه في نهر السنغال وصعوبة إبحار السفن فيه في ذلك الوقت من العام[1].

توجه لامين إلى باكل مرة ثانية وبدأ في حصارها، واضطر العقيد فراي[2] إلى تأجيل عملياته العسكرية في المنطقة والتركيز على إنقاذ حصن باكل من الوقوع في يد الساراكولي، خاصة بعد فرار عدد كبير من السكان وانضمامهم إلى لامين الذي اتخذ من ديافوتو وجويد يمكه قاعدة للهجوم على القوات الفرنسية ولذلك قام فراي بمهاجمة جويد يمكه وإحراقها، فرد عليه لامين بإحراق المركز الفرنسي في سيندوبو، وقتل حاكمها المعين من قبل الفرنسيين عمر باندا.

اتجه لامين بعد ذلك إلى أعالي غمبيا، وأسس حصن في ديانا الواقعة على بعد 200 كلم من السنغال، ثم بدأ في محاربة السرير لإجبارهم على الدخول في الإسلام[3].

حقق لامين انتصارات في غمبيا، وخشي الفرنسيون من قوته وأخذوا يحصنون حامياتهم العسكرية ومراكزهم على طول السنغال. تدهور الموقف العسكري بالنسبة للفرنسيين، حتى تم تعيين غاليني قائدا على السودان الفرنسي في 15 نوفمبر 1886 م بدلا من فراي، وأراد غالييني أن يؤمن جانب كل من ساموري زعيم الماندنغو وكذلك أحمدو زعيم التكرور وذلك قبل إقدامه على محاربة لامين، فقد خشي أن يقدما المساعدة له، فعقد معاهدة مع ساموري

---

(1) الهام محمد علي الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 111.

(2) **فراي Frey** : جنرال ولد بجزيرة كور سيكا في 09 جانفي 1874م، تخرج برتبة ملازم من مدرسة سانت سير العسكرية عام 1868م. شارك في الحملة على السنغال سنة 1869م، ثم عاد إلى فرنسا وعاد إلى السنغال ثانية ورقي إلى رتبة مقدم في ماي 1884م، تولى عدة مناصب في مدغشقر وكاليدونيا الجديدة إلى غاية وفاته في جانفي 1932م، أنظر:
Prevost (M) et Roman d'Amat : Dictionnaire de Biographié Française T6, Librairie litouzey, Paris, 1954, pp1251-1252.

(3) A le chatelier : opcit, p 21.9

لكي يؤمن ظهر قواته أثناء تقدمه في سنغمبيا، وحتى لا يتعرض لأي هجوم مباغت من أعالي النيجر. كذلك اتفق مع أحمدو شيخو على أن يتعاونا ضد لامين عدوهما المشترك، ولذلك ركز أحمدو شيخو حملاته في كل من ديافوتو وجويد يمكه التي تركز فيها سويبو ابن محمدو لامين. واستمر الاشتباك بين قوات التكرور و الساراكولي حوالي ستة أشهر، وفي 7 أفريل 1887، تمكن أحمدو من إلحاق الهزيمة بقوات الساراكولي في جورى[1].

لكن القوات الرئيسية كانت مع لامين في ديانا، فحاول سويبو اللحاق بفرق أبيه، وأثناء عبوره نهر السنغال تمكن الملازم ريشمبرج من إلقاء القبض عليه في قرية ديوكوكوا القريبة من معسكر غاليني في اروندو، حيث تم إعدامه رميا بالرصاص، بينما ظل لامين في أعالي غمبيا مسيطرا على ضفاف الفاليم وبامبوك[2].

ب. مواجهة العقيد غالييني لمحمدو لامين:

نظم غالييني حملتين للقضاء على لامين، تحركت الأولى من أروندو صوب ديانا والثانية من ديامو بقيادة فالييير، على أن تلتقي الحملتان في ديانا. والجدير بالذكر أن الطريق إلى ديانا كان صعبا وشاقا، فقد سارت الحملتان في بلاد مجهولة بالنسبة للفرنسيين، تغطيها الأشجار الكثيفة التي منعت الرؤية على بعد أمتار قليلة، كما أن الطرق لم تكن معبدة، حتى القرى القليلة التي صادفها الفرنسيون أثناء زحفهم هجرت تماما. وقد حاول لامين مهاجمة كل فرقة على حدا، فهزم في شرق ديانا في سروندیان، ثم جمع غاليني قواته متجها إلى ديانا فوجد لامين قد هجرها إلى غامبيا[3].

ج. القضاء على محمدو لامين ونهاية مقاومته:

بعد فرار لامين إلى غامبيا، استولى غاليني على نيانيو ساندوجو، ثم عاد إلى كاييس وكلف الكابتن فورتن بالقضاء على لامين. وطوال شتاء 1887 م، كان الكابتن فورتن يقوم

---

(1)A le chatelier : opcit, pp 223-224.
(2)Ibid, p 224.
(3)Exposition coloniale internationale de paris : opcit, pp 254-255 وكذلك A le chatelier : opcit, pp 223-224.

بالعديد من العمليات العسكرية عند نهر بانى جنوب باكل ضد قوات لامين الذي لجأ إلى ملك فردو Firdou طالبا منه الحماية، ولكن الملك خشي عقاب الفرنسيين وانتقامهم، فأسرع بقتله في 10 ديسمبر 1887 في جنوب نياني، وأحضر رأسه إلى فورتن. وكان لمقتله أصداء واسعة في المنطقة، فأسرعت الأقاليم الواقعة في حوض غمبيا بين بوندو وريب لقبول الحماية الفرنسية[1].

وبموت لامين انتهت المقاومة العنيفة التي واجهت الفرنسيين في السنغال، مما أتاح لهم فرص للعمل بشيء من الهدوء النسبي في تقوية مراكزهم وإعادة تنظيم مواصلاتهم. كما يلاحظ أن غاليني اتبع أسلوب التغلب على الزعماء المحليين منفردين والحيلولة دون تكتلهم[2].

لعل أهم النتائج التي أسفرت عنها حملة غاليني هو إرسال حملتين للتعرف على البلاد جغرافيا واقتصاديا، ولتوقيع المعاهدات مع الزعماء المحليين، كما أرسل البعثات العديدة للتعرف على سكان المنطقة والبلاد المحيطة بها[3].

---

[1] Exposition coloniale internationale : opcit: pp 165-166

[2] الهام محمد على الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص ص 113-114.

[3] نفسه: ص 130.

المبحث الثاني: مقاومة ساموري توري في غرب افريقيا 1885م-1900م

أدى تقدم فرنسا نحو وادي النيجر إلى المواجهة والتصادم مع قوة إسلامية جديدة، تختلف في الأسلوب عن الدول الإسلامية الأخرى التي كانت موجودة في القرن التاسع عشر. وهذه الدول كما رأينا قد أسسها شيوخ التوكولور والفولانيون في بداية الأمر، والذين تأثروا بالحضارة الإسلامية المتمثلة في الطرق. وكانت إمبراطورية ساموري مثل إمبراطورية الماندي القائمة على أساس التوسع التجاري في الديولا[1].

في الوقت الذي سعت فيه فرنسا لدعم سيطرتها على منطقة النيجر، واجهت مقاومتين: تتمثل الأولى في مقاومة أحمدو شيخو زعيم التوكولور، والثانية هي مقاومة ساموري توري زعيم الماندينجو، الذي كون دولته في أعالي النيجر، وسعى للتوسع شمالا نحو منطقة ثنية النيجر، بعد أن استولى على الضفة اليمنى للنهر. ولذلك كان من الطبيعي أن يصطدم ساموري مع الفرنسيين الذين سعوا للسيطرة على المناطق الداخلية في غرب إفريقيا تمهيدا لإقامة إمبراطوريتهم التوسعية. وقد دام الصراع بين الطرفين من 1881م حتى 1898م. ودارت خلاله عدة معارك خطيرة أرهقت القوات الفرنسية، واضطرت فرنسا في النهاية إلى الاعتراف بمهارة ساموري العسكرية والدبلوماسية[2].

1. علاقة ساموري بالفرنسيين قبل 1884م

لم يكن الفرنسيون على علاقة وثيقة بساموري، فلم يسمعوا عنه قبل عام 1878م، وذلك لأن اهتمامهم الرئيسي تركز في التصدي لإمبراطورية التوكولور منذ فترة مبكرة. وقد بدأ أول اتصال بساموري عام 1881م، عندما أرسل الملازم الكاماساAlkamasa ألى كيتا Kita، وطلب منه الابتعاد عن بلدة كينيرا. وكان ساموري يثير الرعب في هذه البلدة، فأرسل حاكمها باجوبا طالبا النجدة من الفرنسيين في كيتا 1884م. ولكن قائد حصن كيتا خشي

---

[1] فيج جي دي: المرجع السابق، ص300.

[2] الهام محمد علي الذهني:جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص ص 146-147.

التسرع في إرسال النجدة إلى كينيرا خوفا من توغل قواته في بلاد مازالت مجهولة للفرنسيين، لذلك اكتفى بتشجيع باجوبا على مقاومة الحصار الذي فرضه عليه ساموري، وأرسل في الأخير الملازم الكاماسا ليحاول عقد صلح بين كل من ساموري وباجوبا، لكن ساموري رفض وساطة الفرنسيين وألقى بالمبعوث الفرنسي في السجن، مما عقد الأمر بين الطرفين وساءا العلاقات[1].

يتضح جليا من خلال ما سبق أن ساموري كان في أوج قوته عندما حدث أول اتصال بينه وبين الفرنسيين ما بين 1881م و 1882م. ورغم قوة جيش ساموري، إلا أنه تعرض إلى هجوم مباغت من جانب بورنيس ديسبوردس[2] القائد الفرنسي، والذي كان هدفه الوصول إلى باماكو قبل ساموري واحتلالها. ولقد نجح في ذلك رغم الصعوبات والمواجهات التي تعرض لها خاصة من جيش ساموري وشقيق كيميه بريما، هذا الاخير الذي شن هجوما على قوات بورنيس ديسبوردس في أبريل من عام 1882م في ويناكو بالقرب من باماكو. وعلى الرغم من أنه كسب المعركة في 02 أفريل، فقد عاد ليهزم في 12 أفريل على يد جيش فرنسي أصغر بكثير، ومن ثم حاول ساموري تجنب الصدام مع الفرنسيين ووجه نشاطه نحو كينيدوغو[3].

2. علاقة ساموري بالفرنسيين بعد 1884م

---

[1] الهام محمد علي الذهني:جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص147.

[2]**بورنيس ديسبوردس desbordess Bornis**: جنرال فرنسي ولد سنة 1839م وتوفي سنة 1900م قاد ثلاث حملات نحو نهر النيجر، وقام سنة 1883 بمحاصرة باماكو والاستيلاء عليها، أنظر: بن تركية: المرجع السابق، ص 56.

[3](اليونسكو) تاريخ إفريقيا العام: المجلد السابع، تاريخ فرنسا ، 1990، ص137.

أ. حملة العقيد كومبيس 1885م

رغم المحاولات العديدة لساموري لتجنب الصدام مع الفرنسيين وإعطاء نفسه هدنة من الحروب والصراعات، إلا أن دخول الرائد كومبيس لمسرح الأحداث أجبره على قطع الهدنة والعودة إلى ساحة المعركة [1] في منطقة نياغاسولا. حيث كان من المفروض على الرائد الفرنسي القيام بحملة سلمية وبناء قلعة جديدة، إلا أنه لم يلتزم بالتعليمات وراح يقترب من الأراضي التابعة لساموري غازيا لها[2].

وعندما احتل كومبيس في 1885م منطقة بوري التي كان للذهب المستخرج منها أهمية كبيرة بالنسبة لاقتصاد إمبراطورية ساموري توري، أدرك هذا الأخير عظم الخطر الذي يهدد دولته، وعقد عزمه على طرد الفرنسيين من المنطقة بقوة. وكلف بهذه المهمة ثلاثة جيوش وهي: جيشه، وجيش كيميه بريما شقيقه، وجيش ماسارا محمدي[3]. ولقد شنت قوات ساموري هجوما على الحامية في أوائل جوان 1885م، غير أنها تراجعت أمام استعمال الفرنسيين لسلاح المدفعية بكثافة لتُغيّر خطتها من الهجوم إلى الحصار، فقامت قوات ساموري بمحاصرة الحامية التي يختبئ فيها الفرنسيون. مرت القوات الفرنسية بأوقات عصيبة أثناء حصار ساموري لهم، لكن رغم ذلك لم يستسلموا وصمدوا إلى غاية وصول الرائد كومبيس إلى الحامية، حيث شن هجوما عنيفا على قوات ساموري وتمكن من فك الحصار على الحامية.

---

[1] **كومبيس Combis**: جنرال من مواليد 05 سبتمبر 1849م، دخل مدرسة سانت سير العسكرية في 20 أكتوبر 1867م، وتخرج منها في سلاح المشاة. شارك في حرب 1870م بين بروسيا وفرنسا، رقي إلى رتبة نقيب في ماي 1875م. شارك في الحملة على الهند الصينية (1876م-1879م)، انتقل إلى السنغال عام (1880م)، وبقي بها إلى عام 1886م، وقاد طائرة المدينة، ثم انتقل إلى كاليدونيا الجديدة بين عامي 1888م و 1891م، ثم عاد إلى السودان وقاد حملة 1892م-1893م. رقي غلى رتبة عقيد في جوان 1893، ثم عين قائدا أعلى للوحدات الفرنسية في إفريقيا الغربية في نوفمبر 1895م، وتوفي بتولوز في 04ماي 1913م، انظر: بن تركية: المرجع السابق، ص 61.

[2] Exposition coloniale internationale de paris, 1931, opcit, p 306.

[3] (اليونسكو): المرجع السابق، ص137.

قام الرائد كومبيس بفك الحصار على الحامية وتوجه بقواته مجددا نحو قلعة نياغاسولا، وفي الطريق تعرض لهجوم قامت به قوات كيميه بريما شقيق ساموري، فاضطر القائد كومبيس للتراجع نحو مركز كايس[1]. وهكذا نجح ساموري في إبعاد الفرنسيين من منطقة اليوري بحركة كماشة، حيث أن الرائد كومبيس اختار الانسحاب خوفا من تطويقه مع قواته بعد إدراكه أن ساموري ليس بالخصم السهل[2].

ب. المواجهة بين فراي وساموري 1885م-1886م

رغم نجاح ساموري في مطاردة الفرنسيين إلا أنه أدرك خطورة الموقف وصعوبة السيطرة على المنطقة الواقعة عند ثنية النيجر، لأن ذلك سيضعه بين شقي الرحا، فالفرنسيون من جانب وحليفهم تيبيا من جانب آخر في كينيدوغو. ووجد ساموري أن عليه أن يبحث عن قوة تسانده، فارتبط بعلاقة صداقة مع حكام سيراليون، وأرسل مبعوثيه إلى فريتاون،كما زوده التجار البريطانيون بأحدث الأسلحة.

وعندما تولى العقيد فراي القيادة العسكرية في السودان الفرنسي، انشغل بالقضاء على محمدو لامين، وركز جهوده ضده في سنغمبيا. وانتهز ساموري هذه الفرصة لتدعيم سيطرته وكسب أراضي جديدة، فعهد إلى شقيقه مالنكاموريMori Malinka بحشد قواته التي بلغت حوالي عشرة آلاف مقاتل على الضفة اليسرى لنهر الياخوى، كما عهد إلى فايو بإقامة التحصينات في نياجاسولا[3].

إزاء ازدياد نشاط ساموري كان لابد لفراي من التصدي له، فأعدَ حملة عبرت الضفة اليسرى لنهر الياخوى في 02 سبتمبر 1885م، وقسم قواته إلى مجموعتين:

---

[1]Exposition coloniale internationale de paris:opcit, p p 307-308.

[2] (اليونسكو): المرجع السابق، ص137.

[3]الهام محمد علي الذهني:جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص ص 149-150.

الأولى: تحت قيادته وهي التي عبرت معه النهر.

الثانية: سارت بجانب الضفة اليمنى للنهر.

وكان على المجموعتين الالتقاء في نياجاسولا وتدمير تحصينات ساموري. وصلت قوات فراي إلى جاليبGalé في 16 أفريل 1886م، فوجدت قوات ساموري قد أحرقتها. وحاولت القوات الفرنسية تعقب مالنكا موري لكنها فشلت، حيث أن مالنكا كبَدها خسائر فادحة[1].

وعلى الرغم من هذه المواجهات، إلا أنها كانت مجرد مناوشات بين الطرفين، ولم يكن ساموري قد دخل في صراع حقيقي مع الفرنسيين. وخلال تلك الاشتباكات، حقق الفرنسيون بعض الانتصارات لكنهم لم يستطيعوا تحقيق النصر النهائي على ساموري توري الذي ارتفعت وعليت مكانته في نظر السكان المحليين. وبالرغم من خططه ومناوراته الحربية، غير أنه كان عاجزا أمام الأسلحة الأوروبية المتطورة التي حرمته من تحقيق النصر والصمود في وجهها.

قام ساموري بإرسال رسالة إلى الفرنسيين ليشرح لهم رغبته في فتح باب المفاوضات، من أجل عقد اتفاقية سلام وتحديد مناطق نفوذ كلا الطرفين[2]. وأرسل إلى فراي مبعوثا يعرض عليه الصلح، لكن القائد الفرنسي أجابه بأنه لا يصلح بينهما طالما بقي جندي واحد من جنوده على الضفة اليسرى للنيجر.

وافق ساموري على شروط الصلح، وأرسل إلى زعماء وقادة جيشه يطلب منهم مغادرة الضفة اليسرى للنيجر والانتقال إلى الضفة اليمنى، كما طلب ساموري من فراي إرسال بعثة لتوقيع المعاهدة بين الطرفين. وأرسل كلا من الكابتن تورنيه وراسين Racine والملازم

---

[1] الهام محمد علي الذهني:جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص151.

[2] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: المرجع السابق، ص132.

بيروز، وقد تقابلت البعثة مع ساموري في 25 مارس 1886م في كينيا باكورا Kenia Bakoura، وتمت الموافقة بين الطرفين في 16 أفريل على توقيع أول معاهدة مع الفرنسيين، والتي عرفت باسم معاهدة كينيا باكورا[1].

لم ترضى الحكومة الفرنسية عن هذه المعاهدة واعتبرتها غير كافية لتحديد مناطق النفوذ الفرنسي، ورأت ضرورة عقد اتفاقية أخرى مع ساموري. وينبغي أن لا ننسى أن توقيع فراي لهذه المعاهدة مع ساموري إنما كان ليأمن جانبه خاصة وأنه ركز كل قوَاته لمواجهة محمدو لامين، والتصدي له فكان عليه تأمين ظهر قواته ولو مؤقتا.

وما كاد غاليني أن يتولى قيادة السودان الغربي الفرنسي حتى عهد إلى الكابتن بيروز بتوقيع معاهدة ثانية مع ساموري، فتم توقيع معاهدة بيساندوغو[2] في 25 مارس 1887م، والتي يمكن اعتبارها تعديلا لمعاهدة كينيا باكورا، حيث كانت هذه أشمل وأدق في نصوصها،

---

[1] **معاهدة كينبا باكورا:** 16أفيل 1887م بين ساموري توري والفرنسيين بقيادة فراي وبيروز نصت على:

- اعتراف ساموري بسيادة فرنسا ونفوذها على الضفة اليسرى لنهر النيجر من نيامينا Nyamina حتى تنكيسو/Tinkisso
- موافقة ساموري على التخلي عن المطالبة بحقوقه من مناجم الذهب قي يوري، والاعتراف باستيلاء الفرنسيين عليها.
- بقية الأراضي الواقعة على الضفة اليسرى للنيجر ستكون تحت سيطرة ساموري. أنظر:

الهام محمد علي الذهني: المرجع السابق، ص ص 150-151.

[2] **معاهدة بيساندوغو:** 25 مارس 1887م بين ساموري توري والكابتن بيروز من الجانب الفرنسي، كان أهم ما جاء فيها:

- موافقة ساموري على أن يعتبر نهر النيجر بمثابة خط الحدود بينه وبين الفرنسيين، كما وافق على التجارة مع المراكز التجارية الفرنسية.
- إعتراف ساموري بحقوق فرنسا على الضفة اليسرى لنهر تنكيسو حتى نيامينا.
- لتأكيد السيطرة الفرنسية في هذه المناطق أنشأ الفرنسيون مراكز في سيجري على الضفة اليسرى للنيجر.
- أصبحت حدود السودان الفرنسي تمتد من النيجر من دجالا حتى سيجيري ومن تنكيسو حتى منابعه، وأصبحت المنطقة الممتدة من باماكو حتى سيجيري خاضعة لنفوذ فرنسا.
- أجبر ساموري بمقتضى المعاهدة ألاَ يتعدى غرب أعالي النيجر عند سيجيري، وانتزعت منه ممتلكاته في شمال النيجر. أنظر: الهام محمد علي الذهني: المرجع السابق، ص 151، وأيضا: Maurice Delafosse :opcit, p: 346.

كونها حددت بوضوح مناطق النفوذ الفرنسي، وبتوقيع ساموري معاهدة بيساندوغو أمَّن ظهر قواته من الفرنسيين[1].

ومن أجل أن يثبت حسن نيته، أرسل ساموري ابنه دياوليكا راموغو إلى فرنسا، حيث استقبله رئيس الجمهورية ووزير الحرب الجنرال بولا تجيه. ولكن ساموري كان متحفظا عند توقيعه معاهدة بيساندوغو في عام 1887م، لأن ما تجر إليه كان أبعد من منطوقها. ولم يتردد غالييني في سبيل إظهار وجهة النظر الفرنسية من أن يكتب في السنة نفسها التي وقعت فيها تلك المعاهدة، أن الأمر يتعلق بأعمال دبلوماسية موضوعة للدول الأجنبية وموجهة لتكريس حقوقها على مناطق تتطلع بريطانيا إليها، والسياسة الوحيدة التي يجب أن تتبع تجاه هذا الزعيم (ساموري) هي أن يختفي من الوجود.

وهكذا يمكننا أن نفهم الملاحظة التي أبداها ايف بيرسون في قوله:"من الصعب أن ننكر أن فرنسا فرضت معاهدة بيساندوغو بشكل ظالمن فما كان غالييني يجهل أن ساموري يحترمها بكل دقة، ولكنه أعطى لنفسه الحق في أن يفسخها على هواه طالما أنه يعمل في سبيل المصلحة العليا للحضارة الفرنسية"[2].

ج. ساموري وحصار سيكاسو:

بعد توقيع معاهدة بيساندوغو، تفرغ ساموري لعدوه اللَدود تيبيا حليف الفرنسيين[3].

كانت سيكاسو قد أصبحت منذ نهاية القرن الثامن عشر مركزا لتوسع شعب آخر من شعوب الماندي هم الساموغو في وسط بلاد السيتوفو، وكان شأنها في ذلك شأن منطقة الجويريكو في وسط بلاد اليويو، وكان ذلك في عهد داولا الذي جعلها قاعدة عسكرية تابعة لكونغ. ثم مدَ داولا سلطانها في اتجاه تينغريلا وبانغورا و كوروغو التي كان يطالب بها

---

[1]Maurice Delafosse:opcit, p347.

[2]جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص662، وكذلك أنظر: Yves Person : opcit, p 708.

[3] الهام محمد علي الذهني:جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص152.

الوتارة سكان بلاد اليوبو، وهكذا ورث ابنه تيبيا مملكة حسنة التنظيم بدأ بتوسيعها بضم أراضي ذات أهمية عسكرية.

في نهاية القرن التاسع عشر وصل تيبيا إلى السلطة، وأقام مقر قيادته في سوغوكا التي سيصبح اسمها سيكاسو، واتخذ لنفسه لقب فما أي السلطان.وفي الجنوب الغربي من سيكاسو، كان ظل إمبراطورية ساموري الرهيب يتقدم دون أن يتمكن أحد من مقاومته. وعندما علم تيبيا بأخبار معاهدتي كينيا باكورا و بيساندوغو، تفطن إلى أنكل الظروف السياسية تشير إلى أنه سيكون هو الضحية التالية[1].

أضاع ساموري الوقت في انتظار عودة ابنه من فرنسا وفي مناقشة نصوص اتفاقية بيساندوغو التي حملها محمل الجد أكثر مما فعل شركاؤه الفرنسيين. وعندما وصل إلى سيكاسو،وبعد أن جمع كل قوات جيشه الكبير،فوجئ بأن أجهزة مخابراته التي كانت تقدم له في كل مرة معلومات دقيقة عن أحوال خصومه خذلته هذه المرة في موضوع التحصينات الهائلة التي كان يختبئ ورائها خصمه. وردت الهجمة الأولى الكثيفة والمباشرة ردا عنيفا على يد تيبيا، وفهم ساموري الذي اضطر إلى التراجع إلى ما وراء مستنقعات بانانكوني أن المسألة في غاية الجد.

بدأت حرب المواقع التي استمرت خمسة أشهر. فأنشأت تحصينات على التلال المشرفة على المدينة لمحاصرتها، مشكلة حلقة تهديد حولها على طول خمسة كيلومترات، أعطاها ساموري تسمية " المنهج هيرى" (أنتظر السعادة). إذ أنه كان ينتظر هنا أن ينال مفتاح بلاد الفولتا التي تقع إلى الشرق، والتي كان بإمكانها أن تحرره من الإختناق،لكن من المؤسف أن قواعده السوقية وقواقل تموينه التي تجتاز بلاد الواسولو ما لبثت أن تعرضت بسرعة لهجمات أنصار تيبيا، وأصبح المحاصر معرضا لأن يحاصر[2].

---

[1] جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص664.

[2] جوزيف كي زيربو: المرجع السابق،ص ص 664-665، وكذلك أنظر: Maurice Delafosse : opcit, p 346.

دام حصار ساموري لسيكاسو ستة عشر شهرا، من ماي 1887م إلى غاية أوت 1888م. خلال هذه المدة، أرسل ساموري إلى حاكم السودان الأعلى طالبا منه الدعم في حصاره، ولقد ظن أن العقيد بينجر الذي بدأ رحلته في اكتشاف السودان لتوه هو المكلف بتزويده بالدعم الذي يحتاجه، لكنه سرعان ما اكتشف أن السلطات الفرنسية لم تكن تنوي دعمه. ربما قد يتراجع ساموري ويرفع الحصار على سيكاسو لكنه وعد أنه حين مغادرته بيساندوغو سوف يأخذ معه رأس تيبيا[1].

حاول ساموري مرتين أن يكمل طوق الحصار المشؤوم على سيكاسو. فتقدم في الأولى لاتغامان فالي في هجوم بطولي على شكل قفزة الكنغر، فقطع على التوالي طريق الجنوب ثم طريق الشرق، ولكن وضعه هذا جعله بين نارين حتى أنه سقط أخيرا وهو يدافع عن هذا المركز الضعيف. وفي نفس الوقت، قتل مازي مامادي ابن ساموري وهو يقوم بمناورة عسكرية في الشمال، كانت الغاية منها صرف انتباه الأعداء .

جرت المحاولة الثانية لإكمال طوق الحصار على المدينة وقد قادها هذه المرة كيمي بريما ضدَ مركز متقدم يقود حاميته بامبا أخو تيبيا ومهمته حماية طريق الشمال، وبدا وكأن النصر قد تم، لكن كيمي بريما القائد الأعلى للجيش قتل وهو قاب قوسين أو أدنى من النجاح في كمين مشؤوم نصب له، بينما سقط أخ آخر لساموري هو مانغبي موري أسيرا بيد الأعداء ونفذ فيه تيبيا حكم الموت. وفي هذه الأثناء بدأ نقص المؤن يظهر، فتصور ساموري أنه يستطيع معالجة الأمر بأن يحول اللَبن إلى مسحوق عن طريق التبخر ثم يمزجه بدقيق النيري فيصبح عصيدة، وينقله إلى المدينة مع الذخيرة لكنه كان مخطئا[2].

---

[1]Maurice Delafosse : opcit, p 346.

[2]جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص ص 665-666.

بالنسبة للفرنسيين فقد أخذوا يتعاملون مع تيبيا، ولقد ثار الواسولو من جهتهم بعد تحمل طويل دام ثلاث سنوات للرقابة الساموريةـ وهكذا أصبحت الثورة تزمجر في كل مكان، وابتدأت الإمبراطورية كلها تشتعل وكأنها البركان[1].

ذهبت جهود ساموري عبثا واضطر إلى الانسحاب وفك الحصار. ووجد أن الفرنسيين بدلا من التصرف كحلفاء والعمل على مساعدته، كانوا يشجعون على الفرقة والتمرد في المناطق التي كان قد أخضعها حديثا، كما كانوا يحاولون منعه من الحصول على إمدادات من الأسلحة من سيراليون، ورفع الحصار في أغسطس من عام 1889م، واستعد ساموري لحمل السلاح ضدَ الغزاة[2].

لأول مرة خان القدر ساموري ووقع في فخ سيكاسو وخسر الألمامي زهرة جيشه تحت أسوار سيكاسو. وقام تيبيا بإهداء جماجم كيمي بريما ومانيغبي موري ولاتغامان فالي بعد أن حنطها وزينها إلى القائد الفرنسي أرشيناد Archinad الذي شعر أنه أصبح حاميا لكلتا المملكتين الإفريقيتين مملكة ساموري ومملكة تيبيا. وأصبح على أسد بيساندوغو (ساموري) الإلتفاف لمواجهة الفرنسيين، ولكن هذه المرة بأسنان ثلمتها أسوار سيكاسو[3].

د. ساموري بين السياسة والحرب:

---

[1] نفسه: ص 666.

[2] (اليونسكو): المرجع السابق، ص137.

[3] جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص666.

عمل ساموري على الاستفادة من التنافس البريطاني الفرنسي في المنطقة، فعمل على استمالة حاكم سيراليون إليه خاصة أن الفرنسيين قد ساعدوا عدوَه اللَدود تيبيا وأجبروه على فك الحصار عن سيكاسو، ولذلك سعى للتقرب من البريطانيون في سيراليون لفتح الطريق للسودان[1].

والجدير بالذكر أن ساموري كان على اتصال بحكام سيراليون منذ 1880م، حيث أرسل رسالة إلى سيروري حاكم سيراليون من أجل تشجيع التجارة بين الطرفين، كذلك أرسل بمبعوثيه إلى سيراليون فيما سبق وعرض وضع بلاده تحت الحماية البريطانية ولكن الحكومة لم تحاول تلبية طلبه.

بعد توقيع معاهدة بيساندوغو 1887، أصبح لفرنسا سيطرة تامة على الأراضي الداخلية لسيراليون مما حال دون امتداد انجلترا للداخل، ولذلك أرسل حاكم سيراليون ضابطا بريطانيا عام 1888م يدعى فستنج لتوقيع معاهدة مع ساموري، وقد اختير فستنج لهذه المهمة نظرا لإلمامه باللغة العربية ودرايته بالعادات والتقاليد الإسلامية[2].

أقنع فستنج ساموري بمد خط حديدي بين أراضيه وسيراليون، فوافق ساموري لكنه اشترط ضمان استمرار تجارته مع فريتاون، واتفق الطرفان على توقيع معاهدة بينهما[3].

عقد ساموري معاهدة مع البريطانيين في ماي 1890م تمكن عن طريقها من شراء أسلحة حديثة بكميات متزايدة طوال السنوات الثلاث، وتمكن من تدريب قواته على الطريقة الأوروبية، فشكل فصائل وسرايا، واعتمد الدفاع تكتيكا عسكريا. وبطبيعة الحال لم يكن في وسعه أن يستخدم الحصون لإيواء جنوده لأنها لم تكن لتصمد أمام قذائف المدفعية، لذلك

---

[1] Ale chatelier : opcit, p 241.

[2] الهام محمد علي الذهني:جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص ص 152-153.

[3] نفسه: ص153.

أقام إستراتيجية على أساس تزويد قواته بقدر كبير من خفة الحركة حتى تتمكن من مفاجأة العدو وتكبيده خسائر فادحة ثم الاختفاء[1].

أدى التقارب بين ساموري وفريتاون إلى غضب السلطات الفرنسية التي رأت في ذلك الاتفاق خطورة على مصالحها. وكذلك تخوفت بريطانيا من النشاط الفرنسي في المنطقة، فقد حذرت وزارة الحربية البريطانية من خطورة معاهدة بيساندوغو، لأنه بمقتضاها سيطرت فرنسا على الأراضي الداخلية لسيراليون التي تعتبر من أهم المحطات الرئيسية البريطانية المؤدية إلى مستعمرة الرأس، وقد أنفقت بريطانيا عليها الكثير من الأموال، ولذلك فإن تركيز فرنسا على هذه المناطق شكل خطرا كبيرا على بريطانيا.

عملت حكومة سيراليون على الاتصال بساموري وتوثيق الصلة معه. وعلى الرغم من الاتصال بين سيراليون وساموري، إلا أن حاكم سيراليون كتب إلى حكومته منددا باعتداء الفرنسيين على أهالي سامو وهي تقع في دائرة النفوذ البريطاني، وقد قام الجنود الفرنسيون بتمزيق العلم البريطاني رمز الحماية البريطانية على أراضيهم، وكان هذا التصرف من فرنسا بدافع رغبتها في إثبات حقها في هذه الجهات[2].

استمر ساموري في توطيد صلته بسيراليون خاصة أنها مثلت بالنسبة له المصدر الرئيسي للسلاح، رغم احتجاج فرنسا على الأمر ومحاولتها منعه من الحصول على السلاح من البريطانيين، وذلك بالتواصل معهم ومحاولة إقناعهم بخطورة بيعهم الأسلحة لساموري وأنه قد يحاربهم يوما ما بسلاحهم وضرورة منع هذه التجارة. لكن رغم ذلك، استمرت تجارة الأسلحة في فريتاون واستطاع فعلا ساموري أن يلعب دورا بين الدبلوماسية والحرب ويستعمل المنافسة البريطانية الفرنسية لصالحه[3].

---

[1] (اليونسكو): المرجع السابق، ص138.

[2] الهام محمد علي الذهني:جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص ص 152-154.

[3] نفسه: ص 154.

وبناء على ما تقدم وأيا ما كان الأمر، فإن توطيد العلاقات بين ساموري توري وسيراليون يبرره احتياج هذا الزعيم الإفريقي الوطني للسلاح والذخيرة لمواجهة الإمبريالية الفرنسية وأطماعها في المنطقة.

بدأ الفرنسيون يفكرون في السيطرة على الأراضي الواقعة تحت قبضة ساموري توري، وهذا لأنهم أساءوا التقدير معتقدين أنه أوشك على السقوط، وكذلك تخوفهم الشديد من التقارب الذي حصل بين ساموري والانجليز وتمكنه من الحصول على الأسلحة والذخيرة، كما أنه اكتسب مكانة عظيمة في نظر شعبه فأصبح يمثل لهم كل الآمال والطموحات[1].

قامت فرنسا بتغيير القيادة، فحل العقيد أرشيناد محل غاليبني. وكان قدوم أرشيناد إلى السودان الفرنسي وتوليه قيادة الجيش يمثل نقطة تحول في تاريخ السودان، فآراؤه الاستعمارية ورغبته الجامحة في التوسع العسكري وفي فرض السيطرة الفرنسية عن طريق القوة ستغير وجه السودان.

كان الوضع المحلي والدولي ملائما للعقيد أرشيناد لشن هجوم مفاجئ على مخيمات ومعاقل ساموري والقضاء عليه، وكان كل ذلك تصورا خاطئا للعقيد الذي ظن أنه بعد إبعاد خطر الشيخ أحمدو يستطيع السيطرة على الوضع والتحكم في زمام الأمور، لكن سرعان ما أدرك العقيد أرشيناد خطأه وتحسس خطورة ساموري على دولته.

اعتبرت إمبراطورية ساموري من بين أهم مناطق النفوذ الفرنسي وهذا راجع إلى ما نصت عليه المعاهدة الأنجلو فرنسية عام 1890م، والتي كان من أهم بنودها تحديد مناطق النفوذ والقوة بين الدولتين[2].

---

[1] عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص135.

[2] Jean suret Canale: l'Afrique noire occidentale et centrale, Géographie- civilisation histoire, 3eme édition sociales, paris, 1968, p 266.

3. المواجهة بين أرشيناد وساموري 1890م-1891م:

على الرغم من توقيع معاهدة بيساندوغو، إلا أن ساموري استمر في تسليح جيشه بأحدث الأسلحة وتدريبه بأحدث المعدات، واستمر في شن الغارات على المدن والقرى، واستمر جنوده في الإغارة على الأراضي التابعة لفرنسا، لذلك أرسل إليه العقيد أرشيناد طالبا منه توقيع معاهدة جديدة فوافق ساموري عام 1889م[1].

وبموجب معاهدة نياكو، تخلى الألمامي عن الضفة اليسرى للنيجر مع تحفظات عبر عنها شفويا للمفوض الفرنسي الذي سكت عند استماعه إليها، فاعتبر ساموري سكوته موافقة على هذه التحفظات. وعندما أرسل أرشيناد حملة فتوحات على النيجر الأعلى مستوليا على كوديان ورواميا بذلك أغيبو بين أذرع ساموري، وعندما تحولت الضفة الفرنسية من نهر النيجر إلى قاعدة هجوم على الضفة اليسرى الساموري منه، وعندما حوصر أنصار ساموري الذين بقوا على الضفة اليمنى وأُطلق الرصاص على واحد منهم، عند ذلك أعلن ساموري رفضه لمعاهدة نياكو وبلّغ بذلك أرشيناد[2].

سعى ساموري مجددا للتقرب من حكام سيراليون، وأرسل إلى حاكم سيراليون مبدئيا استعداده لتوقيع معاهدة حماية معه.وبناءا على طلب ساموري، وقع في 24 ماي 1890م معاهدة ثانية مع البريطانيين، وقعها معه القائد البريطاني جاريت Garret. وقد وافق ساموري على شروط جاريت وتعهد بألا يستولي على أراضي جديدة إلا بعد إعلام الحكومة البريطانية. لكن هذه المعاهدة لم يكتب لها النجاح، وذلك أن الحكومة البريطانية قررت الاعتراف بمعاهدات الحماية التي عقدتها فرنسا في غرب إفريقيا، ولذلك لم تعترف بمعاهدة جاريت وأعلنت عدم شرعيتها[3].

---

[1] Jean suret Canale: l'Afrique noire occidentale et centrale, Géographie- civilisation histoire, opcit,p 267.

[2] جوزيف كي زيربو: المرجع السابق، ص 668.

[3] الهام محمد علي الذهني:جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 155.

لقد تزامن توقيع معاهدة جاريت مع سقوط سيغو عام 1890م على يد أرشيناد وكان ذلك في شهر مارس، ولقد عقد أرشيناد العزم على الاستيلاء على كل من كانكان وبيساندوغو[1].

كان تاريخ 1 مارس 1891م هو تاريخ الانطلاقة نحو كانكان، حيث سار العقيد أرشيناد مدعما بأسلحة متطورة وعتاد متنوع من نيامينا[2] على الضفة اليسرى للنيجر. وفي 22 مارس، وصلت الحملة إلى كوليكور، ثم عبرت النهر إلى الضفة اليمنى حيث ترابط قوات ساموري، ثم عسكرت في أول أفريل في كركورو Karkoro، وقد أعلنت القرى التابعة لساموري خضوعها للفرنسيين.

علم ساموري باقتراب الفرنسيين من كانكان فقام بإحراقها، وهكذا دخلت القوات الفرنسية في أفريل 1891م إلى كانكان لتجدها خالية من السكان، ومباشرة بعد وصوله إلى كانكان أصيب العقيد أرشيناد بالحمى الصفراوية وعوضه الكابتن هوجيني[3].

لم يكن معنى استيلاء الفرنسيين على كانكان انتهاء مقاومة ساموري وجنوده، فقد استمروا في التحرش بالفرنسيين، فأرسل كالي زعيم السوفا حملة لمهاجمة القرى التابعة للفرنسيين، كذلك كلف ساموري ابنه كراماكو وأخاه ألفا بمهاجمة الفرنسيين.

اتخذ أرشيناد من سيجيري نقطة لمراقبة منطقة بوريه ومنع وقوعها في يد ساموري، وكلف الكابتن هوجيني بتعقب جنود السوفا لمنعهم من الإغارة على المراكز الفرنسية.

---

[1] (اليونسكو): المرجع السابق، ص 138.

[2] Maurice Delafosse : opcite, p 347.

[3] A le chatelier : opcit, p p 246-247.

كان لسقوط كنكان في يد الفرنسيين صدى كبير في المنطقة، فقد شعر الزعماء الوطنيون مدى خطورة القوة العسكرية الفرنسية، فأعلن أجيبو شقيق أحمدو خضوعه للفرنسيين[1].

توجهت أنظار أرشيناد بعد الاستيلاء على كانكان نحو بيساندوغو، وقد كلف النقيب هوجيني بالزحف نحو المدينة. وخلالها اشتبك مع مؤخرة قوات ساموري التي كانت تغطي انسحاب الوحدات الرئيسية في منطقة سانا، وفقدت قوات العدو في هذا الاشتباك الملازم الأول أورسات. ثم تابعت الفرقة الفرنسية ملاحقتها لقوات الإمام ساموري المنسحبة دون أن تتمكن من النيل منه، بفضل فعالية الخطة التي طبقها أفراد حرسه الشخصي المسلحون ببنادق ذات الرمي السريع، والمتمثلة في التحرش بالقوات الفرنسية لعرقلة سيرها.

بتاريخ 09 أفريل، اضطر ساموري إلى الانسحاب أيضا من مدينة بيساندوغو وذلك لأنه لم يتحمل كثافة نيران العدو، فقام بإخلاء المكان وأخذ معه كل ما هو غال وثمين وأحرق ما تبقى كي لا يجده العدو ويستفيد منه.

وصلت القوات الفرنسية إلى بيساندوغو، وواصلت في نفس الوقت متابعتها لقوات ساموري المنسحبة، والتي لقنتها درسا خلال المعركة التي دارت بينهما. وبعد كل تلك الخسائر المتتابعة والمقاومة العنيفة التي أظهرها جنود ساموري، اضطرت القوات الفرنسية للانسحاب ولم تجرأ على المغامرة أكثر بفرسانها، وهكذا انسحبت فرنسا من بيساندوغو وعادت من جديد إلى كانكان في 11 أفريل 1891م، التي أصبح احتلالها ضروريا لدعم مراكزها على الضفة اليمنى للنيجر، ثم غادر أرشيناد كانكان بعد تأمينها بحامية قوية والتأكد من صعوبة اختراقها[2].

---

[1] الهام محمد علي الذهني:جهاد الممالك الإسلامية المرجع السابق، ص 158.

[2] Jean suret Canale: l'Afrique noire occidentale et centrale, Géographie- civilisation histoire, opcit, p 268.

استمرت قوات ساموري فيشن الهجوم على القوات الفرنسية وعلى حامية كانكان عدة أسابيع، خاضت خلالها عدة معارك تكبدت فيها فرنسا خسائر فادحة.

والجدير بالذكر أن حملات أرشيناد لفتت أنظار البرلمان الفرنسي، فأصدر أمرا في ديسمبر 1891م بعدم التوسع العسكري في السودان، والاكتفاء بتنظيم الأراضي التي استولى عليها أرشيناد، ورأت ضرورة إنهاء حالة الحرب في السودان، والعمل على تطويره. لذلك صدرت الأوامر بتعيين حاكم مدني وهو جروديهGrodé، مع التنبيه أن تنظيم السودان وإدارته أصعب من غزوه.

أ. **تقييم حملة أرشيناد وأهم نتائجها:**

صحيح أنهم أعادوا تنظيم كانكان ليسهل عليهم إدارتها ولكن قوات ساموري كانت لهم بالمرصاد، فلم تكف عن الإغارة عليهم. وبالرغم من أن بعض المؤرخين يرى في حملة أرشيناد نتائج إيجابية، لكنه في الحقيقة لم يحتل إلا الخراب، لأن المدينة أخليت وأحرقت قبل وصوله إليها. بالإضافة غلى أن أرشيناد الذي راهن على القضاء على ساموري في حملتين بعد قضاءه على أحمدو في سنتين- مستغلا في ذلك فشل ساموري في حصار سيكاسو وفقدانه لأشهر قادته في الحصار-كان مخطئا.

كما قلنا سابقا فقد أخطأ أرشيناد الظن، حيث أن ساموري تمكن من تجاوز الصعوبات التي مرَ بها ورجع يتحكم في الوضع من جديد، وفرض سيطرته على جميع الأرياف إلى غاية ضواحي باماكو نفسها، واستعاد المبادرة من جديد، وقام بتحريض سكان المناطق الواقعة بين سيغو وساساندينغ ضد الفرنسيين. وهذا كله أكد فشل حملة أرشيناد وجميع خططه للقضاء على ساموري، إضافة إلى ذلك كله الانتقادات الموجهة له من قبل خصومه السياسيين في باريس حول سوء إدارته وتسييره المالي للمستعمرة، كل هذا أثبت فشله رغم وجود بعض الإيجابيات[1].

[1] Jean suret Canale: l'Almamy samor touré, opcit, p 243.

ب. أثارها

وقعت خسائر جسيمة في حقوق الإمام ساموري جراء استخدام القوات الفرنسية لسلاح المدفعية على نطاق واسع، حيث اضطر ساموري إلى تغيير خطة المواجهة مع قوات العدو، كذلك أصبح يتجنب الاحتماء بالأسوار مهما كانت محصنة، وأصبح يتفادى الهجمات. كما لجأ إلى تقسيم قواته إلى فرق صغيرة يسهل تحركها وقت الحاجة وتفاديها الهجمات والكمائن، ويسهل اختباءها ومفاجأتها للعدو، ويسهل كذلك انسحابها دون خسائر.

لقد عادت حملة أرشيناد بالفائدة على ساموري، حيث أنه قد استفاد من احتكاكه بالفرنسيين بإطلاعه على طرائق وفنون القتال لدى العدو، ليس فقط في عهد أرشيناد بل من قبل أيضا. إلى جانب أنه تمكن من إرسال أحد أحسن جنوده للانخراط في صفوف الجيش الفرنسي في السنغال ليتدرب على فنون القتال واستخدام الأسلحة. وأكثر من هذا وذاك، أظهر الإمام ساموري عبقرية ومقدرة كبيرة في تكييف هذه الطرائق والفنيات مع الوسائل التي يملكها أمام عدوه بقوته عدَة وعتادا، مما جعل أعدائه يعترفون له بمقدرته الحربية ومؤهلاته وإمكانياته العسكرية التي لا تقل عن قدرات نظيره الفرنسي أرشيناد وغيره من الضباط، وهذا ما زاده شجاعة وحماسا[1].

أرسل ساموري رسالة يطلب فيها الحصول على الحماية البريطانية أمام قوات العدو الفرنسي لكنه قوبل بالرفض، مما دفعه إلى تغيير إستراتيجيته العسكرية والاعتماد على إمكاناته الذاتية لمقاومة أعدائه مستخدما نفس المخطط التكتيكي الذي نجح به أمام أرشيناد، مع القيام في نفس الوقت بضم مناطق جديدة إلى ممتلكاته، فقسم قواته غلى ثلاث فرق كبرى كالتالي:

- ✓ **الفرقة الأولى:** كانت مجهزة ببنادق الرمي السريع، مهمتها عرقلة تقدم القوات الفرنسية وتغطية انسحاب باقي القوات والأهالي.

[1]Jean suret Canale: l'Almamysamor touré,opcit, p p 244-245.

- ✓ **الفرقة الثانية:** كانت مجهزة ببنادق مكبس مهمتها قيادة وحماية الأهالي.
- ✓ **الفرقة الثالثة:** كانت مهمتها فتح وتنظيم المناطق الجديدة في الشرق وتهيئتها للأهالي.

وبفضل هذه الإستراتيجية تمكن الإمام ساموري في كل سنة من تغيير أراضي ومناطق جديدة، مما ساعده على تنويه القوات الفرنسية وتشويشها وهكذا استمرت مقاومته طويلا[1].

4. المواجهة بين ساموري وهامبرت 1891م-1892م

يذهب هذا ليأتي ذاك، فهاهو هامبرت يحل محل ارشيناد الذي بعد رحيله لم تلتقط المنطقة أنفاسها حتى وجدت أمامها هامبرت، هذا الأخير الذي وضع احتلال منطقة بيساندوغو صوب عينيه ، وهو ما قدم لأجله وكذلك الوصول إلى نهر الميلو. فانطلق هامبرت يوم 19 ديسمبر 1891م من سيجري متوجها نحو كانكان التي لبث فيها 03 أيام، حيث وصلها في 06 جانفي 1892م وغادرها في 09 جانفي قاصدا بيساندوغو وهو مصمم على احتلالها وإلحاق الهزيمة بساموري، لكنه تفاجئ في منتصف الطريق بكمين نصبه له جنود ساموري يوم 11 جانفي، ووقعت معركة ضارية دامت يوما كاملا، حولت المكان إلى بركة من الدماء بسبب كثرة القتلى والجرحى من الطرفين، قدم فيها جنود ساموري أقصى قواهم ولم تنتهي المعركة إلا بإطلاق هامبرت مدافعه والتي لم تقوى عليها قوات ساموري فاضطرت للانسحاب.

لم يلفظ الفرنسيون أنفاسهم من هذه المعركة حتى وجدوا أنفسهم في معركة أخرى، لقنه خلالها ساموري درسا في المقاومة وفنون القتال، وألحق بهم خسائر كبيرة سواء في الأرواح

[1] Jean suret Canale: l'Afrique noire occidentale et centrale, Géographie- civilisation histoire, opcit, p p 267-268.

أو الأسلحة. وقد أسفرت هذه المعركة الأخيرة عن مقتل ضابط مدفعية وأربعة رماة وجرح ضابطان آخران، مما أثار غضب هامبرت وزاد رغبته في التخلص من ساموري[1].

رغم الصعوبات التي واجهته، إلا أن هامبرت تمكن من دخول مدينة بيساندوغو في 12 من شهر جانفي بعد معركة ضارية كان قوامها 1300 من صفوة الرماة و3000 من الحمالين، هذا من جانب قوات هامبرت الذي كان مصمما على القضاء على ساموري، أما هذا الأخير فقد تولى قيادة جيشه بنفسه، وكان يتألف من 2500 من خيرة رجاله. وعلى الرغم من أن هؤلاء الرجال كانوا يقاتلون كالشياطين ويتشبثون بعناد بكل موقع دفاعي على الطريق -هذا على حد تعبير ايف بيرسون- ، لكنهم هزموا، ونجح هومبير في الاستيلاء على بيساندوغو. وبعد أسبوع، رُفع العلم الفرنسي على القلعة التي تم بناءها في المدينة. فيما لم يستسلم ساموري بعد هذه الهزيمة بل واصل تحرشاته وهجوماته على القوات الفرنسية، وتمكن من إلحاق خسائر أخرى بهم بالرغم من فوزهم ودخولهم بيساندوغو[2].

هكذا استمرت الحرب بين هامبرت وساموري الذي لا يعرف الاستسلام، وخاض معركة أخرى ضد قوات العدو عند خليج أوساكو شمال فايالا، جرح فيها بعض قوات العدو. وكذلك تصدت قوات ساموري لقوات العدو في منطقة فاراندوغو، أظهر ساموري خلال هذه المعركة قدرة كبيرة على التكيف مع كل الخطط الحربية. فرغم مناورة العدو له بتغيير خط سيرهم في آخر لحظة لتشتيته، إلا أنه تدارك الأمر بسرعة ولم يتوانى عن المواجهة وقام هو أيضا بتغيير خطته في آخر لحظة حسب المستجدات، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على حنكته الحربية وشجاعته ودون أن ننسى رجاله الأقوياء.

---

[1] Jean suret Canale: l'Afrique noire occidentale et centrale, Géographie- civilisation histoire, opcit, p p 246-247.

[2] (اليونسكو): المرجع السابق، ص 138.

خاض ساموري معركة طويلة دامت ثلاث ساعات انتهت كالعادة بتكبيد الفرنسيين خسائر في صفوفهم تمثلت في مقتل خمسة وجرح سبعة وإتلاف بعض الأسلحة، أما خسائر ساموري فكانت أكبر بكثير.

تمكن هامبرت من الاستيلاء على مدينة سنانكورو في 26 جانفي 1892م، ثم توغل إلى نحو كيرواني القريبة منها. فرغم المقاومة الباسلة التي لقيها من الإمام ساموري، إلا أنه كان مصمما على تحقيق أهدافه. وتمكن أيضا من الاستيلاء على مخازن السلاح والذخيرة الخاصة بساموري، والذي واصل مقاومته لقوات العدو بمعنويات جد مرتفعة رغم خسارته لمخازن الذخيرة والتي قد تؤثر على مقاومته سلبا[1].

كل ما ذكرناه لم يثني من عزيمة البطل ساموري الذي واصل تنفيذ مخططه لفتح مناطق جديدة وتهيئتها لتعويض ما فقده في هذه الحملة المشؤومة، وهو ما اعتبره البعض نجاحا لساموري الذي لا يغادر أي منطقة إلا حوَلها إلى قطعة من الفحم فيجدها الفرنسيون خرابا[2].

وهذا ما أقرَه هومبير نفسه، والذي اعترف بأن النتائج التي حققها هزيلة جدا بالمقارنة مع الخسائر الفادحة التي منّي بها. وذلك فضلا عن أن ساموري كان قد أمر السكان المدنيين بالانسحاب لدى اقتراب القوات الفرنسية[3].

5,المواجهة مع كومبيس 1892م-1893م

أحيانا تكون المعركة قوية وعنيفة ومسيلة للدماء لكن نتائجها فاشلة، هكذا كانت حملة هامبرت، فهو رغم كل الخراب الذي نشره إلا أنه لم يحقق أهدافه ولم يتمكن من القضاء على ساموري، وقد كانت كل البلاد التي دخلها عبارة عن خراب بسبب تطبيق ساموري

---

[1]Nazi boni : opcit, p p 245-246.
[2]Ibid : p246 .
[3] (اليونسكو): المرجع السابق، ص 138.

لسياسة الأرض المحروقة. وهكذا انسحب هامبرت من المنطقة وأقيل من منصبه، وأعيد تعيين العقيد أرشيناد مرَة ثانية في نهاية سنة 1892م كحاكم مدني وعسكري لمستعمرة السودان الغربي الفرنسي. لكن أرشيناد كان مندفعا جدا، ولم يلتزم بالقرارات المتخذة لوقف الحملات العسكرية وعملية التوسع العسكري في السودان الغربي، مما اضطر وزير المستعمرات ديلكاسي إلى تكليف المقدم كومبيس من المشاة البحرية بقيادة الحملة[1].

وهكذا تولى القيادة في السودان الغربي العقيد كومبيس خلال عامي 1892م-1893م، وقد أصدر إليه أرشيناد تعليمات بضرورة القضاء على ساموري، وقد قام كومبيس بعدة حملات ضده فوصلت قواته حتى حدود سيراليون[2].

أرسل أرشيناد رسالة إلى كومبيس تتضمن تعليمات دقيقة وواضحة حول ضرورة قطع المواصلات عن ساموري مع سيراليون وكان ذلك بتاريخ 19 نوفمبر 1892م، وفي نفس الوقت ضرورة مواصلة مطاردة ساموري حتى القبض عليه أو استسلامه. وتنفيذا لهذه الأوامر، جهز كومبيس قواته في تاريخ 12ديسمبر 1892م وتركز عند قرية سيجيري، وهناك تم تقسيم قواته إلى فرقتين كبيرتين: الأولى يقودها كومبيس شخصيا وتتجه نحو أعالي نهر الميلو لملاحقة قوات ساموري ومنع كل اتصال محتمل مع جاره تيبيا- حيث أن ساموري قد حسن علاقته مع تيبيا بحكم ضرورة اتحاد الزعماء الوطنيين - ، والفرقة الثانية يقودها النقيب بريكولو، مهمتها قطع الطريق عن وحدات ساموري نحو سيراليون لمنعها من التزود بالأسلحة والذخيرة[3].

علم كومبيس بأن ساموري موجود بسانكاران، وفور وصوله إلى كانكان في نهاية ديسمبر 1892م، بدأ عملية المطاردة في 06 جانفي 1893م، حيث مضى كومبيس في مطاردة ساموري الذي راوغه وانسحب نحو قرية نافانا. ومن أجل دعم مخططه الذي يقضي

---

(1) Maurice Delafosse : opcit, p 347.
(2) Ibid : p 347.
(3) Nazi boni : opcit, p247.

بمحاصرة ساموري، أرسل كومبيس فرقة صغيرة بقيادة الرائد أوزوالد إلى جسر بابيلا الذي توفي هناك في 23 جانفي 1893م اثر إصابته بلفحة شمسية. وفي نفس الوقت، أرسل كومبيس الذي لم يهدأ له بال الرقيب دارغولو مع فرقة من الدعم لمراقبة جسر بابيلا من أجل محاصرة قوات ساموري[1].

بتاريخ 04 فيفري 1893م، انطلق كومبيس من ضفاف نهر الميلو متوجها نحو المناطق الشرقية. وفي طريقه تصادف مع بعض قوات ساموري التي أجبرت على المغادرة والانسحاب، ولكن طبعا بعد إحراقها عدة قرى وحمل ما استطاعت مما هو غالي وثمين وإحراق ما تبقى كما جرت العادة تحت سياسة الأرض المحروقة، وحرمان الفرنسيين خيرات بلادهم مما يفقدهم دائما لذة الانتصار وتلقي الأرباح، وهذا بشهادة العديد من القادة الفرنسيين.

كان انعدام توازن القوى بين الجبهتين واضحا، فالقوات الفرنسية تمتلك سلاح المدفعية على عكس قوات ساموري. لكن هذا الفرق لم يخف ساموري ولم يثني من عزمه، وواصل تحرشاته بطليعة الجيش الفرنسي[2].

استولى كومبيس على خراب قلعة أودييني في 13 فيفري 1893م مواصلا توغله في أراضي الإمام ساموري بعد مغادرة سكان القرية تاركين ورائهم الخراب، وقد اختاروا الالتحاق بساموري خوفا من انتقام الفرنسيين. غَضَبُ كومبيس من كل ما يحدث جعله يخرب كل ما يجده في طريقه، ومع اقتراب موسم الأمطار صار الأمر صعبا بالنسبة لكومبيس الذي يبحث عن لقاء ساموري في معركة منظمة فقد تعب من الكمائن والمصادفات ولكن دون جدوى، فآثر الانسحاب نحو الجنوب إلى نفانا ومنها إلى كورو ثم فوكالا وأخيرا وصل إلى

---

(1) Nazi boni : opcit, p p 247-248.
(2) Ibid : p p 247-248.

مدينة كيروني في يوم 10 مارس 1893 متعبا، وقد خارت قواه أمام مواجهاته العديدة وهو يجر أذيال الخيبة والفشل فحتى الآن لم يصل إلى أي من أهدافه[1].

انطلقت فرقة بريكولو المكلفة بمطاردة بيلالي من كوراسو باتجاه دواكو التي وصلت إليها في التاسع من يناير من عام 1893م، وهناك تمكنت من مفاجأة بعض وحدات بيلالي وانتزعت منهم السلاح والذخيرة، وواصلت طريقها مسيطرة على قرى ديالا نكور ووكوفود وغووبامبايا، وأجبرت قوات بيلالي على الانسحاب نحو الشرق وأقامت مركز لها في إحدى تلك القرى التي استولت عليها[2].

أثار حملة كومبيس على ساموري وأتباعه

أسفرت هذه الحملة عن:

- ❖ انسحاب الإمام ساموري نحو الشرق واستقراره في الجزء السوداني بساحل العاج، وهناك توصل إلى تأمين طريق جديد للقوافل المحملة بالأسلحة.
- ❖ تمكنت القوات الفرنسية من توسيع سيطرتها على ضفتي نهر النيجر من منابعه إلى ماسينا، ومن كيرواني إلى بايلا وإلى ضواحي تومبوكتو، وتدعيم مراكزهم القديمة بكانكان وبساندوغو وكيرواني وإقامة قواعد عسكرية جديدة لهم في كل من كوروسا وغيليبا وأوسو و غيرها.
- ❖ تمكنت السلطات الفرنسية من أسر ألف ومائة شخص من أتباع ساموري، وحجزوا على أكثر من ألف بندقية من أسلحة ساموري[3].

---

(1) A le chatelier : opcit, p p 247-248.
(2)Nazi boni : opcit, p p 247-248.
(3)Ibid : p 248.

6. المواجهة بين ساموري والمقدم بونيي 1893 م:

في نهاية عام 1893 م، عُيّن المقدم بونيي[1]على رأس القوات الفرنسية في مستعمرة السودان الغربي. فأمام هول وبشاعة المجازر التي ارتكبها كومبيس وقواته والتي لم تنل إعجاب الرأي العام الفرنسي بل أثارت غضبه خاصة أنها لم تحمل معها نتائج ايجابية ونجاحا واضحا بل كانت مجرد حملة انتقامية، قررت وزارة المستعمرات الفرنسية وضع حد لهذه الحملات الإجرامية، وقامت بتعيين غرودت حاكما عليها مدنيا على رأس مستعمرة السودان الغربي مكان العقيد أرشيناد والمقدم بونيي مكان كومبيس، وذلك لتنظيم الوضع الذي خرج عن السيطرة ومحاربة التصرفات العشوائية واللامسؤولة لبعض الضباط.

أما من جانب ساموري، فقد كان منشغلا في إعادة ترتيب أموره هو الآخر وتنظيم جيشه استعدادا للمواجهة قبل انتهاء موسم الأمطار الذي كان يخدمه بعكس غيره، فهو ابن المنطقة ومتعود على مناخها، كما قام بمحاولة لاسترجاع بعض المناطق التي فقدها أثناء حملة كومبيس[2].

قام ساموري بمجموعة من الهجمات بهدف استعادة سيطرته على بعض المناطق والطرق وتأمين حصوله على الخيول والذخيرة، فعلم المقدم بونيي بذلك، فجهز فرقة عسكرية كبيرة ضمت حوالي ستمائة رجل مدعومة بست قطع مدفعية، منطلقا من كايس يوم 17 نوفمبر 1893 باتجاه فاراغان القريبة من تينيتو التي وصلها يوم 14 ديسمبر 1893 م، ومنها انتقل إلى قرية كولوني وهناك كان اللقاء بين ساموري وبونيي، حاول هذا الأخير محاصرة قوات ساموري ومنعه من الانسحاب لكن دون جدوى، فقد تمكن ساموري من سحب

---

[1]**بونيي Bonnier**: ولد بسانت لو في 4 جانفي 1856 م، دخل المدرسة المتعددة التقنيات في سنة 1873 م، تخرج في سلاح المدفعية الحربية، كلف بعدة مهام منها انجاز أشغال توبوغرافية في كل من كاليدونيا الجديدة والسودان، أنجز سنة 1883 م خريطة المناطق الواقعة بين السنغال الأعلى والنيجر (من كايس إلى باماكو)، حارب الهند الصينية سنتي 1888-1889 م، ارتقى إلى رتبة مقدم في 20 ماي 1893 م، ثم عين قائدا أعلى للسودان الفرنسي، قتل في حادثة غوندام يوم 15 جانفي 1894 م.انظر في ذلك: بن تركية: المرجع السابق، ص 141.

[2]A le chatelier : opcit, p 248.

قواته وذلك بفضل إستراتيجيته في استخدام فرق صغيرة مما يسهل عملية انسحابها واختفائها[1].

لقد أسفرت هذه الحملة عن:

- إبعاد ساموري عن المنطقة واستعادة قرية بوغوني وإنشاء مركز عسكري بها في نهاية 1893 م، وتدعيم مركزي كيرواني وكيسيدوغو.
- خسارة ساموري لعدد ضخم من أسلحة جنوده قدرت بحوالي 430 بندقية وقتل 200 جندي.
- خسارة الفرنسيين كانت أقل من خسارة خصمهم، وقد تمثلت في وفاة صبايحي وإصابة أربعة آخرين بجروح طفيفة.
- وفي النهاية، قام المقدم بونيي بمخالفة أوامر الحاكم العام المدني غرودوت، حيث التحق بباماكو يوم 18 ديسمبر 1893 م، ومنها نحو تومبوغتو، يهدف مطاردة التوارق المسئولين عن مقتل بعض الأوروبيين رغبة في الانتقام منهم، وهناك ذهب إلى مصرعه برجليه، حيث لقي المقدم بونيي حتفه مع عدد كبير من أفراد فرقته فجر يوم 15 جانفي 1894 م، إثر هجوم شنته مجموعتان من التوارق، وانتهت حملته وحياته بسبب تهوره ومخالفته للأوامر[2].

7. مفاوضات 1894 – 1897 بين ساموري والفرنسيين

استغل ساموري فترة تواجده في ساحل العاج ليستريح ويسترد أنفاسه وينظم أموره. وخلال تواجده بساحل العاج، فخطى ساموري أول خطوة نحو السلام، فأرسل مبعوثا له إلى كاييس لكنه قوبل بالرفض، وذلك لأن السلطات الفرنسية وضعت شرطا أساسيا للدخول في

(1) Jacques Meniaud : les pionniers du soudan avant-avec et après Archinad (1879-1894) , Tome 01,Société des publications modernes, Paris, 1931 ; pp 488-489.
(2) Nazi Boni : opcit, p 249 .

مفاوضات معه ألا وهو قبول حمايتهم، وهو الأمر الذي رفضه ساموري الذي أراد الاحتفاظ بسيادته على أراضيه.

واصل ساموري نشاطه التوسعي رغم دخوله في مرحلة مفاوضات مع الفرنسيين، حيث واصل فتوحاته على أراضي ساحل العاج، بحيث فرض سيطرته على مناطق ساكالا وكاني وغيرها، والمناطق الواقعة بين انهار بانداما وكومري، الأمر الذي أقلق السلطات الفرنسية والتي قامت بإرسال القائد مارشاند[1] للسيطرة على الوضع ومنع ساموري من التقدم أكثر. وعلى الرغم من معارضة بنجر Binger [2] حاكم ساحل العاج، إلا أن الرقيب مارشاندMarchandكان مصرا على الذهاب إلى نهر كافالي، حيث علم بوجود ساموري هناك، إلا أنه تراجع وانسحب بعد تعرضه مع فرقته لاعتداءات وتحرشات السكان الذين عرقلوا سيره ومنعوه من التقدم والوصول إلى ساموري فقد كان لهم ولاء لهذا الأخير[3].

سعى الإمام ساموري إلى عقد مفاوضات مع القوات الفرنسية مرة أخرى وذلك رغبة في السلم ولحاجته فترة راحة، وتم مناقشة الأمر مع بنجر الذي رغم شكه وحذره فيما يخص اقتراحات ساموري التي اعتبرها قابلة للتفاوض على مناطق السودان فقط، إلا انه وافق على إمكانية إعطاء ساموري فرصة وسماع مقترحاته، بيد أنه في نظر بنجر فإن الحرب في

---

[1] **مارشاند**:Marchan: ولد مارشاند في سنة 1863 م، انخرط طواعية في جيش المشاة البحرية في سنة 1883، أصبح ملازما سنة 1887، شارك في عدة حملات عسكرية في إفريقيا الغربية، عاد إلى فرنسا سنة 1895 م، وفي سنة 1896 م، قاد بعثة عسكرية انطلقت من لوانغو على ساحل الكونغو إلى فاشودة على نهر النيل، استقال سنة 1904 م، وفي الحرب العالمية الأولى استدعي ليتولى مهام عسكرية إلى أن توفي بباريس سنة 1914 م. انظر في ذلك:
Grande Larousse encyclopédique T7, libraire Larousse, Paris, 1963, p 62.

[2] **بنجر Binger** : هو عالم ومكتشف ولد بستراسبورغ في 14 أكتوبر 1856 م، انخرط في الجيش في 15 أكتوبر 1874 في الفيلق العشرين للقناصة المشاة، عين في 10 أكتوبر 1880 م ملازما في الكتيبة الرابعة للمشاة البحرية، انتقل إلى السنغال كقائد لفصيلة تعلم خلالها لغة البامبارا وعدة لهجات أخرى، خلال مسيرته ألف عدة كتب أهمها "من النيجر إلى خليج غينيا ". انظر في ذلك:.Prevost (M) and Roman d'Amat :opcit, pp 498-499. كذلك أنظر: بن تركية: المرجع السابق، ص 143.

[3] Nazi Boni, opcit, p 249

ساحل العاج مستمرة ولا يمكن أن تتوقف وذلك لمنع تقدم ساموري ووقف عملية توسعاته وفتوحاته التي أصبحت تشكل تهديدا حقيقيا على المصالح الفرنسية في المنطقة.

تظهر شخصية جديدة على مسرح الأحداث ألا وهو المقدم مونتاي[1] الذي جاء قاصدا مدينة كونغ، وقبل وصوله إليها قام بقمع وحشي لسكان مدينة تياسالي في نهاية سنة 1894 م، كما قامت قواته بالتحرش بجنود الإمام ساموري في بداية سنة 1895م.

بدأت المفاوضات بين ساموري ومونتاي ولكنها لم تدم طويلا، فربما توقفت بسبب رفض ساموري لطلب مونتاي المتمثل في تسليمه كل أسلحته وكأنه يطلب منه الاستسلام، وهو ما أثار غضب ساموري ورفضه رفضا قاطعا هو وجنوده، وأوضح أنه يفضل الموت على الاستسلام، وأرسل ساموري رسالة إلى بنجر يخبره فيها بتفاصيل ما حدث.

توقفت المفاوضات بين الطرفين وتحولت الرغبة في السلام إلى مشاحنات وأحقاد، وواصلت القوات الفرنسية تحرشاتها بسكان المناطق التي كانوا يمرون بها، مما استفز السكان وثاروا ضد القوات الغازية وحدثت عدة اشتباكات أسفرت عن خسائر من الطرفين وأصابت مونتاي بجروح بليغة. وهكذا فشل العقيد مونتاي في مهمته بل وأكثر فقد ساءت العلاقات بينه وبين بنجر لأنه تجاوز التعليمات المقدمة له. وانتهت مهمته في مارس 1895 م، وهذه هزيمة أخرى تضاف لحساب القوات المستعمرة كما فشلت في التفاوض وإيجاد حل[2].

كانت التعليمات الجديدة المرسلة من باريس تقضي بمحاولة جديدة للتفاوض مع ساموري وإعادة الاتصال به، ففشل مونتاي في التفاوض لم يؤثر على رغبتها في إعادة ترتيب الأمور.

---

[1] **مونتاي Monteil**: ضابط ومكتشف ولد بباريس سنة 1855 م، قام برحلة كبيرة في إفريقيا الغربية بين سنتي 1890 - 1892 م. انطلق من سانت لويس عبر خلالها حوض النيجر ثم التحق ببحيرة تشاد ومنها صعد إلى طرابلس، أُرسل في سنة 1893 م إلى الكونغو الفرنسي لقيادة مراكز أعلى نهر اوبادغي، ثم انتقل سنة 1893 م إلى ساحل العاج لمقاومة ساموري، توفي سنة 1929 م. انظر في ذلك:.Grande Larousse encyclopédique T7 :opcit, p 486
كذلك: بن تركية: المرجع السابق، ص 143.

[2] Nazi Boni : opcit, p 249 كذلك أنظر: A le chatelier :opcit, p 248.

أما بالنسبة لساموري، فقد استمر في توسيع سيطرته على بعض المناطقكما قام ابنه سارانكي موري بالاستيلاء على مدينة واWa.

أعلن الإمام ساموري رغبته في فتح أسواقه للتجارة الأوروبية تعبيرا عن حسن نيته، وقد أرسل وفدا لمناقشة الأمر. ولكن الأمر الذي حدث هو أنه إما أن القوات الفرنسية أساءت فهم رغبة ساموري، أم أن الوفد لم يحسن إيصال الرسالة. فقد فهمت السلطات الفرنسية أن ساموري قد يقبل بسفير فرنسي مقيم في أراضيه وعلى هذا الأساس أرسلت فرنسا وفدا آخر بالمقابل للتفاوض على هذا الأمر.

وصل الوفد الفرنسي وعلى رأسه النقيب برولر، لكن ساموري رفض استقباله وأنكر تقديمه عرضا كهذا وقال انه لم ولن يستسلم ولن يقبل سفيرا فرنسيا مقيما لديه فذلك سيكون كوجود جاسوس يراقبه أو أنه هو سيكون كأنه تحت إمرة هذا الأخير، وهذا أمر مرفوض قطعا[1].

8. علاقة ساموري مع البريطانيين:

مرة أخرى يحاول الإمام ساموري استغلال التنافس الواقع بين الفرنسيين والانجليز لصالحه، وذلك بمحاولة التقرب من الانجليز وتحسين علاقاته بهم. حيث قام ساموري بإرسال رسالة إلى حاكم ساحل الذهب مع كمية من تبر الذهب كعربون محبة وصداقة، وعبر له عن رغبته في تحسين العلاقات بين الطرفين والعمل المشترك في مجال التجارة، وعن أنه مستعد للانسحاب من الأراضي الخاصة بهم مقابل حصوله على الأسلحة والذخيرة. وفعلا انسحب ساموري من مدينة واWA في يناير 1897 م لصالح الانجليز، وبالتحديد فرقة هندرسونHinderson التي شيدت بها قلعة، وتمكن ساموري إثر هذا الاتفاق من التزود بالأسلحة والذخيرة لجنوده[2].

(1) Nazi boni : opcit, p 253.
(2) Nazi boni : opcit, p 252.

كانت مدينة بونا تحت سيطرة سارانكي موري في نهاية 1896، وكانت هذه المدينة محطة أطماع الفرنسيين والانجليز معا. أما الانجليز، فبعد استقرارهم في مدينة واWA بحكم عقد السلاح مع ساموري، قاموا بإرسال طلب إلى سارانكي موري مطالبين إياه بالانسحاب من المدينة والسماح لهم بدخولها.

لم ينتظر الانجليز رد سارانكي موري بل انطلقوا واستقروا في بلدة دوكيتا القريبة منها، ومن هناك تواصلوا معه طالبين منه إيقاف كل نشاطاته في المنطقة، مما أغضب سارانكي موري والذي اعتبر أن هذا تجاوز في حقه وتدخل في شؤونه، فرد وبعث لهم طالبا منهم مغادرة القرية المقيمين فيها فورا.

حاول الانجليز تجاهل سارانكي موري والبقاء في القرية، لكنهم اضطروا في النهاية للانسحاب ليلة 29 مارس 1897 م والعودة إلى مدينة واWA،لكن سارانكي موري لحق بهم وحاصرهم في مدينة واWA وانقض عليهم في هجوم كاسح أبادهم فيه عن بكرة أبيهم وأخذ أسلحتهم ولقنهم درسا[1].

ومن جهة أخرى، قام سكان مدينة كونغ بخيانة ساموري وخرق المعاهدة المبرمة معه، والتي تنص على مرور قوافل الخيول الخاصة به من المدينة. حيث في إحدى المرات قام زعماء مدينة كونغ بالاستيلاء على قافلة خيول خاصة بالإمام ساموري كان قد اشتراها من بوبو ديولاسو ورفضت إعادتها له رغم محاولاته السلمية معهم، مما أغضب الإمام الذي قرر معاقبتهم خاصة بعد وقوع الرسالة التي أرسلها زعماء المدينة للفرنسيين بين يديه، مما ساعده على فهم ومعرفة خطاهم، فباغتهم بهجوم شرس يومي 15 و16 ماي 1897 م، أين قتل عدد من زعماءهم وأخضع الباقي بالقوة[2].

---

[1] (اليونسكو): المرجع السابق، ص 139. كذلكأنظر: Maurice Delafosse : opcit, p 348.

[2] Jean Suret Canal e: Afrique noire occidentale et centrale, opcit , p 269.

بعد الانتهاء من معاقبة سكان مدينة كونغ، اتجه ساموري لمواصلة فتوحاته، فتوجهت أنظاره نحو بوبو ديولاسو، لكن الفرنسيين كانوا له بالمرصاد فمنعوه من دخولها وردوه عن أعقابه.

فكر الفرنسيون بضرورة التقارب من جديد من ساموري مستغلين حادثتي مدينة وWA وكونغ من أجل الضغط عليه خاصة بعد سوء علاقته بالانجليز إثر حادثة وWA ، فحاولوا عام 1897 م إقناعه بضرورة ترك مدينة يونا لهم وأنه سيكون لمصلحته[1].

في نفس الوقت الذي كان فيه الفرنسيون يفكرون ويحاولون إقناع ساموري بضرورة ترك مدينة يونا لهم بعد فشل الانجليز في المرة الأولى، كان الانجليز يفكرون ويخططون للاستيلاء على المدينة هذه المرة دون أخطاء، لذلك أرسل الانجليز قواتهم لقطع الطريق عن الإمام ساموري بعد احتلالهم لبلدة يوندوكو في جويلية 1897 م.

كانت حدة المنافسة قوية على هذه المدينة، ففي نفس الوقت كان ينشط الفرنسيون باحتلالهم عدة مناطق [2].

أضيق الخناق على ساموري من الجهتين مما دفعه إلى التفاوض مع الفرنسيين عن إمكانية التخلي لهم عن مدينة يونا، وهو ما سرَّ الفرنسيين كثيرا.

تقدمت القوات الفرنسية قاصدة يونا بقيادة النقيب برولو، لتجد أن سليمان أحد قادة الإمام ساموري قد احتلها مما اضطره للانسحاب. وفي طريقه، التقى بابن ساموري سارانكي موري على رأس ثمانية ألاف محارب فرافقه إلى المدينة، وبينما هما يستريحان في إحدى القرى بضواحي المدينة قريبين من بعضهم البعض، وقعت محادثة أو ربما خلاف تحول إلى مشاجرة ثم إلى معركة ضارية في 20 أوت 1897، تحولت فيها قوات النقيب الفرنسي برولو

---

(1) Ibid : p 269 Nazi boni : opcit, p 253 كذلك أنظر:
(2)Nazi boni : opcit, p p 253-254.

إلى بركة من الدماء، وهوما تأسف له ساموري حيث أنه لم يرد أبدا الوصول إلى هذه النتيجة[1].

12. مفاوضات أكتوبر 1897 م:

واصل ساموري مساعيه السلمية دائما، وهذا ما أدركه الفرنسيون، فحاولوا استغلال هذه النقطة لصالحهم. فتشكلت بعثة برئاسة نيبو بتاريخ 28 ماي 1897 م، والتي انطلقت باتجاه بلدة ساناماكورا يوم 02 جوان 1897، ووصلت إلى البلدة في سبتمبر من نفس السنة، وعلمت حين وصولها أن الإمام ساموري قد غادر البلدة نحو عاصمته الجديدة باباكالا فراحت وراءه حتى وصلته في شهر أكتوبر من نفس السنة[2].

رحب ساموري بنيبو وأفراد بعثته واستقبلهم استقبالا يليق بهم وبه، وقدم اعتذاراته بشأن حادثة يونا مشيرا إلى مسؤولية الطرفين في الحادثة، وعبر أيضا عن رغبته في تهدئة الأمور وإرساء السلام بين الطرفين ووقف إراقة الدماء، وهو ما شجع نيبو أن يتحدث ويقدم عرضه والذي تشكل في معاهدة تريث ساموري في توقيعها، وذلك من الحيطة والحذر وعدم الثقة بالفرنسيين، مما جعل نيبو يفهم استحالة إقامة سلام مع ساموري ويخبر الحاكم العام للسودان بذلك وبأنه مع ساموري لا يجدي نفعا إلاالحرب ونيران المدفعية[3].

13. حصار وسقوط سيكاسو 01 ماي 1898:

تتسارع الأحداث ويصبح الوضع بالنسبة لساموري أكثر تعقيدا، خسارة تلو الأخرى، فهاهي مدينة يونا تسقط بيد الانجليز، وهاهو ساموري ينسحب ويفقد مناطق نفوذه التي تساعده في نقل البضائع والأسلحة والاختباء إن لزم الأمر.

---

(1) Jean Suret Canale: l'Almamy Samouritouré, opcit, p 250 كذلك أنظر: Maurice Delafosse : opcit, p 348.

(2)Nazi boni : opcit,p p 254-256.

(3)Ibid : p 256.

ساموري لن يسكت وسيحاول استعادة مناطقه خاصة وأن الأمر أصبح مسألة حياة أو موت. ومن 12 إلى 27 فيفري 1898 م، قام ساموري بضرب حصار على مدينة كونغ طمعا في استعادتها، وقد خصص لذلك ما يقارب الثلاثة ألاف محارب. دام الحصار أسبوعين، اضطر خلالها أفراد حامية مدينة كونغ إلى ذبح الخيول بسبب الجوع، كما نفذت المياه مما اضطرهم إلى استهلاكها بالقانون جرعة جرعة، وبالتالي أصبحوا في وضع لا يحسدون عليه. لكن ما لبثت أن وصلت المساعدات والتي دخلت الحامية بعد معركة ضارية مع جنود ساموري الذي اضطر في النهاية إلى رفع الحصار والانسحاب[1].

خسر الإمام ساموري العديد من أراضيه إثر مواصلة الزحف الفرنسي، وتقلصت مساحة إمبراطوريته شيئا فشيئا، ووجد نفسه محاصرا من كل الجهات، الفرنسيون من جهة والانجليز من جهة أخرى، بالإضافة إلى الخيانات الداخلية من بعض أتباعه وبعض زعماء القرى المجاورة.

قرر ساموري عدم الاستسلام ومواصلة الحرب والجهاد حتى النهاية، فحشد قواته البالغ عددها اثنا عشر ألف جندي، وكلف مساعده بلايلي بمراقبة الحدود الغربية، وكلف سارانكي موري ومن معه بحماية الحدود الشمالية، بعد أن اجمعوا معه على الصمود وعدم التراجع، وخاضت قوات ساموري عدة معارك ضارية سواء من الجهة الغربية أو من الجهة الشمالية، منها من انتصر فيها ومنها من انهزم، فقد تصدت قوات العدو لهجوماته بشراسة[2].

وفي الجهة الأخرى وبالتحديد في مملكة سيكاسو، تولى العرش بامبا بعد وفاة تيبيا، وقد كانت حوله شكوك وإشاعات عن تحالفه مع الإمام ساموري مما جعل الفرنسيين يعلنون

---

[1] A le chatelier : opcit, p 250

[2] Jean Suret Canale: l'AlmamySamorytouré, opcit, p 250.

عليه الحرب والعداء، حيث كانوا قد قرروا التخلص من هذه المملكة منذ عهد تيبيا أي قبل وصول بامبا إلى الحكم[1].

رأى الفرنسيون ضرورة إنهاء أمر سيكاسو وملكها بامبا والتفرغ لساموري.ولم يكن بامبا بعيدا عن هذه الأخبار، حيث علم بالخطر المحدق به فرفض أي تعامل مع الفرنسيين.وقد كان آنذاك العقيد أوديود هو من يتولى مهمة القضاء على سيكاسو.

أرسل الفرنسيون إلى بامبا بعثة برئاسة موريسون يطلبون منه السماح لهم بإنشاء حامية لهم في عاصمته سيكاسو، فكان رد بامبا هو الرفض وأفهمهم بصريح العبارة أنهم لن يدخلوا إلى سيكاسو إلا بعد موته.

قررت القوات الفرنسية بقيادة أوديود ضرب حصار عسكري على العاصمة سيكاسو، وقد بدء الحصار يوم 16 أفريل 1898 م ، القوات بلغ تعدادها ألف وخمسمائة رجل وبعض من قطع المدفعية، والتي بفضل نيرانها فتحت ثغرات في المدينة تمكن من خلالها جنود أديود من دخول المدينة[2].

دام الحصار أسبوعين كاملين، لم تستسلم خلالهما المدينة لولا نيران المدفعية.وبعد دخول القوات الفرنسية مدينة سيكاسو، واجهتهم مقاومة عنيفة من الملك بامبا وجنوده، حيث أصيب الملك بامبا خلال الاشتباك بجروح بليغة لكنه رغم ذلك لم يستسلم.

في الفاتح من ماي 1898 م، عندما أدرك الملك بامبا أنه لا جدوى من المقاومة ومن أنه قد هزم وجنوده، أطلق النار على نفسه وأنهى حياته بيده بدلا من أن يقتله الأعداء أو يحدث الأسوء وهو أن يقع بين أيديهم أسيرا. وهكذا تنتهي إحدى المقاومات الباسلة وتخسر السودان إحدى زعمائها العظماء، وتسقط سيكاسو بين أيدي الأعداء، ويعجز ساموري عن

---

(1) Ibid, p 250.

(2) A le chatelier : opcit, pp 250-251 كذلك: الهام محمد على الذهني:جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 169

فعل شيء لها وهو ما آلمه كثيرا، وبهذا تزداد قوة ونفوذ القوات الاستعمارية الفرنسية في السودان الغربي أكثر فأكثر[1].

14. نهاية مقاومة ساموري توري:

أصبحت القوات الفرنسية متفرغة تماما لساموري توري بعد سقوط سيكاسو، حيث بقي هدف واحد فقط وتصبح المنطقة ملكا لهم. تحركت القوات الفرنسية في كل الاتجاهات وبدأت تلاحق أتباع ساموري وتطردهم من كل مكان، بدءا من مدينة كونغ متجهين نحو الغرب. وقد نجحت بإلحاق هزائم كبيرة بقوات ساموري مما جعله يدرك أنه بعد سقوط سيكاسو وتزايد نشاط الفرنسيين، لم تعد خططه مجدية، كما أنه قد خسر الكثير من قواته وأتباعه، وبما يملك لن يستطيع الصمود وسيلقى مصرعه حتما.

فكر ساموري ووجد أن الحل الوحيد الذي بقي أمامه هو الاستنجاد بحلفائه ببلاد توما، فتحرك رفقة ما تبقى من أتباعه في الثالث من شهر جوان 1898. وفي 14 جوان، وصل إلى قرية سيغيلا وكان يفكر في استخدام جسر فيريدوغو للعبور والالتحاق بتوما، أين وجد نفسه محاطا بالقوات الفرنسية التي كانت تطارده.

وقعت معارك ضارية بين الفريقين أحالت منطقة دوري إلى بركة دموية في شهر جويلية من عام 1898 م، تكبد فيها كلا الطرفين خسائر جسيمة ما بين قتيل وجريح[2].

أ. المفاوضات الأخيرة:

بعد ما حدث في منطقة دوري، اتجه الإمام ساموري نحو الجنوب نحو الغابات الاستوائية، فقد وجد نفسه محاصرا من كل الجهات. كان ساموري مرهقا للغاية، تكاد مؤونته

---

[1] A le chatelier : opcit, p 251. كذلك Jaques Meniaud :sikasso, opcit pp 195-196.
[2] A le chatelier : opcit, p 251.

تنفذ وخطر الجوع يهدد أتباعه، فقام بتوزيع قواته في كل الجهات من الغابات الاستوائية بحثا عن شيء يؤكل ولم يعد قسم منها، مما جعله يخسر المزيد من قواته ويزداد قلقه.

أدرك ساموري بشكل واضح أنه في وضع لا يحسد عليه، وأن مواصلة المقاومة في هذه الحالة يعتبر انتحارا جماعيا، فقرر التفاوض من جديد وقدم آخر عروضه، فأرسل إلى العقيد لارتنغ الذي كان على رأس القوات الفرنسية آنذاك طلبا يقضي بعودته إلى مسقط رأسه سنانكورو. وافق العقيد لارتنغ على طلب ساموري ولكن بشروط قاسية ومذلة تمثلت في تجريده من كل أسلحته وتسليم أبنائه للفرنسيين، وبالأخص ابنه سارانكي موري الذي كانت السلطات الفرنسية حاقدة عليه بسبب ما ألحقه بها من هزائم سابقا[1].

كانت شروط العقيد لارتينغ مذلة وقاسية وكان رفض ساموري لها أمرا متوقعا، حيث توقع العقيد لارتينغ رفض ساموري، فقام باتخاذ الإجراءات اللازمة لإجباره على الاستسلام بأية وسيلة كانت، فكلف الملازم الأول ويلفيل وفرقته بمهاجمة ساموري عند عبوره نهر كافالي، وقام بسد وغلق كل الممرات والمنافذ في وجه ساموري وخاصة الطرق المؤدية للغرب والجنوب كي يمنعه من طلب النجدة أو الالتحاق بحلفائه.

كما كلف النقيب غورو [2] بمهمة محاصرة ساموري والقبض عليه. أما بالنسبة لساموري، فقد كان مصمما على مواصلة المقاومة ورفض شروط العقيد لارتينغ التي اعتبرها إهانة له، وهي بالفعل كانت إهانة مقصودة من هذا الأخير.

---

[1] الهام محمد على الذهني: جهاد الممالك الإسلامية، المرجع السابق، ص 161، كذلكNazi boni :opcit, p 258

[2]**غورو gouroud**: ولد بباريس سنة 1867، تخرج من المدرسة العسكرية بسانت سير سنة 1888 م، برز كضابط في السودان عندما تمكن من أسر ساموري صباح يوم 29 سبتمبر 1898، ورقي إلى رتبة عقيد سنة 1907، شارك في الحرب العالمية الأولى ثم أصبح حاكما عسكريا لباريس سنة 1923 م، توفي سنة 1946.

انظر: بن تركية: المرجع السابق، ص 153.

تحركت القوات الفرنسية قاصدة معسكر ساموري، وفي الطريق تصدت لها قوات ابنه سارانكي موري وحدث اشتباك حاد بين القوتين بتاريخ 9 سبتمبر 1898 م، ونجح سارانكي موري في إجبار القوات الفرنسية على التراجع.

استغل ساموري فرصة تراجع القوات الفرنسية لعبور نهر كافالي نحو توما، إلا أنه وجد نفسه محاصرا من جديد فاضطر للتراجع وأقام معسكره في منطقة غيليمو لآخر مرة قبل القبض عليه[1].

ب. القبض على ساموري[2]:

تحركت فرقة النقيب غورو نحو منطقة غيليمو بهدف القبض على ساموري. وزّع النقيب المهام على جنوده، وحوالي الساعة الثامنة صباحا نجحت فرقة الرقيب برانيير من التسلل إلى معسكر ساموري دون أن تثير انتباه حراس ساموري الذين كانوا يتمركزون في الناحية الشرقية وهم دخلوا من الجهة الغربية.

زحف هؤلاء حتى وصلوا مقر الإمام ساموري الذي كان منشغلا بقراءة القرآن، وانتبه لوجودهم متفاجئا، فأسرع إلى إسطبلات الخيل بحثا عن حصانه، إلا أن بعض الجنود انتبهوا له ولحقوا به وتمكنوا من القبض عليه، وكانت قد صدرت الأوامر بعدم قتله لأن قتله سوف يؤدي إلى إثارة اضطرابات في السودان[3].

اكتفت القوات الفرنسية بأسر ساموري وإذلاله والاستيلاء على كل ما يملك من أسلحة وذخيرة وخيول، وذاق ساموري كل أنواع الذل والمهانة التي تتنافى مع شعارات الإنسانية التي كانت ترفعها السلطات[4].

---

[1] A le chatelier : opcit, p 251 .

[2] أنظر: الملحق رقم 09، ص203.

[3] Nazi boni : opcit, p 261.

[4] Ibid, p 261.

نقل ساموري إلى سانت لويس أين حاول الانتحار بطعن نفسه بالسكين لكنه لم ينجح في ذلك فقط جرح نفسه جرحا خفيفا، وبعدها نفي إلى الغابون مع ابنه سارانكي موري ومساعده موريفنغ ديان وزوجته سارانكيني، وتوفي هناك عام 1900 عن عمر يناهز 69 عاما متأثرا بالالتهاب الرئوي[1].

هكذا انتهت أطول سلسلة حملات ضد عدو واحد في تاريخ الغزو الفرنسي للمنطقة السودانية. وواصل المقاومة في الغرب السوداني أحمد سيكوتوري وهو حفيد ساموري توري، إلى أن أصبح رئيسا لجمهورية غينيا بعد حصولها على استقلالها سنة 1958 م، وتعتبر أولى المستعمرات الفرنسية التي حصلت على استقلالها[2]. وبذلك فإن جهود ساموري توري البطل رغم نهايته المأساوية وجهود الأبطال الذين سبقوه من أمثال عمر الفوتي وأحمدو شيخو ومحمدو لامين لم تذهب سدى، فقد استقلت السودان في نهاية المطاف وعادت إفريقيا للإفريقيين.

---

[1] Maurice Delafosse : opcit, p 348 كذلك أنظر: A le chatelier : opcit, p 252 وكذلك انظر:
عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص 139

[2] (اليونسكو): المرجع السابق، ص 139.

الخـــاتمـــــة

من خلال ما تقدم في هذا البحث، توصلت إلى مدى إستراتيجية وأهمية موقع غرب إفريقيا وما تزخر به المنطقة من ثروات عديدة، ما جعل المستعمر مصرا على البقاء فيها وما جلب أنظاره وأنظار غيره أساسا هو ذلك.

ومن يتعمق في دراسة تاريخ القارة السمراء، يكتشف فيها مغريات كثيرة. فإذا ما توجهت أنظارنا إلى غرب إفريقيا، فإننا نرى في البداية شعبا زنجيا أسود البشرة يعيش حياة بسيطة مقارنة بغيره، ونرى أراضي شاسعة وصحاري قاحلة حرارتها مرتفعة وأدغال موحشة، فنخشى التغلغل فيها ونبقى مستغربين كيف يحصل هؤلاء على قوت يومهم وهذا ما كان الحال عليه، حتى تشجع بعض المكتشفين الأوروبيين، منهم الإسبان ومنهم البرتغال، وخاطروا وتغلغلوا في أدغال إفريقيا، ليكتشفوا الغموض وتتغير النظرة بعدما شاهدوا بريق الذهب الأبيض والأسود فيها. ليس ذلك فقط، بل وجدوا فيها ما لم يكونوا يملكونه في بلدانهم، ثروات لا تعد ولا تحصى،وهنا أصبحت القارة المظلمة والموحشة كمغارة علي بابا مليئة بالكنوز ووجهة للطامعين والهاويين والمستكشفين والمستعمرين من كل جهة، ومنهم الفرنسيون أصحاب التاريخ الاستعماري العريق في كل من أمريكا، أوروبا، إفريقيا وآسيا.

ظن الفرنسيون أن مهمتهم في استعمار منطقة غرب إفريقيا لن سيكون في غاية السهولة، وظنوا أن إخضاع سكانها سيكون أمرا محسوما، ففي نظرهم هم مجرد زنوج متخلفين لا يعرفون معنى الحرية، لكنهم مالبثوا أن اكتشفوا أن الأمر ليس بهذه البساطة، وخاب أملهم عندما وجدوا أمامهم مقاومات عنيفة من قبل زعماء أفارقة أمثال ساموري توري. حيث لإخضاعهم، لجأت السلطات الفرنسية إلى استخدام القوة العسكرية والعنف بكل أشكاله، مما بين لنا مدى وحشية الاستعمار ومدى معاناة الشعوب الإفريقية منه، بدءا باحتلال أراضيهم وممارسة تجارة الرقيق وعقد مؤتمر برلين لتقسيم أملاكهم، وصولا إلى تعنيفهم وإحراقهم بنيران المدافع. ولقد استخدمت فرنسا في مهمتها التوسعية هذه أشخاصا لطالما عُرفوا بالقسوة

والعنف أمثال فيدهرب وأرشيناد وغاليني وغيرهم، ممن وثقت بهم وبوحشيتهم التي ساعدتها في تحقيق أهدافها. وقد عمل هؤلاء الشخصيات على تحقيق المجد لهم ولفرنسا، فمنهم من أراد تخليد اسمه ووضع تاريخ له شخصيا حتى عن طريق الخروج عن تعليمات الحاكم العام الفرنسي بالقمع والذبح والعنف الشديد اتجاه السكان والأهالي الأفارقة، والتي نتج عنها مجازر فضيعة يعجز اللسان عن وصفها خاصة ضد النساء والشيوخ والأطفال الأبرياء العزل، وذلك بسبب حقدهم الشديد على زعماء المقاومات وعدم قدرتهم على الوصول إليهم والتخلص منهم، فكانوا يفرغون غضبهم في الأهالي العزل وربما لاستفزاز الزعماء واستدراجهم للدفاع عن الأهالي.

كانت السياسة العسكرية الاستعمارية حقيرة راح ضحيتها آلاف من الأهالي، وإن دل هذا يدل على شيء فإنما يدل على فضاعة الاستعمار بشكل شامل والاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا بشكل خاص، فلا يمكن لمرتكب هذه المجازر والجرائم ولقاتل النساء والأطفال أن يدعي نشر الحضارة والرقي، فالحضارة والتطور لا يكون بالذبح والقتل وانعدام الضمير. ومن هنا فإننا نتوصل إلى مجموعة من النقاط والاستنتاجات التي تلخص موضوع بحثنا وهي كالتالي:

1. ساهمت الكشوفات الجغرافية في دعم الحركة الاستعمارية في منطقة غرب إفريقياإلى حد كبير، حيث تم عن طريقها فك الغموض عن المناطق المجهولة والتي كانت مهابة من طرف الأوروبيين.
2. برز الاستعمار الفرنسي كأكبر القوى الامبريالية في غرب إفريقيا على غرار استعماره لشمال القارة وجنوبها، وكذلك لا ننسى قارة أمريكا وأوروبا وآسيا.
3. هناك عوامل عديدة ساعدت الغزاة الفرنسيين على تحقيق أهدافهم واحتلال كامل غرب إفريقيا، نذكر منها قرارات مؤتمر برلين 1884-1885م الذي أقر واعترف

بسيادة كل دولة أوروبية على المناطق الواقعة تحت سيطرتها وهذا ما نفذته فرنسا وما كان يتماشى مع أهدافها.

4. وجود توازن بين الاستعمارين الفرنسي والبريطاني، وهذا ما كانت تبحث عنه بريطانيا فكان ظهور فرنسا كدولة قوية من الأمور التي تتناسب معها، ومن هنا نفسر رفضها تقديم مساعدات لساموري وإقامة علاقات معه إلا في حدود معينة لاجتناب أي اضطراب في علاقتها مع فرنسا.
5. بقدر ماكانت قرارات مؤتمر برلين مجحفة بحق الأفارقة وذلك بإعطاءه شرعية الاحتلال للدول الأوروبية، بقدر ما ساهم في تخليص الأفارقة من أكبر طامة كانوا يعانون منها وهي تجارة الرقيق، حيث قام المؤتمر بإلغاء ومنع تجارة الرقيق في إفريقيا.
6. التفوق العسكري لفرنسا واعتمادها على الأسلحة الحديثة والمتطورة مقارنة بالمقاومين الأفارقة التي كانت معظم أسلحتهم عبارة عن بنادق بسيطة.
7. نجاح السياسة الفرنسية في استمالة بعض الأفارقة وتجنيدهم في صفوفها، مما سهل لها عملية التنقل داخل الأدغال والغابات،لأنهم يعرفون كل مداخل ومخارج المناطق وهكذا تتفادى الكمائن والمخاطر.
8. اعتماد فرنسا على سياسة "فرق تسد"، حيث عمدت إلى زرع الفتنة بين الزعماء الأفارقة وخلق عداوة بينهم وذلك لتضمن عدم وقوع التحالف ضدها. كما استغلت الاختلاف الديني بين الجماعات الوثنية، فاستمالت الوثنيين وحرضتهم ضد المسلمين فأصبحوا يحاربون الأفارقة المسلمون بدلا من محاربة الغزاة.
9. بروز مجموعة من الزعماء الأفارقة الذين قادوا حركات جهادية ضد الغزاة أمثال الحاج عمر الفوتي وابنه أحمد وشيخوا ومحمدو لامين، والذين رغم عجزهم عن التخلص من الغزاة وطردهم من بلادهم بشكل نهائي، إلاأنهم ادخلوا الرعب في صفوفهم وكانوا مثل الكابوس في حياتهم.

10. يعود فشل الزعماء الأفارقة في مقاومتهم إلى أسباب عدة أبرزها نقص الإمكانيات منها العسكرية كالأسلحة المتطورة التي كان يستخدمها العدو، وكذلك نقص المؤونة كالغذاء والأدوية، بالإضافة إلى الخيانات الداخلية وتخلف الحكام الوطنيين عن الدعم وتقديم المساعدة ضد الغزاة.

11. عمدت الدول الاستعمارية خاصة فرنسا إلى طمس معالم الشخصية الإفريقية والقضاء على أهم مقوماتها المتمثلة في الدين، اللغة، العادات والتقاليد، وذلك ليسهل لها التحكم فيهم. فالإنسان ضعيف شخصية يصبح كقطيع الأغنام، يسوقه الراعي كما يرغب.

12. مارست فرنسا سياسة التمييز العنصري مما خلف شعورا بالنقص في نفوس الأفارقة الذي ربما بقي أثرهإلى يومناهذا. فقد عمدت إلى ترسيخ فكرة استعلاء الرجل الأبيض وتمجيده، وجعلتهم يعتقدون أن لون بشرتهم عيب ونقص فيهم، مما أثر بشكل سلبي على نفسياتهم وجعلهم يحتقرون أنفسهم فعلا، وربما بقي هذا الشعور عند بعض الزنوج راسخا حتى الآن، ولم يدركوا بعد أن العيب والنقص ليس فيهم بل في عقول الفرنسيين والأوروبيين على حد سواء.

على ضوء ماتقدم يمكننا التأكيدأن القارة السمراء بشمالها وجنوبها، بشرقها وغربها، لها تاريخ عريق لا يمكن إنكاره، وكانت لها حضارات وثقافة قبل مجيء الأوروبيين إليها. كما يمكننا التأكيدأن الاستعمار يأتي ليدمر ولا يمكنه أن يبني أبدا ،واستعمار الشعوب شيء سيء جدا وهوتعدي على حقوقها وخصوصياتها وأملاكها. ويمكننا التأكيد كذلك أن مؤتمر برلين كان كحكم الإعدام على إفريقيا حيث أعطى للدول الأوروبية شرعية الاحتلال، وبذلك يكون قد شرّع كل ما ارتكب من مجازر في حق الأفارقة. كما يمكننا التأكيد كذلك أن إفريقيا ولدت أبطالا تتشرف بهم وبانجازاتهم أمثال ساموري توري.

حان الوقت لشعوب القارة الإفريقية أن تحقق وحدتها وتثبت كيانها من أجل الخروج من قيود الاستعمار الذي لا يزال يكبلها، وبالتحديد حان الأوان لشعوب إفريقيا جنوب الصحراء

أن يخرجوا من قوقعتهم ويتحدوا ليواجهوا الصعاب ويواكبوا العولمة من أجل أن تحيا هذه الشعوب كما تستحق وكما تريد حياة كريمة ومحترمة، وأن يفتخروا بأرضهم وتاريخهم ولونهم وعرقهم، وبذلك فقط سيتمكنون من دحض وتفنيد كل مايقال عنهم وكل ما لا أساس له من الصحة. كما أدعوا الباحثين والمؤرخين العرب إلى كتابة تاريخ هذا الجزء الغامض من إفريقيا والذي كانت أغلب الكتابات حوله من طرف الأوروبيين الذين كتبوا ما يحلوا لهم وما يتماشى مع معتقداتهم وأفكارهم. لذلك أرى أن يهتم العرب بكتابة تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، وأن يبحثوا عن الحقائق بأنفسهم دون الاعتماد كثيرا عن ما كتب من قبل من طرف الجنرالات والمستكشفين الأوروبيين، ففي النهاية هؤلاء كانوا جزءا من الاستعمار وجزءا من المعاناة التي لحقت بالقارة.

وفي الأخير نختم بحثنا بمقولة كوامي نكروما الشهيرة عن الاستعمار وآثاره حيث قال:

«... إن الاستقلال والوحدة أمران متلازمان، ولابد في عملية مجابهة الاستعمار الجديد وحدة القارة الإفريقية، فعلاج جميع العلل الإفريقية من الفقر والاستعمار وعدم التوحيد والخلافات الثقافية واللغوية إنما يتمثل في وحدة سياسية وجنس إفريقي متحد في ظل حكومات اتحادية واحدة».

قائمـــــة الملاحـــــق

الملحق رقم 01: الموقع الجغرافي لغرب إفريقيا

المرجع:

إلهام محمد على الذهني: جهاد الممالك الإسلامية ضد الاستعمار الفرنسي (1850-1914)، المرجع السابق، ص 200

الملحق رقم02:خريطة موقع غينيا

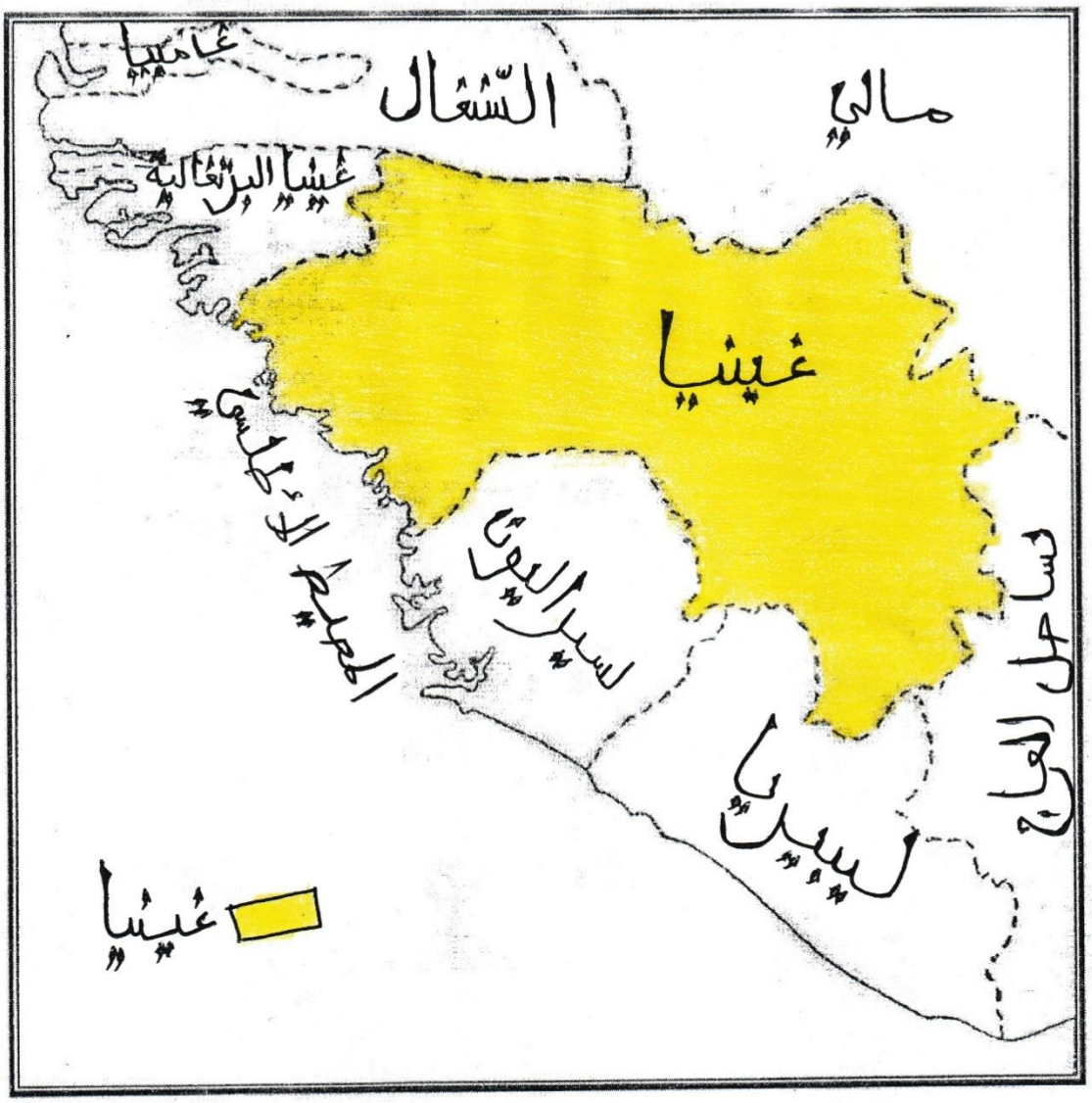

المرجع:

محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، مصر،2000، ص 19.

الملحق رقم 03: التغلغل الأوروبي في غرب إفريقيا

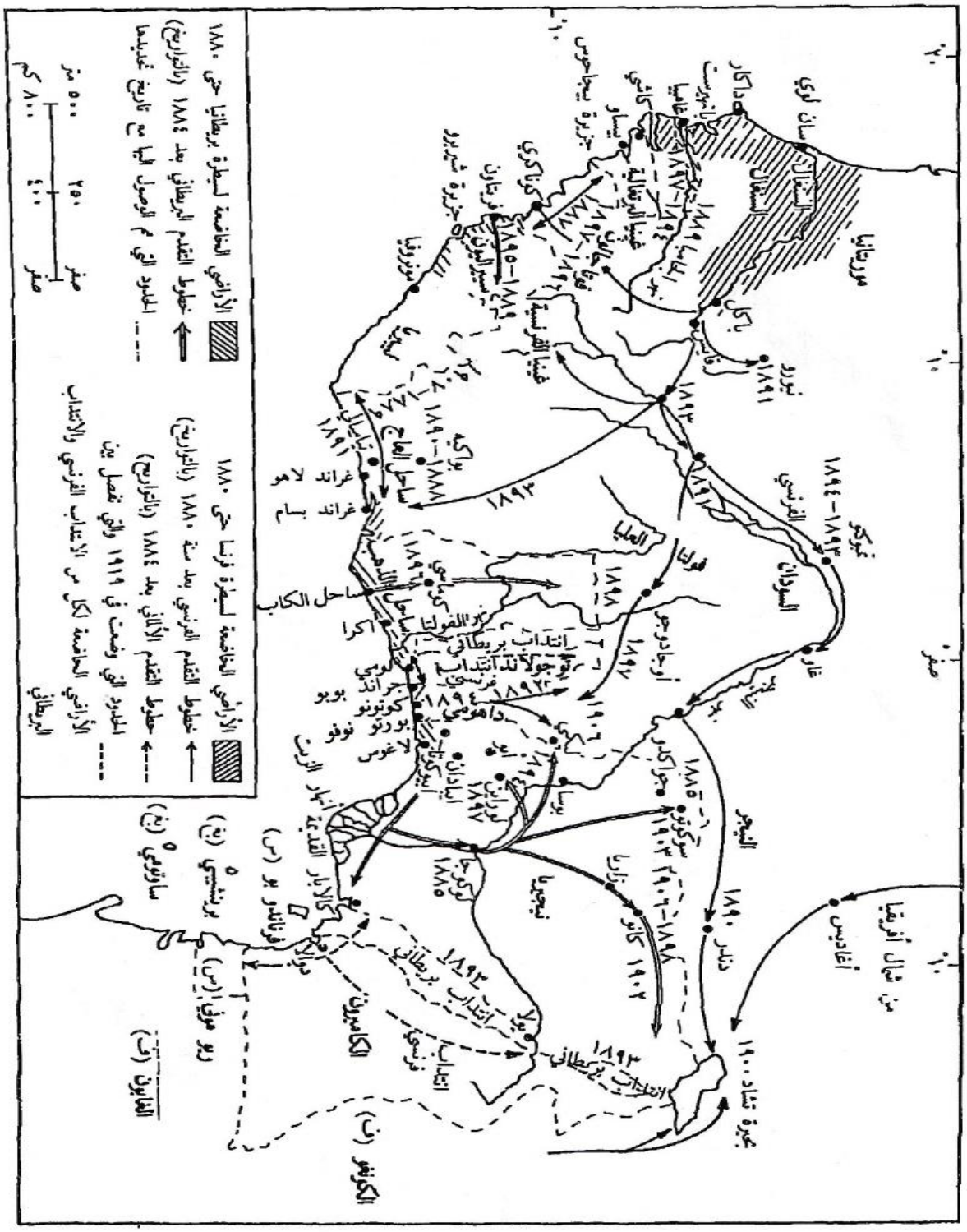

المرجع:

اليونسكو :تاريخ إفريقيا العام، المجلد السابع، ص 132.

الملحق رقم 04: مراحل احتلال غرب إفريقيا

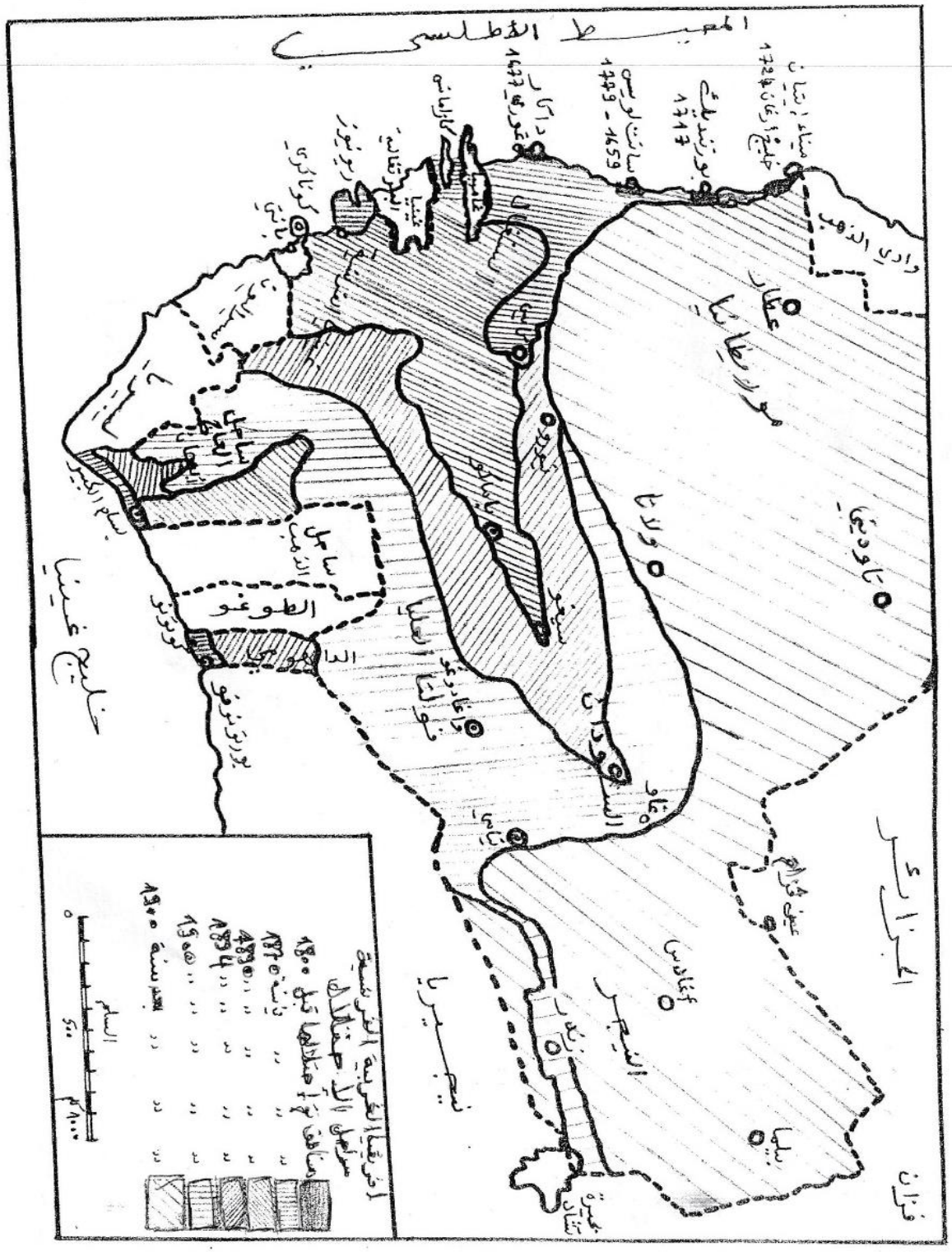

المرجع:

بن تركية: المرجع السابق، ص 79.

الملحق رقم 05: صورة تمثل الإمام ساموري توري

المرجع:

بن تركية: المرجع السابق، ص 179.

الملحق رقم06: ممتلكات ساموري توري في سنتي 1885 و1896

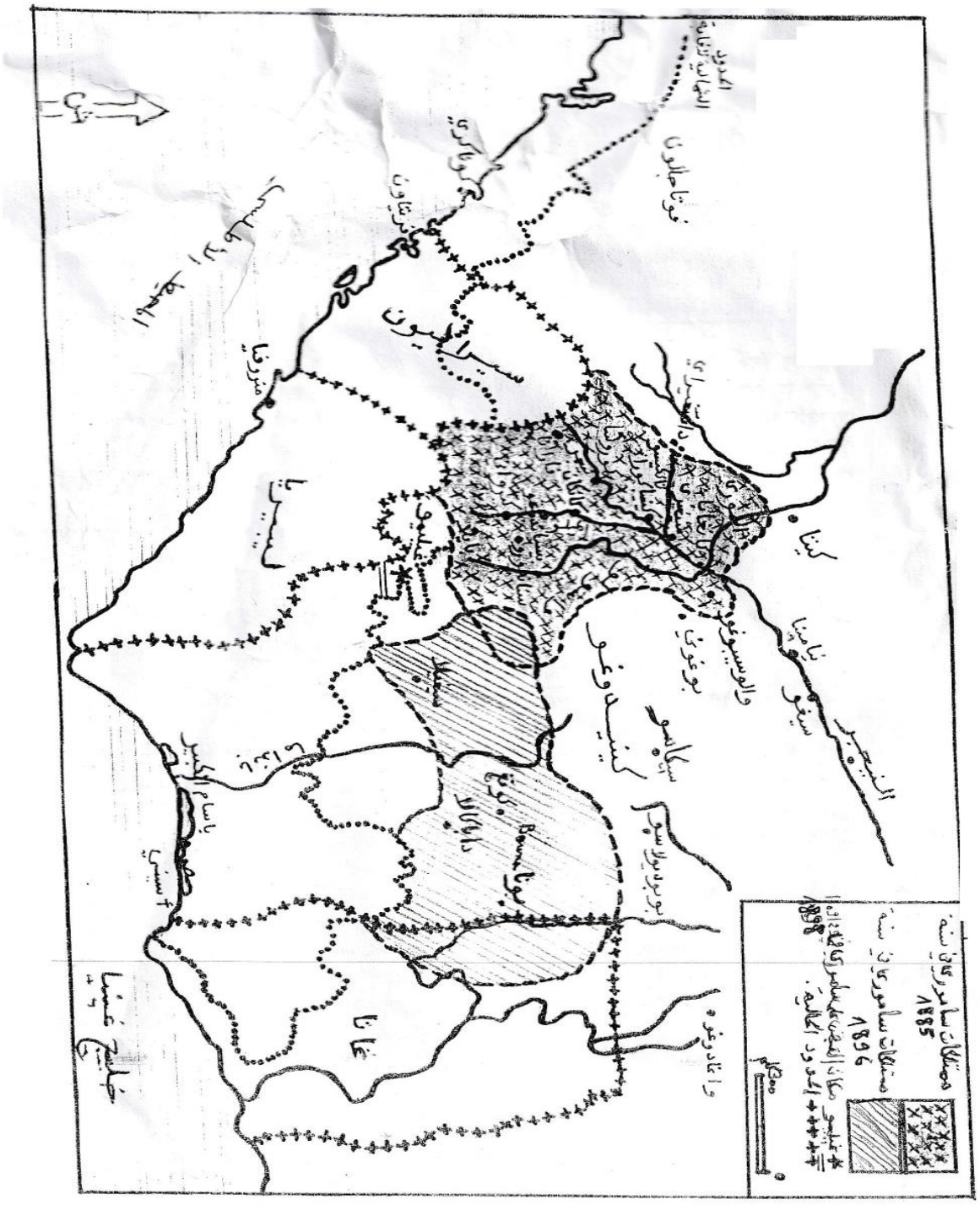

المرجع:

Jean Suret Canale :Afrique noire occidentale et centrale, géographie, civilisation , opcit, , p 270

الملحق رقم 07: مقاومة الشيخ احمد بن الحاج عمر

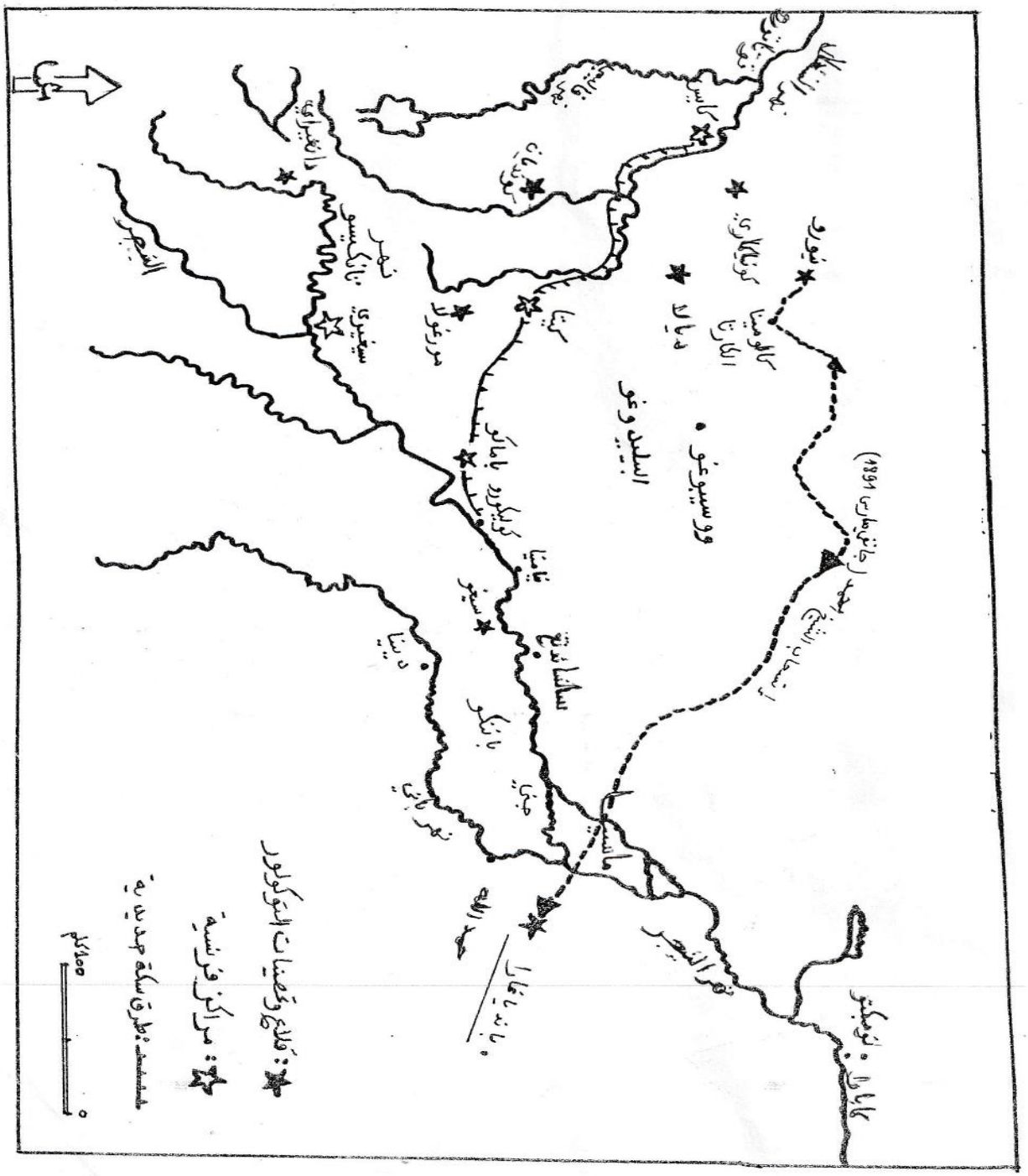

المرجع:

Jean SuretCanal :Afrique noire occidentale et centrale, opcit, p264.

الملحق رقم 08: مقاومة محمد الأمين زعيم الساراكولي

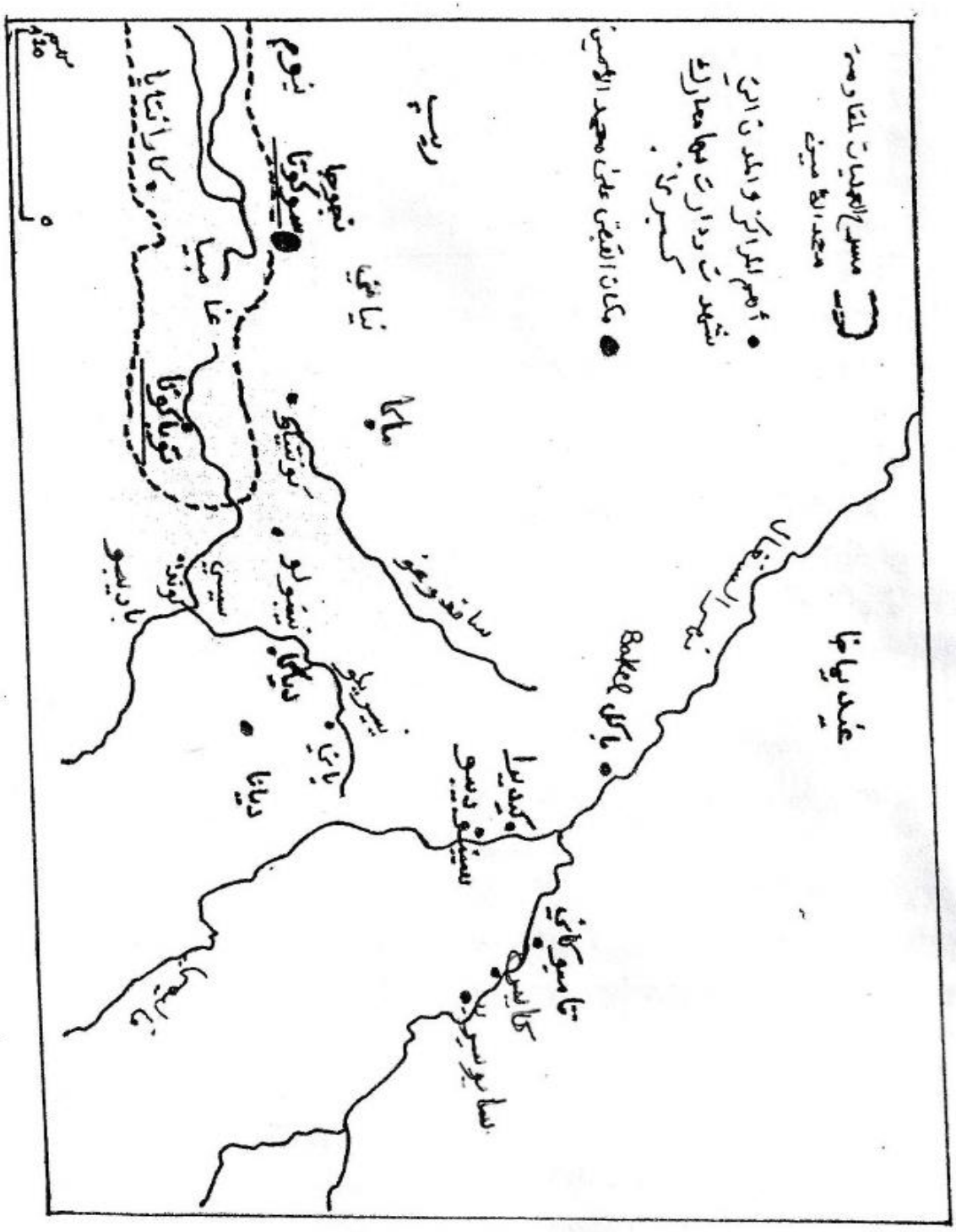

المرجع : Nazi Boni : Histoire Synthétique de l'Afrique résistance, opcit, p 128

الملحق رقم 09: صورة اعتقال ساموري توري 1898

المرجع:

اليونسكو: تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق، ص 136

قائمـــة المصـــادر

والمراجـــع

أ- المراجع باللغة العربية:

1) المصادر:

1. ابن أبي زرع الفاسي أبو عبد الله محمد ابن عبد الحليم: الأنيس المطراب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مجلد بالمكتبة الوطنية، الجزائر، 1972.
2. ابن الوردي زين العابدين بن عمر: تتمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق أحمد رفعت البدراوي، ط 01، بيروت، لبنان، 1970.
3. ابن خلدون عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1979.
4. الإصطخري أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفاسي: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العالي الحيني، دار القلم، مصر، 1961.
5. بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: لينة أمين فارس ومنير البعلبكي، ط 05، دار العلم للملايين، بيروت، 1968.
6. البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد: المسالك والممالك، ج 02، تحقيق أدريان فان كيوفن وأندري فيري، الدار العربية، تونس، 1992.
7. التونسي محمد بن عمر: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل عساكر وآخرون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، مصر، 1965
8. الزياتي أبو القاسم: الترجمانة الكبرى، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب،(د ت).
9. السعدي عبد الرحمان: تاريخ السودان، طبعة هوداس، فرنسا، 1964.

10. الفشتالي أبو فارس عبد العزيز: مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفا، تحقيق: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط، المغرب، 1972.

11. فيشر هربرت: تاريخ أوروبا في العصر الحديث، ترجمة: أحمد نجيب وهاشم وديع الضبع، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1984.

12. القلقشندي أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج 05، المؤسسة الوطنية المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

13. النصيبي ابن حوقل: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1979م.

14. الوزان الحسن:وصف إفريقيا، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، ط02، ج 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

2) المراجع:

15. ابراهيم عبد الله عبد الرزاق والجمل شوقي عطا الله: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مصر، 1988.

16. ابراهيم عبد الله عبد الرزاق: المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، المجلد الوطني للثقافة والإعلام،الكويت ،1989م.

17. ابراهيم عيسى علي: الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية شمال قناة السويس، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 2000م.

18. ابراهيم محمد عبد الفتاح: إفريقيا من مصب الكونغو إلى منابع النيل في هضبة البحيرات، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، 1968م

19. أرلوند توماس: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن محمود حسن وآخرون، مكتبة النهضة المعربة، مصر، 1970.

20. إسحاق محمد عبد العزيز: نهضة إفريقيا، تقديم: عبد المالك عودة، الهيئة المصرية العامة للنشر، القاهرة، مصر، 1971.

21. الألوري آدام عبد الله: موجز تاريخ نيجيريا، منشورات دار مكتب الحياة، بيروت، لبنان، 1965.

22. أوليفر رولاند وفيج جون: تاريخ إفريقيا، ترجمة: عقيلة رمضان، دار القومية للطباعة والنشر، مصر، 1964.

23. ب.س. لويد: إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي، ترجمة شوقي جلال، منشورات عالم المعرفة، الكويت، 1980.

24. برايما باري عثمان: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع، مصر، 2000م.

25. بوعزيز يحي: تاريخ إفريقيا الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م، ويليه الإستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات، دار البصائر، الجزائر، 2009م.

26. بولم دنيس: الحضارات الإفريقية، ترجمة: علي شاهين، دار المكتبة، بيروت، لبنان، 1974م.

27. الجمل شوقي عطا الله وابراهيم عبد الله عبد الرزاق: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار الزهراء، الرياض، السعودية، 2002..

28. الجمل شوقي عطا الله : تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، ط2، مطابع الإسلام، القاهرة، مصر،1980م.

29. الجمل شوقي عطا الله : الأزهر ودوره السياسي والحضاري في إفريقيا، لندن، 1988.

30. جودة حسن جودة: جغرافية إفريقيا الإقليمية، ط 09، جامعة الاسكندرية، مصر، 1996.

31. جوزفين كام: المستكشفون في إفريقيا، تعريب: يوسف نصر وآخرون، دار المعارف، مصر، 1983.

32. جوزيف جوان: الإسلام في ممالك إفريقيا السوداء، ترجمة مختار السويقي، دار الكتاب المصري للنشر والتوزيع، مصر، 1984.

33. حلاق حسن: تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2000م.

34. حلمي محروس إسماعيل: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر (من الكشوفات الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية)، ج 01، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، الإسكندرية، مصر،.

35. حميدي جعفر عباس: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002م.

36. الدالي الهادي مبروك: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا وراء الصحراء، ط01، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1999.

37. الدالي الهادي مبروك: العلاقات بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بشمال إفريقيا (7-9هـ/ 13-15م)، دار المحيط العربي، بيروت، لبنان، 1999.

38. دونالد وايدنر: تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، ترجمة علي أحمد فخري والدكتور شوقي عطا الله الجمل والدكتور عبد الملك عودة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1976.

39. الذهني الهام محمد علي: جهاد الممالك الإسلامية ضد الاستعمار الفرنسي (1850-1914)، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، 1981م.

40. الذهني الهام محمد علي:بحوث ودراسات وثائقية في تاريخ إفريقيا الحديث، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، 2009.

41. رزق محمد محي الدين: إفريقيا وحوض النيل، مطبعة عطايا، مصر، 1934.

42. روكز يوسف: إفريقيا السوداء- سياسة وحضارة، ط02، بيروت، لبنان، 1986.

43. رياض زاهر: الاستعمار الأوروبي لإفريقيا في العصر الحديث، القاهرة،مصر، 1965م.

44. رياض محمد وعبد الرسول كوثر: إفريقيا دراسات لمقومات القارة، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2014.

45. زاكي عبد الرحمن: تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، القاهرة، مصر، 1961.

46. زبادية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء- دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

47. زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493م-1591، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1961.

48. زكي عبد الرحمان: تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، الدار المعربة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د ت).

49. زوكا محمد خميس: دراسة في الجغرافيا الإقليمية لإفريقيا، دار المعرفة للنشر، مصر، 2008.

50. سعيد إبراهيم أحمد: إفريقيا جنوب الصحراء، دراسة في الجغرافية الإقليمية، ط01، مكتب التعريب للترجمة والنشر، مصر، 1993.

51. السيد محمود: إفريقيا والأطماع الغربية، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2009.

52. سيلا عبد القادر محمد: المسلمون في السنغال معالم الحاضر وأفاق المستقبل، ط1، مطابع الدولة الحديثة، قطر، 1986.

53. شبكشي علي حسين: قراءة في كف إفريقيا، دار النهار للنشر والتوزيع، لبنان، 1993.

54. شعيرة محمد عبد الوهاب: المرابطون تاريخهم السياسي (430هـ-439هـ)، الطبعة الأولى، دار الإتحاد العربي، القاهرة، مصر، 1969.

55. طاهر أحمد: إفريقيا فصول من الماضي والحاضر، دار المعارف، مصر، 1975 م.

56. عبد الرزاق عبد الله: المسلمون والإستعمار الأوروبي لإفريقيا، عالم المعرفة، الكويت، 1998.

57. العربي إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

58. عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988.

59. عيسى عبد الله عيسى: الاستعمار الفرنسي للسنغال(1854م-1865م) وموقف القوى الإسلامية منه، ط1، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، مصر، 2017م.

60. الغربي محمد: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، دار الرشيد، بغداد، العراق،1982م.

61. الغنيمي عبد الفتاح مقلد: حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، ط01، دار نهضة الشرق، القاهرة، مصر، 1985.

62. غيث مطير سعد: الثقافة الإسلامية في مجتمع السودان الغربي، دار المنار الإسلامي، ليبيا ، 2005.

63. فاضل حسين وكاظم هاشم نعمة: التاريخ الأوروبي الحديث(1815م-1839م)،ط01، بغداد، العراق، 1982.

64. فليجة أحمد نجم الدين: دراسة عامة وإقليمية، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1978.

65. فيج جي دي: تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة وتقديم وتعليق السيد يوسف نصر، راجع الترجمة إلى العربية دكتور بهجت رياض صليب، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1982.

66. قداح نعيم: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سوريا، 1960.

67. قداح نعيم: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، ط2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1975.

68. القشاط محمد سعيد:أعلام من الصحراء، دار الملتقى للطباعة والنشر، لبنان، 1997.

69. كريديه محمد فاضل علي باري وسعيد ابراهيم : المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، ط 01، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007.

70. كي زيربو جوزيف: تاريخ إفريقيا السوداء، ترجمة يوسف شلبي الشام، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1994.

71. المجيشي عبد القادر مصطفى وآخرون: جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2000م.

72. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلاميللنشر والتوزيع، مصر، 2000.

73. موسى فيصل محمد: موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي، ليبيا، 1997.

74. نبيلة حسن محمد: في تاريخ إفريقيا الإسلامية انتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن 05 م إلى 09 هـ، دار المعارف، مصر، 2007.

75. النحوي الخليل: إفريقيا المسلمة الضائعة، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993.

76. هريدى فرغلي علي تسن: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر (الكشوف- الاستعمار- الاستقلال)، ط1، دار العلم للنشر، الإسكندرية، مصر، 2008.

77. ي ساقلييف وج فاسلييف: موجز تاريخ إفريقيا، ط 1، تعليق أمين شريف، دار الطباعة الجلدية، الأردن، 1979.

78. ياغي اسماعيل أحمد وشاكر محمود: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، المريخ للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1993.

79. اليونسكو(تاريخ إفريقيا العام) : تاريخ إفريقيا العام، المجلد السابع، باريس، فرنسا، 1990.

3) المجلات:

80. ابراهيم عبد الله عبد الرزاق: "مؤتمر برلين وآثاره على الخريطة"، مجلة الدراسات الإفريقية،العدد12، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، مصر، 1983.

81. الأنباري نجم الدين: "مؤتمر برلين 1884-1885 م والصراع الأوروبي للسيطرة على القارة الإفريقية"، مجلة كلية الأدب، العدد 95، القاهرة، مصر، (د ت).

82. بكاي منصف: "ساموري توري بين بناء الدولة الحديثة ومقاومة الإمبريالية الفرنسية"، مجلة دراسات وأبحاث في إفريقيا جنوب الصحراء، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017.

83. بن شوش محمد: "مقاومة الحاج عمر (1840-1864)"، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، العدد الرابع والعشرون، السداسي الثاني 2014 ،مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ،الأبيار، الجزائر، 2014.

84. بن شوش محمد: "مقاومة الحاج عمر(1840م-1864م)"، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد الخامس، الجزائر، نوفمبر 2016.

85. الرفاعي المختار الطاهر: "قارة الوحدة الإفريقية وتطورها التاريخي"، مجلة الجامعة، العدد الخامس، 2013.

86. ميسون البياتي : "الملك البلجيكي ليبولد الثاني واستعمار الكونغو"، الحوار المتمدن، 2013.

4) المعاجم والموسوعات:

87. ابراهيم حسام الدين وأحمد مصطفى أحمد : الموسوعة الجغرافية، ج03، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2004.

5) الدراسات الجامعية:

88. بن تركية عبد الحكيم: التوسع الفرنسي في السودان الغربي ومقاومة ساموري توري (1854 -1994م)، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر ،جامعة الجزائر، الجزائر، 1997م.

89. بن شوش محمد : التوسع الفرنسي في السنغال وموقف القوى المحلية منه (1850-1919م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ العام والمعاصر، تحت إشراف الدكتور تلمساني بن يوسف، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، الجزائر، 2012-2013م.

90. بورنان نجاة : الطريقة التيجانية بغرب إفريقيا (1854-1914م)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،تحت إشراف تلمساني بن يوسف ،جامعة الجزائر،قسم التاريخ ،الجزائر ،2011-2012 .

91. جاجوا حسين: حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن 19م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 1994.

92. عباد أحمد: المستكشفون الأوربيون في غرب إفريقيا، مذكرة ماجستير، تخصص التاريخ الإفريقي الحديث، جامعة أدرار، الجزائر، 2012م.

ب- المراجع باللغة الأجنبية:

1) المصادر:

93. Le chatelier(A) : L'islam dans l'Afrique occidentale, Gsteinheil éditeur, Paris, 1899.

2) المراجع:

94. Boni Nazi : Histoire synthétique de l'Afrique résistance, Achevé d'imprimer présence africaine, Paris, 1971.

95. Bruns Chwig Henri : le Portage de l'Afrique noire, Paris, 1971 .

96. Canale Jean Suret : l'afrique noir occidentale et centrale, Géographie – civilisation histoire 3eme édition, Paris, 1968.

97. Coquillat Camile :sur le haut-Congo, Paris, 1888.

98. Cornevin Robert : Histoire de l'Afrique des origines a la 2émé guerre mondiale, payot, Paris, 1956.

99. Cornevin Robert et Marianne : Histoire de l'Afrique des Origines a nos jours, payot, Paris, 1956.

100. CT.chailley M : les grande missions Françaises en Afrique occidentale, F.A.N .Dakara, 1953.

101. Decreane Philippe : l'Afrique noire depuis la conférence de Berlin, centre des hautes études sur l'Afrique et l'Asie moderne, Paris, 1989.

102. Delafosse Maurice : Haut-Sénégal-Niger, (Soudan Français), Première série, éditeur emilelarosé, Paris, 1912.

103. Deschamps Hubert : Histoire générale de l'Afrique noire, 01er édition, press universitaires de Françe, Paris, 1971.

104. Ferrari Alain : Afrique une autre histoire de xxeme siècle, une série documentaire, réalisée par Ferrari Alain , Paris, 2008-2010.

105. Griaul Marcel : les grande explorateurs, presse Universitaire du France, Paris, 1984.

106. J.Spenser Trimingham: A history of Islam in west Africa, Oxford, London, 1963.

107. Jully Robert : Histoire des peuples d'Afrique, édition gaignault, France .

108. Ki Zerbo-Joseph:Histoie de l'Afrique noire d'hier a demain, hatier, Paris, 1972.

109. Mauny Raymond : Tableau géographique de l'Oue st Africain au moyen age, IFAN ,DAKAR,1961.

110. MENIAUD Jacques :SIKASSOU l'histoire Dramatique d' un Royaume noire AU XIXemesiecle, imprimerie F Bouchy, paris, 1935.

111. Meniaud Jacques: les poinnier de soudan avant avec et après Archinad (1879-1894), publication modernes, Paris, 1931.

112. Neuville Didier et Brélard Ch : les voyages de savorgnan de Brazza ogooé et Congo (1875-1882), Paris, 1884.

113. Park Mungo :dans l'intérieur de l'Afrique, trad : Adrian Adams, François Maspero, paris, 1980.

114. Person Yves :Samori une révolution dyula, Tome 2, mémoire de l'institut Fondamental de l'Afrique noire, Dakar , 1968.

115. Saint Martin Yves: l'empire Toucouleur et la France , un demi siécle de relation Diplomatique(1839-1846) , F.A.N ,Dakar , 1967.

116. Saint Martin Yves : l'empire Toucouleur (1848-1897), le libre Africain ,Paris, 1970.

117. Wauters Alphonse Jules : l'état indépendant de Congo histoire géographie, situation économique, organisation politique, librairie FALK Fils, Bruxelles, 1899.

118. Ziegler Jean : Décolonisation, instabilités, et famines en Afrique 100 ans Après la conference de Berlin, solidarité socialiste, Bruxelles, 1985.

3) التقارير:

119. Exposition Coloniale Internationale de Paris 1931: les armées Française d'outre mer,histoire militaire de l'Afrique occidentale Française, Imprimerie nationale, Paris, 1931 .

4) المجلات:

120. Canale Jean Suret:L'Almamy Samori Touré, Révolution Démocratique Africaine, N°'48 ,imprimerie Nationale conkry (Guiné),Mai 1959 .

5) المعاجم والموسوعات

121. Berthelot Marcelin : la grande encyclopédie, Librairie la rousse, Paris, 1885.

122. Grande la Rousse encyclopédique T7, Librairié La Rousse, Paris, 1963.

123. Mourre Michel : Dictionnaire encyclopédique d'histoire T3, Bordas, Paris, 1978 .

124. Prevost (M) et Roman d'Amat : Dictionnaire de Biographié Française T6, Librairie litouzey, Paris, 1954.

فهـــرس الأسمـــاء

والأعـــلام

فهرس الأسماء والأعلام

حرف (أ)

ابن الوردي: 11.

ابن خلدون: 11.

أجيبو: 159-165.

أحمد سيكوتوري: 187.

أحمدو شيخو: 02- 37- 39 -114-130-131-132-133-134-135-136-137-140-141-142-143-144-145-162-187-191.

أحمدو لوبو: 32-81.

إدوارد بالدوين ماليت: 63.

أديقبي: 109.

أرشيناد: 37-139-140-142-159-162-163-165-166-167-171-174-189.

الأسكيا محمد الكبير: 14.

الإصطخري: 09-10.

ألا كاميسا: 116.

ألفا عثمان: 127.

ألفونس بارون دوكورسيل: 63.

إميل دوفيل: 62.

أوديو: 40.

أوديود: 183.

سويبو: 138.

سيديكي توري: 78.

سيلجي كامارا: 103.

سينيتي كونيتيغي: 93.

حرف(ص)

صوري بيراما: 84-85-104-105-106-111-113.

(ع)

عبد الكريم الناقل: 30.

عثمان دان فوديو: 31-32-81-95-120.

حرف(غ)

غالييني: 138-148-155-189.

غيس: 63.

حرف(ف)

فافيري توري: 78.

فالبير: 135.

فانسوكابا: 107.

فراي: 153-154.

فريديريك فليب: 63.

الفشتالي: 17-21.

فورتن: 139.

حرف(ق)

القلقشندي: 10.

أوزوالد: 172.
أوغوست غابريال: 62.
حرف(ب)
البابا ليون الثاني: 52.
باريار دي ليزال: 135.
بامبا: 39-159-183-184.
البكري: 10.
بوبو ديولاسو: 179-180.
بورنيس ديسبوردس: 117-151.
بول جافرال: 43.
بوني: 174-175.
بيروز: 155.
بيسمارك: 58-59-60-61-62-64.
بيلالي كروما: 90-173-182.
بينجر: 176-177.
تيبيا: 38-40-156-157-158-159-171-183.
حرف (ج)
جون أكاسون: 62.
جوهانزفان: 48.
حرف(ح)
الحاج عمر الفوتي: 02-03-04-28-29-30-31-33-34-35-36-37-45-55-88-116-120-121-122-123-124-125-126-127-128-129-130
حرف(ك)
كاراموغو موري: 113-114.
الكاردينال لافيجري: 52-53.
كامارا كاندي: 96.
الكاماسا: 150.
كراموكو لاتيني: 90.
كوامي ناكروما: 193.
كومبيس: 152-153-171-172-174.
كونتان: 134.
كيمي بريما: 109-112-150-159.
حرف(ل)
لارتينغ: 185-186.
لافيا توري: 78-79-80-82.
لانغمافالي: 96.
لانكاما نيفالي: 114.
لبن أبي الزرع: 25.
لويس فيدهرب: 04-42-45-121-122-125-128-189.
ليفينغستون: 53.
ليوبولد الثاني: 56-57-61-72.
حرف(م)
ماج: 134.
مارشاند: 176.
ماسارا محمدي: 152.

131-133-143-187-191.
الحسن الوزان: 10-14-18.
حرف(د)
داولا: 38.
دوكورسيل: 71.
دي برازا: 53.
ديساربا بيانتال: 63.
حرف(ز)
الزياتي: 18.
حرف(س)
ساتوكومادي: 111.
ساموري توري: 03-04-05-06-
07-37-39-40-45-77-80-
81-82-83-84-85-86-87-
88-89-90-91-92-93-95-
96-97-98-99-100-101-
102-103-104-105-107-
108-110-111-112-113-
114-115-116-117-118-
137-138-147-150-151-
152-153-154-155-156-
157-158-159-160-161-
162-163-164-165-166-
167-168-169-170-171-
172-173-174-175-176-
177-178-179-180-181-
ماساراكوناتي: 79.
ماسورونا كامارا: 78-79-84-86.
مامادوكا: 111.
مامالاسيني: 96.
مانجو بارك: 18.
مانيغبي موري: 109-159.
محمد البكاي: 129.
محمد الغالي: 29.
محمد بيللو: 30.
محمد سعيد باشا: 63.
محمدو لامين: 02-04-49-137-
144-145-146-147-148-
149-187-191.
المعز بن باديس الصنهاجي: 27.
مورلاي: 112.
موري فيري: 96.
موريفان: 78.
موري فانديان بوباتي: 90.
موريفينغ ديان: 187.
مونتاي: 177-178.
ميري كولوم: 62.
حرف(ن)
نابليون الثالث: 42.
نانتيني فامادو: 103-107-108.
نياما كاندي: 104.
نيبو: 181.

-186-185-184-183-182	**حرف(هـ)**
.189-188-187	هامبرت: 168-169-170.
ستانلي: 56-57.	هنري سافورد: 62.
سراسوري موري: 86-105-179.	هوجيني: 164-165.
سرانكيني كوناتي: 86-87-106-	**حرف(ي)**
.187	يويوسيلا: 100.
سغاديبي: 113.	
سومان كوياتي: 110.	

فهـــــرس الأماكـــــن

والبلـــــدان

فهرس الأماكن والبلدان

حرف(أ)

إسبانيا: 51-60.

أسيا: 190.

أغدس: 14.

أفريقيا جنوب الصحراء: 06-20-192-193.

أقصى المغرب: 09-12-17.

ألمانيا: 48-58-59-60-62-64-65-66.

أمريكا: 47-51-53-189-190.

أنغولا: 51-54-57.

أوجني: 14.

أوروبا: 190.

إيطاليا: 60-63.

حرف(ب)

باباكالا: 181.

بابيلا: 172.

باكل: 121-123-125- 146.

باماكو: 116-117-118-136-137-175.

بامبوك: 127.

باندما: 19-176.

الباندوغو: 40.

باننكي: 108.

حرف (ش)

شمال إفريقيا: 27.

حرف (ص)

الصحراء الكبرى: 22.

حرف(غ)

غامبيا: 14-15-26-46-48-147-148.

غانا: 11-21-23-25-27.

غرب إفريقيا: 01-02-03-04-07-09-13-15-16-19-20-21-22-26-27-28-32-42-46-48-52-120-150-164-189-190.

غيليمو: 186.

غينيا أوجني: 14.

غينيا بيساو: 14.

غينيا كوناكري: 14.

غينيا: 02-44-45.

حرف(ف)

فابالا: 94.

فارافينا: 79.

فاراندوغو: 169.

فاس: 18.

فالابا: 100.

فاندوغو: 78.

البحر الأبيض المتوسط: 47.
البحر الأحمر: 11-12.
البحر المحيط: 09-10-11.
بحيرة التشاد: 12-15.
بحيرة تنجنيقا: 55-64.
بحيرة فيكتوريا: 56.
البرازيل: 51.
البرتغال: 51-52-57-58-63-64-70.
برناما سبادو: 103.
بريطانيا: 44-46-48-49-51-52-53-57-58-59-60-63-65-66-75-136-156-161.
بلجيكا: 47-55-61-71.
بندا كار: 33.
البنين: 14-25-43.
بوركينافاسو:14.
بوسيا: 127.
بوكو: 103.
بونا: 179-181.
بوندوكو: 91.
بيساندوغو: 79-88-92-104-108-109-111-115-139-155-159-163-165-168-169-173.
فرغان: 174.
فرنسا: 42-43-44-45-46-48-49-58-59-60-63-64-65-66-121-122-123-124-136-137-138-145-161-164-165-178-189-190-191-192.
فريتاون: 100-161.
فوتاتور: 15-28-32-121-122-127-145.
فوتاجالون: 15-16-18-19-29-32-110-131.
فولونا: 40.
فووما: 105.
فيورو: 34.

حرف(ك)

كاغو: 14.
كافالي: 19-176.
الكاميرون: 27.
كانسينا: 14.
كانكان: 90-92-94-96-100-108-109-110-113-164-165-166-168-171.
كانو: 14.
كابيس: 175.
كبايا: 96.
كركورو: 164.

حرف(ت)

تاليكورو: 102-107.

تركيا: 47-60.

تكوتو: 94.

تنيتو: 174.

توبة: 131.

التوغو: 14-25.

تومبكتو: 10-14-18-33-44-173.

تيسالي: 177.

حرف(ج)

جاو: 14.

الجزائر: 42.

جزر الكاريبي: 42.

حرف(ح)

الحبشة: 60.

حمد الله: 130-131-132.

خليج غينيا: 13-15-16-17-18-19-45.

حرف(د)

داباكالا: 93.

دارفور: 12.

دانغالا: 108.

دانغيراي: 32-34-96.

داهومي: 43-44-46.

دكار: 14-25.

كروسا: 92-109-110-173.

كزماس: 15.

كنيرا: 115-116.

كنيران: 92-150.

كوبر: 14.

الكوديفوار: 02.

كورابادوغو: 102.

كوفيلا كورو: 78.

كوكا: 10.

كولوني: 174.

كوليكور: 164.

كومبا: 94.

كومباي: 92.

كومري: 176.

الكوناتي: 103.

كونغ: 177-179-180-182.

الكونغو: 51-52-53-54-55-56-57-58-60-64-66-67-68-71-72-74.

الكونيان: 78.

كيرا: 14.

كيرواني: 173-175.

كينيدوغو(سيكاسو): 03-38-39-40-150-156-158-159-166-182-183-184.

حرف(ل)

دمارو: 102.
الدنمارك: 62.
الدولة العثمانية: 63.
دياجينكو: 32-34.
ديغومبيري: 130.
ديوما دوغو: 40.

حرف(ر)

الرأس الأخضر: 14.

حرف(ز)

زانغري: 14.
الزمبيزي: 64.
زنجيبار: 42.
زوكزوك: 14.

حرف(س)

الساحل الأطلسي: 64.
ساحل العاج: 02-07-14-19-21-45-46-91-176-177.
سالوج: 15.
ساماتغيلا: 50.
سانت بول: 19.
سانت لويس: 187.
ساندييو: 122.
سانكران: 111-112.
السنغال: 14-21-23-24-25-29-34-42-43-44-46-48-49-

ليبيريا: 25-59-60-82.

حرف(م)

ماسينا: 30-32-33-34-142-143.
مالي: 14-17-18-19-21-24-26-45-46-77-97.
الماندينغ: 34-97-127.
مانيامبالادوغو: 78-79.
ماينموسي: 108.
المحيط الأطلسي: 11-13-15-19-24-56-73.
المحيط الهندي: 56.
مدين: 126-127-129.
المشرق العربي: 27-30.
مصر: 09-30-31-47.
مكة: 30.
ملاندوغو: 85.
موريتانيا: 14-19-21-24-26-96-131.

حرف(ن)

نافانا: 172.
ناموسانا: 107.
النرويج: 63.
النمسا: 60-62.
نهر السنغال: 12-13-14-17-18-19-48.

-120-121-123-124-125
-126-128-131-134-140
.147-149
سنغامبيا: 144-146-147-153.
السودان الأوسط: 12-14.
السودان الشرقي: 12-14.
السودان الغربي: 03-05-09-10-
12-14-17-18-30-31-33-
38-128-134-137-139-155-
171-174-184.
سوكوتو: 37.
سوكورالا: 101.
السويد: 60-63.
السويس: 22.
سويسرا: 60.
سيجري: 168.
سيجيلماسة: 18.
سيراليون: 17-21-24-25-46-
84-100-111-113-161.
سيرامبادوغو: 86.
سيغو: 140-141-143-164-
166.
سيغو: 34-37.
سينانكورو: 78-86-102-104-
106-109-112-170.

نهر الفولتا: 12.
نهر الميلو: 104-105-168-172.
نهر النيجر: 12-17-18-24-25-
61-67-136.
نهر النيل: 12.
نهر غامبيا: 12-17-48.
نهر كاسمنس: 19.
نهر كفالي: 185-186.
نورا: 92.
نيامينا: 131-164.
النيجر: 10-14-15-17-21-25-
27-34-43-46-65-66-120-
121-138-142-164.
نيجيريا: 14-15-16-21-24-26-
27-31-46.
نيوسوموريدو: 90.
نيوسوموريدوغو: 78.

حرف(هـ)

الهند: 42.
هولندا: 48-49-60.
هيريما كونو: 100.

حرف(و)

وا: 179-180.
ورودوغو: 101-102-107.
ولاتة: 10-14.
ولادا: 96.

فهـــــرس الشعـــوب

والقبائـــــل

فهرس الشعوب والقبائل

حرف (أ)

الإسبانيون: 55.

الأفارقة: 02-60-67-69-70-71-72-73-74-75-100-191.

الإمبرياليين: 01.

الأمويين: 26.

الأوروبيون: 02-07-18-36-50-59-69-72-75-89-113-114-175-192-193.

الإيطاليون: 55.

حرف (ب)

البامبارا: 24-88-128-129-131-132-133-135.

البريطانيين(الانجليز): 35-47-48-51-54-159-163-178-179-180-182.

بني حسان: 27.

بني سليم: 27.

بني معقل: 27.

بني هلال: 27.

البرتغاليون: 48-51-54-55.

البيريت: 104-105-106.

حرف (ت)

التوكولور: 35-47-142-150.

التيكرور: 24-144-145.

حرف (ف)

الفاطميين: 27.

الفرنسيين: 36-37-39-40-42-43-44-47-51-88-89-95-116-117-120-121-122-123-125-126-128-129-131-133-135-137-142-145-146-147-149-152-154-159-160-161-163-164-166-170-172-175-176-178-180-181-182-183-184-185-189-190-192.

الفولانيون: 26-150.

حرف (ك)

الكانم: 11.

الكوكو: 11.

حرف (م)

المالنكيين: 78-80.

المرابطين: 23-24-28- 144.

المستكشفون: 189-193.

المسلمين: 09-52-80-82-89-191.

المسيحيين: 122.

المغاربة: 121.

المنديجو: 24-81-88-101.

حرف (ج)

الجغرافيون: 09-11-17.

حرف (ح)

الحاميون: 26.

حرف (د)

الديولا: 36-37-78-80-82-92-97-98-101-111-116-150.

حرف (ز)

الزغاوة: 11.

الزنوج: 02-13-25-26-52-189.

حرف (س)

السراكول: 23-25-144-147-148

السنغاليين: 121.

سنغي: 24.

السونينك: 22-23.

حرف (ص)

الصنهاجية: 25-26.

الصوصو: 23.

حرف (ط)

الطوارق: 26.

المنظرين: 01.

المور: 26.

المؤرخين: 01-09-11-17-22-25-26-100.

الموريتانيين: 25-126.

حرف (ن)

النوبة: 11.

حرف (هـ)

الهوسة (الحوصة): 14.

الهولنديون: 51.

حرف (و)

الواسولو: 159.

الوثنيين: 122-123-129-134-191.

الولوف: 23-24.

الوهابيين: 31.

حرف (ي)

اليهود: 26.

الفهـــــرس العام

فهـــرس الموضوعات

العنوان **الصفحة**

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة..... 01

الفصل الأول: إفريقيا الغربية وأهم إمبراطورياتها في العصر الحديث..... 09

المبحث الأول: الإطار الجغرافي لغرب إفريقيا..... 09

المبحث الثاني: إمبراطوريات غرب إفريقيا..... 28

الفصل الثاني: التنافس الاستعماري على منطقة غرب إفريقيا وانعقاد مؤتمر برلين الثاني1884م-1885م..... 42

المبحث الأول: التنافس الاستعماري على منطقة غرب إفريقيا..... 42

المبحث الثاني: مؤتمر برلين الثاني (1884م-1885م)..... 50

الفصل الثالث: ساموري توري وبناء الدولة الحديثة1884م-1898م..... 77

المبحث الأول: نبذة تاريخية عن ساموري توري..... 77

المبحث الثاني: بناء الدولة الحديثة..... 88

الفصل الرابع: الحركات الجهادية في غرب إفريقيا ومقاومة ساموري توري 1885م-1900م..... 120

المبحث الأول: الحركات الجهادية في غرب إفريقيا..... 120

المبحث الثاني: مقاومة ساموري توري..... 150

الخاتمة..... 189

الملاحق..... 195

قائمة المصادر والمراجع..... 205

فهرس الأسماء والأعلام..... 219

فهرس الأماكن والبلدان..... 224

فهرس الشعوب والقبائل..... 230

فهرس الموضوعات..... 233

فهـــرس الموضوعات